وقف الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QURANIC THOUGHT

الحكيم الترمذي

محمد ابراهيم الجيوشي



الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي

استاذ الدعوة والثقافة الاسلامية
بجامعة الازهر



الناشر
دار النهضة العربية
٣٢ شارع عبد الخالق ثروت
القاهرة





دار الاتحاد العربي للطباعة
لصاحبه: محمد عبد الرازق
١٩ كنيسة الأرمن ش الجيش
تليفون: ٩٢٤٠٩٨



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين ، ومن تبع خطاه ، وسار على منهجه المستقيم ، وبعد فهذا هو كتاب الحكيم الترمذى آثاره وأفكاره ، يخرج إلى النور بعد إثنى عشر عاماً من الانتهاء من كتابته ، فقد كان البحث عن الحكيم الترمذى موضوع رسالة للدكتوراه قدمت لكلية الآداب بجامعة لندن ولم تتم مناقشتها إلا فى شهر يونيو من عام ١٩٧٠ م والبحث كتب أولا بالإنجليزية ثم ترجم بعد ذلك إلى اللغة العربية ، وقد نشر أغلب هذا البحث باللغة الإنجليزية فى مجلة المركز الإسلامى بلندن وهو مجلة فصلية وعنوانها The Islamic Quataly منذ عام ١٩٧١ م إلى عام ١٩٧٩ .

أما الترجمة العربية فقد أنجزت منذ سنوات تقارب العشر ، وقد تنقلت من دار نشر إلى أخرى حتى انتهى بها المطاف إلى تقوم دار النهضة العربية بنشرها ، وقد ظلت فى المطبعة أكثر من ثلاث سنوات . وبدأت طباعتها أثناء إقامتى بلندن ، وقد تسبب ذلك فى وقوع كثير من الأخطاء المطبعية التى كان يمكن تلافيها لو أتيح لى مراجعة التجارب قبل التصريح بطبعها . وقد حاولت جهد المستطاع أن أحصر الأخطاء الواضحة وأضعها فى قائمة أرجو القارىء أن يعود إليها كلما واجه بعض الكلمات التى تحتاج إلى تصحيح .

تلك هى قصة الطباعة والنشر . أما قصة البحث ذاته وكيف تهيأ اتجاهى إليه وكتابتى فيه فهذه رحلة طويلة بدأت مطالعها منذ أكثر من ستة عشر عاما لما كنت استعد للسفر إلى لندن وكان ذلك فى أواخر صيف ١٩٦٤ م حين التقى بى صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله وتحدث معى فى موضوع الدراسة الذى سأعكف عليه أثناء إقامتى بلندن ، وتفضل مشكوراً

فلفت انتباهي إلى شخصية الحكيم الترمذى ، ووجهني إلى كتابين من تأليفه طبعا فى القاهرة أولهما « الرياضة وأدب النفس » وهما رسالتان فى مجلد واحد قام بتحقيقهما ونشرهما الدكتور على حسن عبد القادر والأستاذ آربرى المستشرق الإنجليزى عام ١٩٤٧ م بالقاهرة .

وثانيهما رسالة « الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب » قام بتحقيقها ونشرها المستشرق الأمريكى نقولا هير عام ١٩٥٨ م بالقاهرة أيضاً .

ثم تفضل الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله فزودنى بنسخة من كتاب « علل العبادات » قام بنسخها أحد طلابه فى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر .

ولم أكد أقرأ هذه الآثار للحكيم الترمذى حتى استولى على فكر الرجل وطريقة عرضه لآرائه ، وبخاصة فى رسالته ، الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ، وكان محقق الرسالة قد قدم لها بدراسة قيمة عن حياة الحكيم الترمذى وآثاره وزودها بقائمة مؤلفات الرجل وأماكن وجودها فى مكتبات العالم والإرشاد إلى المصادر التى ورد ذكرها بها ، فلم أشعر إلا وأنا أكتب رسالة إلى مدير مكتبة ليبزج بألمانيا أطلب إليه تزويدى بنسخة مصورة على ميكروفيلم لمجموع الحكيم الترمذى الذى يشتمل على عدد من رسائل الحكيم الترمذى ومسائله وفى مقدمة هذا المجموع رسائله التى سماها « المسائل المكنونة » ولم أكد أتلقى النسخة المصورة حتى أخذت فى تكبيرها والعكوف على قراءتها ، ثم توالت رسائلى إلى مكتبات العالم التى تضم مخطوطات الحكيم الترمذى فى مصر وسوريا وتركيا وفرنسا والهند والنمسا وتونس إلى جانب ما حصلت عليه من « مكتبة المكتب الهندى » بلندن . ووجدتنى أعيش مع الحكيم الترمذى وأقف على نواحى فكره وتصوراته للقضايا التى أثارها أو ناقش فيها غيره وهى كثيرة ،

وكان قد طبع له كتاب « نوادر الأصول » بتركيا فى عام ١٢٩٢ هـ بعناية الشيخ مصطفى الدمشقى ثم حصلت على نسخة من كتاب « ختم الأولياء » الذى حققه الدكتور عثمان إسماعيل يحيي ، وطبع فى بيروت ، وقد بذل فيه الدكتور يحيي جهداً مشكوراً يعرف ولا ينكر ، وأخرجت المطابع فى أثناء عكوفى على البحث بعض رسائل الحكيم الترمذى تحت إشراف وتوجيه الدكتور عبد الحليم محمود ، ومنها « كتاب تحصيل نظائر القرآن » تحقيق حسنى زيدان وكتاب « مقاصد الصلاة » وكتاب « أسرار الحج » .

أخذت أتابع كل ذلك إلى جانب ما كتب عنه بمعرفة رجال الصوفية القدامى وعلماء التراجم والرجال إلى جانب ما نشر من دراسة للمستشرقين عنه فى بعض المجلات التى تصدر باللغة الإنجليزية مما ستجد الإشارة إليه فى ثنايا البحث . وتابعت البحث فى استحضار المخطوطات من المكتبات التى أشرت إليها وكلما وقع لى نسخة مصورة على ميكروفيلم لواحد منها أخرجت منه نسخة مكبرة وهكذا حتى تجمع بين يدى كل ما كتب الحكيم الترمذى تقريباً ، وكانت نتيجة كل هذه المحاولات هذا البحث الذى نقدمه للقراء اليوم متأخراً عن موعده إثنى عشر عاما تقريباً .

وقد تحدث الكتاب فى قسمه الأول عن حياة الحكيم الترمذى وما حفلت به من أحداث مثيرة ومعارك فكرية بعضها مضى هادئاً وبعضها الآخر جر عليه غضب الحكام وهياج العامة حتى المجىء إلى تحديد إقامته سنوات عديدة .

ثم تحدث عن عصره وما تميز به من فوران فكرى وسياسى واجتماعى وصراع مذهبي .

وأفرد الكتاب جانباً كبيراً من صفحاته للحديث عن مؤلفات الحكيم الترمذى المخطوط منها والمطبوع وأماكن وجودها فى مكتبات العالم والتعريف السريع بكل كتاب من هذه الكتب والإلمام بالقضايا الرئيسية التى يثيرها ثم تناول

الكتاب نشاط الحكيم الترمذي في ميادين التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والإبانة عن منهجه في كل فرع من فروع هذه المعرفة . مع عرض نماذج تكشف عن أصالة فكر الرجل واستقلاله في الرأي .

وفي القسم الثاني تحدث الكتاب عن الحكيم الترمذي الصوفي ، وريادته في هذا الميدان الذي كان له فيه نصيب السبق في القضايا التي تناولها . وقد عرض هذا القسم من الكتاب نظرية الولاية والأولياء عند الحكيم الترمذي ورأيه في ختم الأولياء وناقش نظرية المعرفة عنده وحديثه المفصل عن العلم والمعرفة والحكمة والعلم الظاهر والباطن وما يتصل بذلك من الفروع والمسائل .

وفي الفصل الثالث تحدث عن مقامات الباطن وجعلها أربعة الصدر ، والقلب ، والفؤاد ، واللب : ولكل مقام علم ولكل علم جبل ومستقر ولكل جبل طائر يحوم فوقه من النفوس التي جعلها أيضاً أربعاً : النفس الأمارة ، والنفس اللوامة . والنفس الملهمة . والنفس المطمئنة .

واستطرد إلى الحديث عن الفرق بين العقل واللب وعن درجات العقل من عقل حجة إلى عقل موروث ثم تحدث عن الأنوار وما يتولد منها من جبال النور وحدود هذه الجبال التي يستلهم فكره فيه من قوله تعالى « الله نور السموات والأرض » .

ويتحدث في الفصل الرابع عن الصراع بين القلب والنفس ويصور لنا ساحات الصراع كأننا نشاهدها . ويتحدث عن جند الهوى وجند المعرفة ، ويعرض هذا الفصل أيضاً مناهج سلوك الإنساني .

ويأتي البحث إلى غايته فيتحدث عن أثر الحكيم الترمذي في أفكار معاصريه من أمثال الملامتية والحكيمية المعاصرين له ، ويبين أثره في فكر من جاء بعده كالغزالي وابن عربي وابن قيم الجوزية ، ويستخلص البحث منزلة الحكيم الترمذي من خلال ما كتب عنه ، ويختتم باثبات خصائصه ومميزاته .

ذلك هو الحكيم الترمذى فى رحلته مع الحياة وفى كتبه ورسائله التى أودع فيها خلاصة آرائه وتجاربه فى هذه الحياة يرى القارىء وقائعها مفصلة فى هـــذا الكتاب الذى بين يديه . نرجو أن يكون توفيق الله قد صاحبنا فى عرض حياة الرجل وأفكاره .

والله ولى التوفيق ؟

دكتور محمد ابراهيم الجيوشى
المحرم سنة ١٤٠١ هـ
ديسمبر سنة ١٩٨٠ م


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT





بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

أبو عبد الله محمد بن على بن الحسن أو « الحسين » الترمذى ، المشهور بالحكيم ، أحد أعلام الصوفية الكبار والمشهورين من قادة الفكر فى القرن الثالث الهجرى ، ترك فى الفكر الصوفى بخاصة ، والفكر الاسلامى بعامة أبعد الأثر وأعمقه بما خلفه من مؤلفات تبسط آراءه وأفكاره فى كثير من المسائل التى تناولها الصوفية من بعده بالشرح والتحليل والاقتباس ، وكان الحكيم هو السابق الى تجليتها ، وارساء قواعدها فى صـــورة كاملة واضحة تلقاها بالقبول من أتى بعده من الشيوخ ، واعتمدوا عليها ، واستفادوا منها ٠

وعلى الرغم من الأصالة الفكرية التى تميز بها الحكيم فيما ألف وصنف ، وانفراده بأمور عرفت به وتابعه عليها غيره فانكتب التراجم والسير لم تتحدث عنه بالقدر المناسب لمقام الرجل ، وأثره العميق فى الفكر الصوفى ، مما يدعو الى التساؤل عن سبب هذا التجاهل لرائد عظيم من رواد الصوفية ، ومفـــكر راسخ القدم ، أثرى الفكر الصوفى بآرائه النيرة ، ونظراته الصائبة ، ولعلنا نعرض لهذه الأسباب فى خلال الحديث عن حياته ومنهجه فى الفصل الأول من هذا البحث بعون الله وتوفيقه ، كان هذا صـــورة ما كتب عنه فى المـاضى ، أما فى العصر الحاضر ٠ فعلى الرغم من الاهتمام المبكر بالتراث الصـــوفى قاطبة فى الشرق والغرب ، فان الأضواء لم تســـلط على الحكيم الترمذى ، ولم تتجه العناية الى دراسة أفكاره والاهتمام بآثاره الا منذ خمسة وعشرين عاما فقط ، ففى عام ١٩٤٦ م ظهر تحقيق الدكتور عبد المحسن الحسينى لكتاب الترمذى « حقيقة الآدمية » وقدم له بدراســـة مجلة كليـــة الآداب بجامعة الاسكندرية العدد الثالث ، وفى العام التالى ســـنة ١٩٤٧ م ظهر تحقيق

الدكتور على حسن عبد القـــادر والدكتور آربرى لنفس الكتاب تحت عنوان « الرياضة » ومعه كتاب « أدب النفس » وقدما للتحقيق بدراســـة تناولت بالشرح والتحليل والنقد آراء الترمذى ، ومنهجه الصوفى ، واشتملت هـذه الدراسة على قائمة بمؤلفات الترمذى الحكيم الموجود منها والمفقود حســـب علمهما وقد ألقت هذه الدراسة أضواء جديدة ، ولفتت أنظار الباحثين الى مكانة الترمذى وقدمت مساعدة لا بأس بها لمن تصدى لدراسة الترمذى بعد ذلك .

وفى عام ١٩٥٧ م قدم الدكتور عثمان اسماعيل يحيى دراسة لآراء الترمذى وآثاره فى مجلة Melange عرض فيها بالتفصـــيل لمؤلفات الترمذى والقـــاء الأضواء عليها وكان منهجه فى هذه الدراسة التى صدرت بالفرنسية أن يذكر عنوان الكتاب أو الرسالة ويذكر أولها وآخرها ، ويشير الى موضـــوعها ، ثم يذكر عدد النسخ الخطية أو المطبوعة الموجـودة من الأثر الذى يتحدث عنه مع الاشارة الى الأماكن التى توجد بها المخطوطات وأرقامها ، وعلى الرغم من أن الدكتور عثمان يحيى قد نسب الى الترمذى فى هذا البحث بعض الكتب(١) التى ليست له فان دراسته تعتبر من أهم الدراســات التى عرضــت للحكيم الترمذى وآثاره .

وفى عام ١٩٥٨ أخرج المستشرق الأمريكى الدكتور نقولا هير كتاب .. « الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب » وقدم له بدراســة طيبة امتازت بعرض مفصل لمؤلفات الترمذى وأماكنها وأرقامها فى مكتبات العالم المختلفة فى الشرق والغرب . وقد كانت بلا شك عونا كبيرا للباحثين عن تراث الحكيم الترمذى وآرائه ثم تتابعت بحوث متفرقة فى بعض المجلات الأوربية ، وقـد ألقت هذه المحاولات الأضواء ووجهت الأنظار الى مكانة الحكيم الترمذى وأثره فى الفكر الصوفى .

---

(١) مثال ذلك كتاب « أدب العـــالم والمتعلم » فانه من تأليف أبى بكر الوراق وقد نشر الشيخ زاهد الكوثرى ، وكذلك كتاب « تفسير آية لا شرقية ولا غربية مع تأويل أربعين حديثـــا » فانه من تأليف ابراهيم البركوى وكتاب « تفسير القرآن لليزيدى » .

وفى عام ١٩٦٥ أخرج الدكتور عثمان يحيى كتاب .. « ختم الأولياء » بعد أن نشر فصولا منه فى مجلة « المشرق » ، وألحق الدكتور يحيى به دراسة مفصلة للحكيم الترمذى ، وناقش ما رأى مناقشته من عمل سابقيه ، ثم ضمن مقدمة الكتاب رسالة « بدو شأن الحكيم الترمذى » وهى أقدم نص تاريخى مكتوب عن حياة الحكيم الترمذى بقلمه هو ، وهى تكشــف جانبا من الحياة النفسية والفكرية والروحية التى كان يحياها الحكيم . وقدم عرضا موجزا لمجموعتى ليبزج وولى الدين مقتبسا افتتاح ونهاية كل رسالة وكتاب فيهما ، وفى التعليق على نصوص الكتاب أضاف الدكتور يحيى كتاب « القسطاس المستقيم فيما ســأل عنه الترمذى الحكيم » الذى كتبه ابن عربى اجابة عن الأسئلة الخمسة والخمسين ومائة التى أثارها الحكيم الترمذى فى فصــل من كتابه ، وجعلها الدكتور يحيى الفصل الرابع من الكتاب وسماها المســائل الروحية ، وكذلك أضاف الدكتور يحيى اجابات هذه الأســئلة التى أوردها ابن عربى أيضا فى الجزء الثانى من كتابه « الفتوحات المكية » ، وأخيرا ألحق الدكتور يحيى بنص الكتاب مجموعة من النصوص حول الولاية والأولياء كتبت فى أزمان مختلفة واختيرت من كتب متعددة بأقلام كتاب متفاوتين .

والحق أن الدكتور يحيى قد قام بعمل جليل فى الكشف عن تراث الترمذى وتجلية فكرته فى الولاية والأولياء ، وأدى بذلك جهدا مشكورا يستحق من أجله ثناء الباحثين والمهتمين بدراسة الحكيم الترمذى وآثاره .

وفى عام ١٩٦٥م كذلك أخرج الأستاذ حسنى زيدان كتاب « مشرح الصلاة ومقاصدها » الا أنه لم يوف الكتاب حقه ، وفى الربع الأخير من القرن المــاضى طبع فى الاستانة للحكيم الترمذى كتاب .. « نوادر الأصول فى معرفة أخبار الرسول » فى عام ١٢٩٣ هـ بعناية الشيخ مصطفى بن اسماعيل الدمشقى وقد قام بالتعليق عليه وشرحه على الطريقة القديمة وسمى شرحه أو حاشــيته « مرقاة الوصول لنوادر الأصول » .

وأما أكثر مؤلفات الترمذى فلا زالت مخطوطة موزعة على دور الكتب فى العالم

شرقية وغربية ، وقد ضاع عدد منها ، أو لم يعثر عليه حتى الآن ، وان حفظت لنا كتب الطبقات والسير أسماءها منذ القدم ، ولعل البحث يكشف لنا مستقبلا عنها أو عن جانب منها ، أما المخطوطات المعروف أماكنها حاليا فهي موزعة بين القاهرة والاسكندرية ودمشق ، وأنقره ، واسطنبول ، وليبزج بألمانيا الشرقية ومنشستر بانجلترا ، وباريس ، وكلكتا بالهند . وقد أشار الباحثون عن الترمذى الى أماكن وجودها ، وسنعرض صورة مفصلة عنها في أثناء حديثنا عن آثاره في الفصل الثاني . وقد جهدت في الحصول على الآثار المخطوطة ، وعكفت على دراستها ودراسة ما طبع من آثار الحكيم ، وما كتبه عنه الباحثون المعاصرون الى جانب ما كتبه عنه مؤلفو الطبقات وعلماء الرجال ، وكتاب الصوفية القدامى في العربية والفارسية ، وكانت نتيجة هذه الدراسة أن خطة البحث ستكون ان شاء الله على النحو التالي :



القسم الأول ويشـمل :

الفصل الأول : عصره وحياته .

الفصل الثانى : أساتذته وتلامذته .

الفصل الثالث : كتبه ورسائله .

الفصل الرابع : منهجه فى التفسير والحديث وعلم الكلام والفقه .

القسـم الثانى ويشـمل :

الترمذى الصوفى :

الفصل الأول : الولاية والأوليـاء .

الفصل الثانى : نظرية المعرفة .

الفصل الثالث : مقامات الباطن وفكرة النور .

الفصل الرابع : مناهج السلوك والصراع بين القلب والنفس .

الفصل الخامس : أثر الترمذى فى الفكر الصوفى المعاصر له والمتأخر عنـه ويشمل :

(أ) بين الترمذى والملامتية .

(ب) فرقة الحكيمية ومنهجها الصوفى .

(جـ) بين الترمذى والغزالى .

(د) بين الترمذى وابن عربى .

(هـ) بين الترمذى وابن القيم .

الفصل السادس : طريقة الترمذى فى عرض أفكاره ، خصائصـه ومميزاته ، مكانته عند المفكرين من بعده .

خلاصة وخاتمة .


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT




القسم الأول


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT




الفصل الأول

عصره وحيـــاته

يمثل القرن الثـالث الهجرى الذى عاش فيه الترمذى عصـر النضـج والاكتمال الثقافى والحضـارى للدولة الاسـلامية ، وكانت المدارس الفكرية الدينية والفلســفية والأدبيــة واللغوية تملأ جنبات العالم الاســلامى ، وتقدم نتيجة بحوثها ثمرة شهية لطلاب الثقافة فى حواضر الاسلام ومراكزه الثقافية : كبغداد ، والكوفة ، والبصرة ، والمدينــة ، وبلخ ، ونيســابور ، وسمرقند ، وبخارى ، وترمذ وسواها ، وكانت رحلات العلماء وطلاب المعرفة على أشدها من مشرق الأرض الى مغربها ، وقد شهد ذلك القرن عمالقة الفكر الاسلامى وشـيوخه فى كل جوانب المعرفة الانســانية • وكانت الحواضر الاسلامية تموج بحلقات العلم والدرس ، وتتخذ من المساجد مركزا لنشاطها الثقافى والدينى ، وكان لكل اقليم طابعه المتميز به عما سواه ، فالذى يرغب فى تحصيل علم الحديث وروايته فلابد له أن يتوج جهده ودراسته بالرحلة الى الحجاز ، والتلقى عن شـيوخ المدينــة ومحدثيها هؤلاء الذين أخـذوا عن الامام مالك وتابعوا منهجه ، وان كان هناك من المحدثين فى الأقاليم الأخرى من كان لهم فى خدمة السنة أبلغ الأثر ، وخاصة ذلك الاقليم الذى نشأ فيه الحكيم الترمذى فقد كان مهدا لأعلام المحدثين فى العالم الاســلامى كله ، وحسبنا أن نعرف أن البخارى ومسلما والترمذى وابن ماجه ، والبيهقى وأبوداود كانوا جميعا من غرس هذا الاقليم وثمرة من ثماره •

ومن طلب علم الرأى نزل ببغداد ، والتقى بأصحاب أبى حنيفة وأخذ عنهم ، وتتلمذ عليهم •

ومن طمحت نفسه الى أدب العربية ونحوها وصرفها وغريبها ولى وجهه شطر الكوفة والبصرة •

وقد تميزت منطقة خراسان بأنها كانت مهدا لشيوخ الصوفية الكبار ، ومؤسسى مبادئه وأصوله ، وحسبنا أن نستعرض أسماءهم ، وسنرى من نسبتهم الى مدن خراسان انهم جميعا تربوا فيها ونشئوا على أرضها .

وقد شهدت منطقة خراسان كثيرا من شيوخ الصوفية ، ونبت على أرضها أكثر الفرق الصوفية التى كان لمؤسسيها الأثر البعيد فى الفكر الاسلامى والصوفى منه بخاصة ، وحسب الدارس أن يتصفح أيا من كتب التراجم ، ويصحب شيوخ الصوفية فى رحلتهم مع الحياة ليعلم أن خراسان كانت الأرض الخصبة لتعاليمهم ونشأتهم .

وكان اقليم خراسان الذى تقع فيه مدينة ترمذ ، وما يليه من بلاد ما وراء النهر قبل الاسلام مسرحا لكثير من المذاهب والمعتقدات التى يباين بعضها بعضا ، ويعيش بعضها الى جانب بعض ، وينحو كل منها منحى خاصا من الغلو والتعصب ، ولذا كان الجو العام الذى يسود هذا الاقليم مشحونا بالتعصب والتباين والاضطراب وهذا أمر طبيعى فى منطقة تتقسمها الأهواء والمذاهب والنحل المتباينة (١) .

وكان سكان هذا الاقليم أخلاطا من أجناس مختلفة من الترك والهند والفرس وكان لاختلاف هذه الأجناس وتلاقيها فى هذا الجزء من العالم أثره العميق الجذور فى توزع أفكارهم وأحاسيسهم واتجاهاتهم ، وقد بدا ذلك بوضوح فى الاتجاهات الفكرية والعقائدية والحضارية التى توزعت المنطقة وأثرت فيها الى ما بعد الاسلام ، وكان موقع ترمذ التجارى والحربى يجعل منها نقطة اتصال مباشر بين هذه الأجناس والأفكار والثقافات والعقائد المختلفة (٢) .

---

(١) الدكتور عبد المحسن الحسينى ، المعرفة عند الحكيم الترمذى ص٤٢ طبع القاهرة سنة ١٩٦٨ .

(٢) الدكتور عبد المحسن الحسينى ، المعرفة عند الحكيم الترمذى ص٣٩ طبع القاهرة سنة ١٩٦٨ .

هذه الملامح المتباينة قد ألقت بظلالها على أهل ترمذ ، ولونت أفكارهم جميعا بلون خاص بوعي منهم أو بغير وعى ، ولما جاء الاسلام ورث هذه النوازع والاتجاهات المتناقضة ، ولذلك كان لها أثرها البعيد على الاستقرار السياسى والاجتماعى والفكرى بعد الاسلام ولعل ذلك يعطى تفسيرا لكثرة المذاهب والاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية التى نشأت فى هذا الجزء من الدولة الاسلامية بعد أن أظلها الاسلام بظله .

وفى القرن الثالث الهجرى بالذات بدأت تظهر فى هذا الاقليم اتجاهات فكرية متعددة . أولها وأقواها حركة أهل الحديث التى عمدت الى جمع الحديث النبوى ، وتمييز الصحيح من غيره ، وبلغت هذه الحركة من الشمول حتى أصبحت سمة عامة لثقافة الاقليم جميعه ، ويكفى للتدليل على مدى عمقها وانتشارها أن أصحاب الصحاح الستة البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى . والترمذى ، وابن ماجه ، وسواهم من أئمة الحديث كانوا جميعا من نبت هذا الاقليم وثمرة من ثماره .

وفى هذا الاقليم كذلك نشأت الحركات الصوفية وشيوخها كالملامتية ، وأصحاب الفتوة أتباع شاه الكرمانى ٣١٠ هـ ، والسهلية التى تنسب الى سهل التسترى ٢٨٣ هـ ، والكرامية أتباع محمد بن كرام ٢٢٥ هـ .

ويقع فى هذا الاقليم أيضا مدينة بلخ (١) التى أخرجت عددا من شيوخ الصوفية مثل ابراهيم بن أدهم وحاتم الأصم وغيرهما .

وترعرت كذلك فى هذا الاقليم فرق المتكلمين من شيعة ومعتزلة ، وخوارج بما فيهم المرجئة والجهمية التى نشأت بمدينة ترمذ نفسها التى أخرجت الحكيم الترمذى .

ولم تقتصر المذاهب الفقهية عن القيام بدورها فى هذا الاقليم ، فقد

---

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٣٢٣ .

كان التعصب بين أتباع أبى حنيفة والشافعى عنيفا الى حد الاقتتال وازهاق الأرواح كما تحدث بهذا المقدسى فى كتابه أحسن التقاسيم (١) .

في هذا الجو المشحون بالحركة المليء بالتيارات الفكرية المتصارعة ، وعلى أرض هذه البقعة التى كانت مسرحا لهذا الصراع وملتقى لاختلاف الأفكار والآراء ، والحضارات والأجناس ولد الترمذى وفى خضمها نشأ وترعرع وتعلم وأخذ وأعطى .

وقد لزمت كتب الطبقات والسير الصمت ازاء تاريخ ميلاد الحكيم الترمذى فلم يحدثنا أى منها ـ سواء المصادر العربية أو الفارسية ـ متى بدأ بزوغ هذه الحياة الفذة الى الوجود ، ولو على وجه التقريب ، لذلك لم يكن سهلا على الباحث أن يذكر تاريخا محددا لميلاد الحكيم الترمذى ، وان كان من المحتمل الاستنتاج بأنه قد ولد فى العقد الأول أو الثانى من القرن الثالث الهجرى ، ولا تستطيع المصادر الموجودة حاليا أن تقدم لنا أكثر من هذا .

وليس هناك من شك فى أن محمد بن على بن الحسن أو الحسين بن بشر أو بشير الترمذى الملقب بالحكيم والمكنى « أبو عبد الله » قد ولد فى مدينة ترمذ احدى مدن ما وراء النهر ، الواقعة على ضفة نهر جيحون . وقد ذكر الدكتور على حسن عبد القادر والبرفسور آربرى فى مقدمتهما لكتابى « الرياضة وأدب النفس (٢) » :

ان المؤرخ الفارسى : حافظ آربرو قال : ان الاسكندر الأكبر أسسها وأنها كانت مركزا للبوذية وقت الفتح الاسلامى ، وكان بها اثنا عشر ديرا لزهاء ألف راهب ، وكان يحكمها ملك يسمى ترمذ شاه ، ويحميها حصن قوى على ضفة النهر . وفى عام ٧٠ هـ / ٦٨٩ م فتحها موسى بن عبد الله بن

---

(١) المعرفة عند الحكيم الترمذى ص ٤٥ .
(٢) طبع بالقاهرة سنة ١٩٤٧ م مطبعة الحلبى

خازم ، واستمر حاكما عليها طوال خمسة عشر عاما الى ان خلفه عثمان ابن مسعود بأمر من المفضل بن المهلب حاكم الولاية (١) .

وتحدث عنها ياقوت فى كتابه معجم البلدان فقال : مدينة مشهورة ، من أمهات المدن ، راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقى ، متعلقة العمل بالصغانيان ولها قهندر وربط ، يحيط بها سور ، وأسواقها مفروشة بالآجر ، ولهم شرب يجرى من الصغانيان لأن جيحون يستقل عن مشرب قراهم(٢) .

وأخرجت ترمذ كثيرا من المحدثين والفقهاء ، وأشهرهم أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى صاحب كتاب « الجامع والعلل » وكتاب « الشمائل » .

وترمذ اليوم قرية متواضعة بالاتحاد السوفييتى بالقرب من الحدود الأفغانية وكانت الى عهد قريب داخل حدود أفغانستان ، وقد نقل محققا كتاب الرياضة أن قبره الآن معروف فى خرائب ترمذ القديمة ، وهو من المرمر الأبيض (٣) .

وفاته :

اذا كانت كتب الطبقات والسير قد لزمت الصمت بالنسبة لميلاد الحكيم الترمذى فانها قد تحدثت عن تاريخ وفاته حديثا يتفاوت الخلاف فيه حتى يصل الى خمسة وستين عاما ، وسنحاول جاهدين أن نستنتج تاريخ وفاته جهد الاستطاعة حسبما تهدينا المقارنة بين ما كتب عنه فى كتب الطبقات والسير ، فقد جاء فى سفينة الأولياء وفى أماكن من كشف الظنون أنه توفى عام ٢٢٥ هـ ، ولكن الدارس لحياة الترمذى وما كتب حوله لا يتردد فى عدم التسليم بذلك لأن الترمذى نفسه كتب عن بعض الرؤى التى رأتها زوجة له

---

(١) مقدمة الرياضة وأدب النفس ص ٤ .
(٢) معجم البلدان .
(٣) مقدمة الرياضة وأدب النفس ص ١١ .

وذكر تاريخ هذه الرؤى بالساعة واليوم والسنة حيث يقول فى رسالته « بدو الشأن » وهى المعروفة بعنوان بدو شأن الحكيم الترمذى « ورأت لاثنين أو لثلاث وذلك يوم السبت ضحى لعشر بقين من ذو القعدة سنة تسع وستين ومئاتين (١) » ويبدو من هذا أن الحكيم الترمذى كتب رسالته هذه فى حدود علم ٢٧٢ هـ ، وكذلك ليس صحيحا ما ذكره ماسيثيون وبعض أماكن فى كشف الظنون من أن وفاته كانت عام ٢٨٥ هـ لأن الذهبى والسبكى يرويان انه طرد من ترمذ ورحل الى نيسابور ، وأخذ يدرس الحديث هناك وكان ذلك فى عام ٢٨٥ (٢) ، ولا يمكن التسليم بما استنتجه الدكتور على حسن عبد القادر والدكتور آردرى من أن وفاته كانت فى حدود عام ٢٩٦ هـ لأن ابن حجر يروى فى لسان الميزان أن الأنبارى سمع منه عام ٣١٨ هـ ، والحق أن ليس هناك من دليل قاطع على تاريخ وفاة الحكيم الترمذى ، لذلك لا يمكن للباحث أن يقطع بتاريخ محدد لذلك ، ولكن يمكن بعد استعراض المناقشة السابقة أن يذهب الى أن وفاته كانت بعد عام ٣١٨ هـ وقد يكون ذلك فى ٣١٩ هـ أو ٣٢٠ هـ كما ذهب الى ذلك بروكلمان .

ومن الواضح من العرض السابق أن الحكيم الترمذى قد عاش عمراً طويلا ، قد يقارب المائة عام أو يزيد أو ينقص عنها قليلا ، وسنحاول فى الصفحات المقبلة أن نتتبع هذه الحياة ، ونلم بما جرى فيها من الأحداث التى تسعفنا المراجع بالحديث عنها أو الاشارة وهى ولا شك أحداث قليلة ، لأن الباحث لا يجد فى المراجع الميسرة له ما يشبع رغبته فى الاستقصاء والبحث عن دقائق هذه الحياة العريضة ، الحافلة بالمفاجآت المثيرة ، والحجاج العلمى العنيف الذى يستشعر الباحث مدى حرارته وقسوته فيما نال الحكيم من نفى واضطهاد ومطاردة أدت الى لزومه بيته وحرمت عليه الاتصال بالناس والحديث اليهم ، ولو قدر لنا أن نقف على تفصيلات هذه المعارك العلمية

---

(١) بدو شأن أبى عبد الله مقدمة ختم الأولياء ص ٣ ، ومخطوط اسماعيل صائب رقم ١٥٧١ .

(٢) راجع تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ١٩٧ ، وطبقات الشافعية جـ ٢ ص ٣٢٠

فاننا سنقف على صورة دقيقة لما كانت تموج به هذه العصور من حجاج علمي وصراع فكرى حاد امتلأت بهما حياة الشيخ وانعكس أثرهما على كتاباته ومناقشاته ، وقد ينبىء عن عنف هذه المعارك وأثرها على نفس الشيخ الحكيم ومدى علاقاته بالناس من حوله عبارة رددتها عنه أكثر الكتب التي تحدثت عنه وهي قوله : « ما صنعت شيئا لينسب الى » ، ولكن كنت اذا اشتد على « وقتى أتسلى بمصنفاتى » (١) • فقد تشف عن مدى ما كان يعانيه من قطيعة الناس ، وعدم الاجتراء على لقائهم أو الحديث اليهم، ولعل ذلك كان نزولا على حكم الوالى الذى طلب اليه ألا يتحدث الى الناس ولا يلتقى بهم بعد ما اتهموه بافساد الناس وشهدوا عليه بالكفر • ترى ما هى معالم هذه الحياة المثيرة ؟ ، وفى أى البيوتات نشأ الحكيم وترعرع ؟ •

لقد فتح الحكيم عينيه على حلقات العلم والدرس منذ بدأ يعقل ، لأن أباه كان أحد علماء الفقه ورواة الحديث كما يبدو من حديثه عنه ، وقد أخذ أبوه يغرس فيه حب العلم وتحصيل المعارف ويحمله على ذلك حملا فى وقت مبكر ، حتى امتلأ وقته منذ الصبا الباكر بالاقبال على الدرس وتحصيل العلم ، بفضل تشجيع والده وحثه على الاستزادة منه مدفوعا بحرص الاب ومسئولية المربى حتى أصبح العكوف على الدرس أمرا مألوفا له فى سنه الباكر الذى يقطعه أترابه فى اللهو واللعب وقد كان أبوه أستاذه الأول ، ولعله استغنى بذلك عن التردد على الشيوخ فى :

صباه الأول : ويفهم مما كتبه الحكيم عن تعليمه فى هذه السن المبكرة ان أباه كان يدرس له علم الرأى والآثار أو بعبارة أخرى علم الحديث والفقه ، فقد كان أبوه محدثا ويروى عنه فى كتبه جميعها ، وهذا كله يجمله الحكيم فى عبارة موجزة بقوله : « كان بدو شأنى أن الله تبارك اسمه قيض لى شيخى ، رحمة الله عليه • من لدن بلغت من السن ثمانيا ، يحملنى على تعلم العلم، ويعلمنى ويحدثنى عليه ، ويدئب ذلك فى المنشط والمكره ، حتى صار ذلك لى عادة

---

(١) ابن حجر : تهذيب التهذيب ، السبكى : طبقات الشافعية •

وعوضا عن اللعب فى وقت صباى فجمع لى فى حداثتى علم الآثار وعلم الرأى (١) ، ولا ندرى على وجه التحديد الى أى مدى استمر والده يعلمه ، ولا ندرى اذا كان هناك من الشيوخ الآخرين من تتلمذ عليه الحكيم فى صباه وفى صدر شبابه غير والده أولا ، لأن المصادر التى بأيدينا قد سكتت عن الحديث عن هذه الفترة من حياة الحكيم الترمذى ، وان كان مما لا شك فيه أن هناك من شيوخ الترمذى الحكيم وأساتذته من قام بتعليمه الى جانب والده ، ولا ندرى على وجه التحديد أيضا متى توفى والده ، وان كان من المؤكد انه قام بالنصيب الأكبر فى تثقيفه وتوجيهه فى الفترة الأولى من حياته ، ويؤخذ من كثرة روايته عن أبيه فى كتبه أن أباه لم يمت الا بعد أن بلغ سن الشباب وحصل كثيرا من مسائل العلم وليس صحيحا أنه مات وهو صغير كما يروى فريد الدين العطار فى تذكرة الأولياء (٢) ،

بره بأمه : ويبدو أن الحكيم كان شديد الحب لأمه كثير العطف عليها ، يعرف لها حقها ويقوم بواجبها كما سيتبين لنا ذلك بعد حين الحديث عن رحلاته وأسفاره ، ولا تشير الكتب التى تحدثت عنه أن كان له اخوة ، ولعل ذلك كان السبب الأكبر فى تعلق أمه به وحرصها على البقاء بجانبها فى وحدتها ومرضها ، وقد كان لتوجيه والد الحكيم له منذ الصبا الباكر أثر بالغ فى تعلقه المبكر بتحصيل العلم ، والرغبة فى الاستزادة من المعرفة ، والاستعداد للرحلة من أجل ذلك كما كانت العادة جارية بذلك فى زمانه بالنسبة للطلاب الذين لم يعرفوا حدودا تفصل بين بلد وآخر ، فالعلم عندهم لا وطن له ، والرحلة فى سبيله أمر مطلوب محبب ، وتاريخ الاسلام حافل برحلات رجاله فى الشرق والغرب للتزود من المعرفة وتحصيل شوارد العلم ، وحسبك أن تلقى بنظرك عبر التاريخ وتستطلع سير مفكريه ، وقادة

---

(١) بدو شأن الحكيم الترمذى مقدمة ختم الأولياء ص ١٤ ومخطوط اسماعيل صائب

(٢) تذكرة الأولياء ج ٢ ص ٩٠ ، ٩١ ،

الرأى فيه لتدرك بجلاء الى أى مدى كانوا يرون الرحلة لهذا الهدف النبيل أمرا لازما ، وفرضا لابد من القيام به .

الرحلة فى طلب العلم :

ولهذا اتفق الترمذى منذ صدر شبابه مع اثنين من زملائه على القيام برحلة علمية يلقون خلالها قادة الفكر فى مختلف الأمصار ، ويتلقون عنهم علومهم ومعارفهم ويأخذون عنهم ، غير أن الأمنية الغالية لم تتحقق للحكيم الشاب فى تلك الفترة التى عقد العزم فيها على السفر مع زميليه ، فقد مرضت أمه ، وطلبت اليه أن يبقى بجانبها يرعاها ، ويقوم على شئونها ، لأنه ليس هناك من يقوم بهذا الواجب سواه ، وما كان للحكيم البار بأمه أن يتخلى عنها فى ذلك الوقت التى تحتاج فيه الى من يرعاها ويقوم بواجبها ، وان كانت الرحلة المرتجاة تلهب خياله ، وتملأ كل أحاسيسه ، والشوق الجارف الى التزود من المعرفة يشغل أيامه ولياليه ، فانطلق صاحباه ، وظل هو يبكى ضياع وقته ، وأفلات الفرصة السانحة ، وقد رسم لنا الشاعر الفارسى فريد الدين العطار صورة معبرة عن المشاعر المتضاربة التى اجتاحت كيان الحكيم وتصارعت فى داخله فى هذه الآونة من حياته ، فلننق بأسماعنا الى العطار وهو يقول : « كان الحكيم الترمذى قد عقد النية فى أول أمره على الرحلة لطلب العلم فى رفقة اثنين من اخوانه ، وفيم هو يأخذ أهبته للسفر مرضت أمه فقالت له : يا بنى انى امرأة ضعيفة ، لا عائل لى ، ولا معين سواك . وأنت المتولى لأمرى ، فالى من تكلنى ، وتذهب ؟ . فنالت هذه الكلمات من نفسه حتى عدل عن الرحلة ومضى زميلاه فى سبيلهما ، ثم مضى على ذلك بعض الوقت كان الحكيم فيه فريسة للأسى والحزن على ما فاته ، وكان يلجأ الى البكاء يخفف به عن نفسه ما تجد ، وذات يوم بينما كان فى المقابر يبكى بكاء حارا ويقول : ها أنذا قد بقيت جاهلا مهملا وسيرجع صاحباى وقد حصلا العلم ، اذا به يرى أمامه فجأة شيخا مشرق الوجه ، فسأله عن سر بكائه ، فأفضى اليه بذات نفسه ، فقال له الشيخ : ألا أعلمك

فى كل يوم شـيئا من العـلم ، فلا يمر عليك كثير من الوقت حتى تسبق اخوانك ؟ فاجابه الى ذلك واستمر الشيخ يعلمه عدة أعوام ، ثم عرف الحكيم بعد ذلك أن معلمه الشيخ انما هو الخضر عليه السلام ، وأنه حصل على هذا ببركة دعاء أمه له (١) ٠

وقد نأخذ من هذا النص مدى ما كان يعتلج فى صدر الحكيم من الرغبة الملحة فى طلب العلم ، وتصارع ذلك مع عاطفـة البر بأمه ، ثم انتهائه الى التضحية برغبته فى سبيل الحرص على رعاية شئون أمه والقيام بواجبها ، وانعكاس ذلك على مستقبله حتى هيأ الله له الخضر بعوضه ما فاته من أمر السفر ، ويفتح له بسبب ذلك من فيوض الله وخزائن علمه التى لا تنفذ ٠

رحـلة الحج :

ولكن هل كف الترمذى الحكيم عن التفكير فى مثل هذه الرحلة ؟ ٠ وهل قنع بما نال من المعرفة على يدى الخضر ؟ ، لا ، بل ظل يرقب الفرصة حتى سنحت ، وما أن تهيأت له حتى أزمع الخروج الى مكة يحج بيت الله الحرام، وكانت سنه اذ ذاك سبعا وعشرين سنة ، كما يحدث عن نفسه (٢) ، ويبـدو أن ذلك بعد وفاة أمه ٠ ولئن كانت الرحلة مقصدها الأول هو الحج ، فلا بأس من أن تغتنم لتحصيل ما لم يمكن تحصيله من قبل ، ففى طريقه الى البيت المحرم مر بالعراق ليأخذ الحديث عن علمائه ، وهناك عرج على الكوفة والبصرة يأخذ عن شيوخها ، وبقى بها الى رجب من نفس العـام ، ثم شد رحاله الى مكة وحل بها فى منتصف الشـهر التالى وظل مجاورا للبيت المحرم ملتزما لرحابه حتى حان وقت الحج ٠ وكان يقضى أوقاته فى تلك الرحاب المقدسـة فى العبادة والتضرع والدعاء الى الله ، وكان يكثر ويلح فى أوقات السحر من

---

(١) تذكرة الأولياء (طبع نيكلسون) جـ ٢ ص ٩١ ، ٩٢ ٠

(٢) بدو شأن الحكيم الترمذى مخطوط اسماعيل صائب رقم ١٥٧١ ورقة ٢١٠ ٠

الليل عند باب الملتزم ، ويبدو أنه داوم على ذلك خلال الأشهر الخمسة التى قضاها فى جوار البيت العتيق ، حتى ظفر بتوفيق الله له الى تصحيح التوبة والخروج مما جل ودق ، وأداء فريضة الحج بعد هذا التمحيص الذى استمر خمسة أشهر متواصلة انصهرت فيها نفسه وأرهفت مشاعره ، وانتعشت نوازع الخير فى داخله ، واتصل قلبه بنور الله حتى أبصر طريقه ويقول هو عن نفسه موجزا نتيجة هذه الرياضة والتضرع والدعاء الذى أقام عليه مدى خمسة أشهر فى هذه الأوقات التى تنام فيها الأعين وتأوى للجنوب الى المضاجع ، وفى تلك الرحاب التى باركها الله وطهرها ، وجعلها موئلا لرحمته وساحة لقبوله ، ومجلى لرضاه يقول : فرجعت وقد أصبت قلبى (١) ٠

ويبدو أن هذه الرحلة المقدسة كانت نقطة تحول فىحياة الترمذىوترقيه الروحى ، وكانت فتحا جديدا فى طريقه الى الله ٠ فهو يقول عن نفسه أثناء اقامته بمكة : وسألتهعند الملتزم فى تلك الأوقات أن يصلحنى ويزهدنى فى الدنيا ، ويرزقنى حفظ كتابه ، وكنت لا أهتدى بشىء من الحاجات غير هذا (٢) ٠ ويبدو جليا أن هذه الرحلة كانت نقطة التحول الكبرى فى حياة الحكيم الترمذى ، واتجاهه نحو التصوف ، والسير فى طريقه بعد ما حصل القسط الوافى من ألوان العلوم ولعارف الأخرى السائدة فى عصره كالفقه والحديث والتفسير وعلم الكلام ٠ وقد ألقى بثقله الى حفظ القرآن الكريم وهو فى طريق عودته وتم لهحفظه جميعه بعد وصوله الى وطنه ترمذ وأخذ القرآن من احساسه وعقله وقلبه ووجدانه كل مأخذ حتى كان يقطع الليل كله يتلوه الى مطلع الفجر ، وحتى وجد فى قلبه حلاوته وانشرح صدره لنوره ٠

---

(١) بدو شأن الحكيم الترمذى مخطوط اسماعيل صائب ورقة ٢١٠ ٠

(٢) بدو شأن الحكيم الترمذى مخطوط اسماعيل صائب ورقة ص٢١٠، ومقدمة ختم الأولياء ص ١٤ ٠

ثم أخذ فى تتبع الكتب التى تتحدث عن محامد الرب على حد تعبيره والعظات وحسن الكلام الذى يعين على أمر الآخرة •

الحيـــرة :

وقد مر الترمذى بفترة قلقة أشبه ما تكون بالحيرة التى تنتاب السالك فى محاولاته اكتشاف النفس أو الاطمئنان الى طريق الهدى ، فهام على وجهه يبحث عن مرشد أو واعظ يأخذ بيده ، فلا يجد من يوجه طريقه ويسدد خطاه، ويبدو أن الخوف والقلق قد اشتد به خلال هذه الفترة الحرجة ، ولم يجد خيرا من الصلاة والصوم حتى اهتدى الى سماع أقوال العارفين ، وأثناء بحثه عن معين على الطريق وقع فى يديه كتاب الأنطاكى (١) ، ويبدو انه يقصد كتاب علوم المعاملات لأحمد بن عاصم الأنطاكى ، فأقبل على قراءته ، واهتدى بواسطته الى طريق رياضة النفس ، وأخذ فى تطبيقه عمليا ، وهذه الاشارة العابرة من الحكيم عما انتابه من حيرة تعيد الى أذهاننا ما وصفه الغزالى من حيرته فى كتابه المنقذ من الضلال ، غير ان الغزالى قد أودع تجربته كاملة فى كتابه، والحكيم أشار اليها باختصار ولم يعطنا صورة مفصلة عنها وياليته فعل ، اذن لوقفنا على تجربة كاملة تعطى صورة مماثلة أو مغايرة لما أعطاه الغزالى •

التجربة الروحية :

ويمضى الحكيم فى تصوير تجربته الروحية فيأخذ نفسه بمنهج صارم حتى كان يمتنع عن شرب الماء البارد خشية أن يكون قد جرى فى موضع بغير حق ورغبت نفسه فى الخلوة والبعد عن الناس والتردد على الأماكن المهجورة الخربة ، وحبب اليه الخروج الى الصحراء لينال فترة كافية يتخلص فيها من علائق الدنيا ، ويطالبها ويتهيأ له جو هادىء يركن فيه الى التأمل والتدبر فى عظمة الخالق ، وملكوت السموات والأرض ، ولا شك أن سكون الصحراء

---

(١) راجع ترجمته فى طبقات الصوفية وحلية الأولياء •

وجلالها وانفساح الأفق فيها كل ذلك قد هيأ له فرصة نادرة يدرك فيها من أسرار الكون وعظمة الخالق ما لم يكن من الميسور أن يتهيأ له لو عاش بين الناس ، وانشغلت نفسه بمشاكلهم ، وامتلأ قلبه بأمورهم خاصة وانه لم يتهيأ له أصحاب صدق يستعين بهم على المضى فى طريقه الذى تتشوف نفسه الى الوصول به الى الغاية التى ينشدها ، فكانت الخلوة أمرا لابد منه وقد عرض الحكيم هذه الخطوات التى أشرنا اليهـا وما انتابه من نوازع وخلجات أثناء سيره ومجاهدته فى رسالته بدو الشأن ، ولا نجد من بأس بأن نورد هنا نص ما كتبه فانه أكثر تعبيرا عما نود أن نصف من حاله فى هذه الفترة القلقة من حياته وان كان فيه تكرار لبعض ما أشرنا اليه الا أن هـذا التكرار يلقى أضواء جديدة وفى الوقت نفسه يضع بين أيدينا مثلا من كتابة الحكيم الترمذى وطريقة تفكيره وأسلوب تعبيره : يقول .. « فرجعت وقد ألقى على حرص حفظ القرآن فى طريقى ، فأخذت صدرا منه فى الطريق ، فلما وصلت الى الوطن يسر الله على ذلك بمنه حتى فرغت منه ، فأقامنى ذلك بالليل ، فكنت لا أمل من قراءته ، حتى انه كان ليقيمنى ذلك الى الصباح ووجدت حلاوته ، فأخذت أتتنع من الكتب محامد الرب تبارك اسمه ، والتقاط محاسن الكلام ، من طريق العظات ، ومما يستعان به على أمر الآخرة واسترشد فى البلاد فلا أجد من يرشدنى الطريق أو يعظنى بشىء أتقوى به ، وأنا كالمتحير لا أدرى أى شىء يراد لى ، الا انى أخذت فى الصوم والصلاة ، فلم أزل كذلك حتى وقع فى مسامعى كلام أهل المعرفة ، ووقع الى كتاب الأنطاكى فنظرت فيه فاهتديت لشىء من رياضة النفس ، فأخذت فيها ، فأعاننى الله ، وألهمنى منع الشهوات نفسى حتى صرت كأنى أعلم على قلبى الشىء بعد الشىء ، حتى ربما كنت أمنع نفسى الماء البارد ، وأتورع من شرب ماء الأنهار فأقول : لعل هذا المـاء جرى فى موضع بغير حق ، فكنت أشرب من البير ، أو من الوادى الكبير ، ووقع على حب الخلوة فى المنزل ، والخروج الى الصحراء ، فكنت أطوف فى تلك الخرابات والنواويس حول الكورة ، فلم يزل ذلك دأبى ، وطلبت أصحاب صدق يعينوننى على ذلك ، فعز على ، فاعتصمت بهذه الخرابات والخلوات » (١) ..

---

(١) بدو شأن الحكيم الترمذى مخطوط اسماعيل صائب ورقة ٢١٠ ، أ ، ب .

وليس من شك فى أن هـذا النص قد زودنا بألوان من المجاهدات والرياضات النفسية التى أخذ الحكيم بها نفسه حتى أسلمته الى ما يريد ، وقد بدا له فى خلال مجاهداته هذه والرغبة فى تحصيل المعارف على اختـلاف أنواعهـا أن يشتغل بتقدير شـأن الزوال وتعلم الحسـاب من أمر البروج والاصـطرلاب وما شاكل ذلك حتى أخذ منه بقسط كبير غير انه انصرف عن المضى فيه الى النهاية بسبب رؤيا رؤيت له تنصحه بترك الاشتغال بهذا النوع من العـلوم خشـية أن يؤثر ذلك على تقـدمه الروحى ، ويكون حجابا بينـه وبين رب العزة (١) ٠

رياضـة النفس :

وداوم الحكيم على رياضـة النفس ، ولزوم العزلة ، وكثرة النجوى ، واستمرار الدعاء ، حتى عرف طريقه ، وأحس من قلبه قوة وانتباها ، فبحث عن زملاء يعاونونه على الطريق ، واتخذ لهم مجلسا يجتمعون فيه للتذاكر والمناظرة والدعاء والتضرع فى وقت الأسحار ، ويبدو أن جانبا من الخواطر التى كانت تدور فى هذه المجالس تسرب الى الخارج ، وتناقله الناس واحدا عن الآخر ٠ ولم تنل هـذه اللمحات الروحية القائمة على الذوق والرياضـة رضا بعض الشيوخ الذين كانوا ينهجون فى فهم الدين وأوامره منهجا آخر يدور فى فلك الألفاظ وفهمها الظاهر مما يناسب العامة من الناس ٠٠ ويبـدو أيضا أن هذه المجالس كانت تحفل بكثير من اشارات الصوفية ، ولمحات العارفين فى أمور لم يألف الناس الخوض فيها ، أو تناولها على هذا النحو الذى يطلق فيه العنان لاشراق النفس ، ونور القلب ، فيلهم أهله فهما فى آية من كتاب الله أو شرحا لحديث من أحاديث رسوله الكريم ، أو تعليلا لأمر من الأمور التى كانت مجالا يخوض فيه الناس فى ذلك الوقت ، وكانت مثار أخذ ورد بين العلماء الباحثين

---

(١) بدو شأن الحكيم الترمذى مخطوط اسماعيل صائب ورقة ٢١٥ ب ومقدمة ختم الأولياء ص ٢٧ ٠

وتختلف نظرتهم اليها وحكمهم عليها تبعا لاختلاف المنزع والمنهج والقدرة على الاستنتاج والحرية فيه ، أو تبعا لارتباط الباحث بمنهج معين ، والسير على منوال خاص لا يحاد عنه فى تفسير الأمور ، وتعليلها ٠

اتهام العلماء له :

وقد أدى هذا الاختلاف فى المنهج والقدرة على الاستنتاج الى أن يتناول بعضهم الحكيم بالنقد والتجريح ، وأحيانا بالايذاء والاتهام بالهوى والبدعة ، مما سبب كثيرا من الحزن والألم للشيخ الحكيم ، وقاد حملة الايذاء والتشهير هذه بعض من يدعون العلم ، ولم يعرفوا منه الا ظاهرا يتجملون به أمام الحكام ، ويتواجهون به بين العامة ، ولم يتورعوا أن يغروا به الحاكم ، ويشوا به الى الولاة ، ويشنعوا عليه بين العامة واتخذوا من حديثه عن النبوة والولاية نقطة يثيرون عليه بها الأحقاد ويفترون عليه ما لم يقله ولكن ذلك كله لم يثنه عن استمراره ، وظل دائبا نشيطا ، فلما اشتد الأمر ، وألقى الواشون بثقلهم رفعوا الأمر الى والى بلخ وألقوا بالاتهام جزافا حتى استدعاه الوالى ، وكتب عليه فى حضوره الا يتكلم فى الحب ، وفى تصوير الحكيم الترمذى لهذه المحنة يقول : ٠٠ « فكان يكون لنا اجتماع فى الليالى نتناظر ونتذاكر وندعو ونتضرع بالأسحار ، فأصابنى غموم من طريق البهتان والسعايات ، وحمل ذلك على غير محمله ٠ وكثرت القالة ، وهان ذلك كله على ، وسلط على أشباه ممن ينتحلون العلم ، يؤذوننى ويرموننى بالهوى والبدعة ويبهتون ٠ وأنا فى طريقى ليلا ونهارا دؤبا دؤبا » ٠

« واشتد البلاء ، وصار الأمر الى أن سعى بى الى والى بلخ ، وورد البلاد من عنده من يبحث عن هذا الأمر ، ورفع اليه أن هاهنا من يتكلم فى الحب ويفسد الناس ويبتدع ويدعى النبوة ، وتقولوا على ما لم يخطر ببالى قط ، حتى صرت الى بلخ ، وكتب على قباله ألا أتكلم فى الحب (١) ٠٠ » واشتدت الحياة على

---

(١) بدو شأن الحكيم الترمذى ، مخطوط اسماعيل صائب رقم ١٥٧١ ورقة ٢١١ أ ومقدمة ختم الأولياء ص ١٧ ، ١٨ ٠

الحكيم الترمذى ، وآذته كثيرا هذه الاتهامات الباطلة التى ألصقها به منتحلو العلم زورا وبهتانا ، ولم يكن له بد من أن يتوارى عن الناس ، وعلى الرغم من المرارة التى شعر بها الحكيم من هذا البهتان الذى رمى به ؟ الا انه انتهز فرصة هذه الشدة ليحكم سيطرته على نفسه ويتم له اخضاعها وتذليلها ، ويتخلص من شهواتها الكامنة ، وأهوائها المتربصة ، وهكذا فعل حتى انه ليحدثنا انه كان يمشى حافيا فى الطرقات ، ويلبس الدون من الثياب ، ويحمل ما يحمله العبيد والفقراء ، وكانت نفسه تأنفه قبل ذلك أن تأتى هذه الأمور ، الا أنه استطاع اخضاعها وترويضها حتى ذلت واستكانت ، حتى انه ليستشعر فى قلبه حلاوة هذه الذلة(١) .

وكان الترمذى لا يدع الاجتماع باخوانه فى حلقات الذكر ، الا أن هذه الاجتماعات كانت تتم فى بيوتهم لا فى بيته ، حتى ليحدثنا أنه فى أثناء عودته من هذه الجلسات فى احدى الليالى ، أحس بقلبه وقد أشرق نوره ، واستبيان طريقه ويؤخذ من تناول الترمذى لأحداث هذه الفترة أنه اعتبرها بمثابة تمحيص وامتحان ومحاولة للتغلب على نوازع النفس وامتلاك زمامها ، واخضاع رغباتها ، حتى لا تجمح به أو تستهويها مظاهر العبادة والنسك فتفسد عليه طريقه ، وتصرفه عن غايته التى كرس جهوده كلها للوصول اليها . وقد تلمس صدى هذه المجاهدات الدائبة ، والمحاولات الشاقة لاخضاع أهواء النفس وامتلاك قيادها فيما كتبه الحكيم شارحا ومفصلا طرق رياضة النفس فى كتابيه المسميان .. « الرياضة » و « أدب النفس » .. وفى معالجاته المتكررة فى رسائله الأخرى لألوان الصراع الذى لا يهدأ بين القلب وجنوده من ناحية ، وبين النفس وأعوانها من ناحية أخرى ، وتجده منبثا فى العديد من كتبه ورسائله حينما يحلل مكر النفس ويصورها بصورة الوحش المتربص

---

(١) بدو شأن الحكيم الترمذى مخطوط صائب ورقة ٢١١ ومقدمة ختم الأولياء ص ١٨ .

للفرصة يغتنمها ليفتك بفريسته ، وفى كتابه ختم الأولياء تحليل واف لهذا الصراع وحسبك أن تعود الى مجموعات رسائله لترى هذا الاهتمام ممثلا جانبا كبيرا من محتوياتها •

الابتعاد عن الأضـواء :

وفى الوقت الذى تفرغ فيه الحكيم للسيطرة على نفســه ، واضــطر الى الانزواء بعيدا عن ايذاء الناس وتشنيعهم عليه وجد فى عالم الاحلام والرؤى متنسعا يجد فى رحابه الفسيحة ما يرضى قلبه الكســير ، ويقنع وجدانه الجريح ، ويستبدل فيه سعادة الرضى بالمرارة القاسية التى تجرعها من كيد منتحلى العــلم له • اثارة العامة عليه حســدا من عند أنفسهم ، واتهامهم له ظلما وعدوانا ، وقد زودنا الحكيم بصورة حية لهذه المشاعد والأحاسيس التى عاش فيها ، وقاسى مرارتها ، بما قصه علينا من رؤى رآها أو رؤيت له ، والتى تعتبر بحق تعويضا داخليا يلجأ اليه الوجدان ويحيا فيه العقل الباطن للانسان فيعكس فى المنام ما لم يتحقق فى عالم الواقع ، وفى الوقت ذاته يمد صــاحبه بطاقة من المثابرة والجد حتى يظفر بما يكافح من أجله ويعوضه عما ناله من قسوة النــــاس وظلمهم ، ويفتح أمامه الأمل العريض فى حســن العاقبة • واستقامة الطريق • ولا شك أن الرؤى فى مثل الظروف التى يتمتع أصحابها باشراق النفس وصفاء القلب • وشفافية الروح ، ورقة الحس تكون بمثــابة وعد لهم أن يواصلوا سيرهم ، ويقيموا على منهجهم حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا ، خاصة وأن الحكيم الترمذى ومن على شاكلته من شيوخ الصـــوفية يرددون قول النبى صلى الله عليه وسلم •• « لم يبق من النبوة الا المبشرات قيل : وما المبشرات ، يا رسول الله ؟ •

قال : الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له » •

وقد عاين الحكيم الترمذى كليهما ، فقد رأى هو نفسه ما فسح له باب الأمل وهون عليه انكار الناس ، ورؤى له ما ثبته وقوى روحه ، وقد قص علينا

جانبا من هذه الرؤى فى رسالته « بدو شأن الحكيم الترمذى » ومن رؤاه التى رآها حينما أحكم حساده من حوله الدائرة وضيقوا عليه الخناق حتى انه كان يخاف الظهور أمام الناس قوله « .. فبينما أنا على هذه الحال ، اذ رأيت فيما يرى النائم كأنى أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم . دخل المسجد الجامع فى كورتنا . فأدخل على أثره ، فألزم اقتفاء أثره ، فما يزال يمشى حتى دخل المقصورة ، وأنا على أثره ، ومن القرب منه ، حتى كأن أكاد ألتزق بظهره ، وأضع خطاى على ذلك الموضع الذى يخطو عليه حتى دخلت المقصورة فرقى المنبر ، فرقيت على أثره ، كلما رقى درجة رقيت على أثره ، حتى اذا استوى على أعلاها درجة قعد عليها ، فقعدت عند الدرجة الثانية من مجلسه عند قدميه ، ويمينى الى وجهه ، ووجهى الى الأبواب التى تلى السوق ، وشمالى الى الناس ، فانتبهت من منامى ، وأنا على تلك الحال » (١) .

ولا يحتاج المرء الى تفكير عميق ليستنتج أثر رؤيا كهذه على نفس رجل يتهمه الناس بالكفر ويقاطعونه من أجل ذلك ، وهو يحيا فى رؤاه مع النبى يقفو خطاه ويتبع أثره ، وفى ذلك ما فيه من الطمأنينة الى أن منهجه لا عوج فيه ولا زيغ ، وتأكيد لسلامة طريقه ، وبعده عن الانحراف والمؤاخذة ، وحسبه أن تحقق له ذلك وتأكد منه ، وليقل الناس فى شأنه ما يقولون ، فهم لا يعرفون طوايا القلوب .

ولعل ما يطلع عليه الدارس لآثار الترمذى من كتابات يتناول فيها علماء الرسوم بالنقد الشديد ، واللوم العنيف وتعريتهم من كل ثمرة من ثمار العلم النافع والمعرفة الحقة ، لعل ذلك يرجع الى ما عاناه من تحاملهم عليه ، وتشهيرهم به ، وكيل التهم اليه جزافا حتى حل به ما حل من الضيق ، وعانى من الألم والمرارة ما أشار اليه فى رسالته « بدو شأن الحكيم » التى كانت احدى ثمرات فترة الاضطهاد والتضييق التى مر بها .

---

(١) بدو شأن الحكيم الترمذى مخطوط اسماعيل صائب ورقة ٢١٠ ب ، ختم الأولياء ص ١٦ .

ويمكن القول ان هذه الفترة المشار اليها قد امتدت حتى عام ٢٨٦ هـ ، وهو التاريخ الذى انتقلت فيه ولاية بلخ الى حكم السامانيين ، وانتهت ولاية آل الصفار الذين استمعوا الى الوشاة ·· وآخذوه بما قالوا · كما مر بيانه· وقد تكون مدة الشدة هذه قد امتدت أكثر من عشر سنوات وأغلب الظن أنها تكررت ، وفى أثنائها رحل الحكيم الى نيسابور وقام بتدريس الحديث هناك ، وأخذ عنه كثيرون من محدثيها كما يتبين ذلك من استعراض أسماء الرواة عنه . وقد قام بهذه الرحلة عام ٢٨٥ هـ كما ذكر ذلك الذهبى فى تذكرة الحفاظ (١) · ولهذا وصفه كثيرون من كتاب التراجم بالمحدث ، فقد قال الذهبى : انه عنى بهذا الشأن « يعنى رواية الحديث » (٢) ورحل فيه ، وقال عنه شارح الرسالة القشيرية : سمع الكثير من الحديث بالعراق وغيره ، وهو من أقران البخارى ، وروى قول الحافظ ابن النجار فى تاريخه انه كان اماما من أئمة المسلمين له التصانيف الكبار فى التصوف وأصول الدين ومعانى الحديث وفى شيوخه كثرة (٣) ·

ويبدو أن فترة المحنة هذه جعلته يكف عن الحديث فى التصوف والخوض فى مسائلة علانية وفى الحلقات العامة للدرس ، واقتصر على تناول الدقائق والاشارات فى مجالسه الخاصة ، ومع تلامذته الأدنين فى حالة الحاجة الى تجليه فكرة أو اجابة عن سؤال أو دعوة الى تصحيح اتجاه أو تقويم معوج »·

اهتمامه بالحديث :

وكان لاهتمام الحكيم الترمذى بالحديث طابع بارز ترك آثاره فى تفكيره ومنهجه وأسلوب تعبيره ، واستقل علم الحديث والتأليف فيه بثلاث مجموعات من مؤلفات الترمذى الحكيم الأولى تؤلف كتاب نوادر الأصول الى معرفة أخبار

---

(١) جـ ٢ ص ١٩٧ طبع حيدر آباد الدكن ·
(٢) جـ ٢ ص ١٩٧ طبع حيدر آباد الدكن ·
(٣) شرح الرسالة القشيرية جـ ١ ص ١٦٤ ·

الرسول وقد رواه عنه علماء نيسابور وطبع فى استانبول سنة ١٢٩٣ هـ بعناية وشرح الشيخ مصطفى الدمشقى .

الثانية - تؤلف كتاب الرد على المعطلة ، ولازال هـذا الكتاب مخطوطا حتى الآن وتوجد منه نسخة فى مكتبة بلدية الاسكندرية تحت رقم ١٤٥ فنون متنوعة وان كان كثير من صفحاتها قد انمحت منها أسطر أو بعض أسطر عديدة بفعل المطر أو المياه مما يجعل الانتفاع به علميا غير ممكن الا اذا هدى البحث الى العثور على نسخة أخرى ، فى المستقبل حينئذ يمكن تعويض النقص بالمقابلة عليها ، ونسخة الاسكندرية هذه ضمن مجموعة كلها للحكيم الترمذى تشتمل على المسائل المكنونة ، وتحصيل نظائر القرآن والمجموع قد نسخ فى سنة ٥٩٣ هـ بخط محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أبى جراد .

والثالثة - تؤلف كتاب .. المنهيات وكل ما جاء من حديث بالنهى ويوجد منه نسختان احداهما فى باريس والثانية فى مكتبة أسعد أفندى باستانبول، وكلاهما فى حالة جيدة .

وقد تركت دراسة الترمذى للحديث طابعها فى مؤلفاته الأخرى ، وكانت الأحاديث مادة غزيرة بين يديه استعان بها فى تأييد أفكاره فى التصوف وقضاياه التى تصدى لها كالولاية ، والرياضة ، وأدب النفس ، ومناهج السلوك ، والمعرفة وغيرها من الأمور التى حفلت بها كتبه ورسائله العديدة ، بحيث تجد أثر ذلك فى كل صفحة مما كتب .

أسـرته :

وأغلب الظن أن أكثر مؤلفات الترمذى قد كتبت فى هذه الفترة ، التى كان يقتل فيها فراغ الوقت بالكتابة وتسجيل خواطره ، وتحس مما سجله الحكيم الترمذى فى رسالته « بدو الشأن » ان زوجه كانت تأخذ بنصيب من هذا الاتجاه الروحى وكان لها أثر كبير فى التخفيف عنه ، ومعاونته على اجتياز هذه الفترة العصبية ويظهر اعزاز الحكيم لها وتقديره بما يرويه من رؤاها التى رأتها له .

وكان الحكيم رب أسرة كبيرة فيما يبدو تضم عددا من الأطفال ، ففى احدى(١) رسائل مجموعة ليبزج يذكر انه بلغ من العمر خمسة وستين عاما ، وان له ستة من الأولاد ، والمعتقد أن الحكيم كان فى وضع مالى مريح أميل الى اليسار كما يؤخذ من الحادثة الآتيـــة التى رواها فريد الدين العطار فى كتابه تذكرة الأولياء ، والتى تقول : انه كان متوجها فى أحد الأيام الى المسجد يرتدى جبة نظيفة وعمامة نقية ، فألقت الخادم بماء ملوث بفضلات طفل رضيع فأصاب رأسه وملابسه » (٢) .

ويعنيـا من ايراد هذا الخبر أن نبرز أن الحكيم كان يستعين بخادم لترعى أطفاله وشئون منزله ، ولا يفعل ذلك الا ذوو اليسار والعيش الرغد .

وكانت علاقة الحكيم الترمذى بزوجه وأولاده قائمة على المحبة والاحترام، فقد روى فريد الدين العطار أن أبناءه سئلوا كيف يعرفون أن الشيخ غضبان ؟ .

فكانت اجابتهم : ان عطفـــه عليهم يكون أكثر منه فى الأيام العادية ، ويمتنع عن الطعام والشراب ، ويأخذ فى البكاء والتضرع الى الله قائلا : يا رب فى أى شىء أغضبتك حتى أغضبونى هكذا ؟ يا الهى ندمت ، فأعدهم الى الصواب، عند ذلك نعلم انه غضبان منا ، فنندم ونترضاه حتى يذهب عنه حزنه(٢) .

ويبدو أن حياة الترمذى الحكيم الأسرية كانت حياة ترف السعادة على جوانبها ، ويظللها الاخلاص والوفاء ، وتزينها زوجة صالحة تحتـل من قلب الزوج ومشاعره مكانا مرموقا ، وتشاركه مسرات الحياة وأحزانها ، وكان لها الى جانب ذلك حظ من المعرفة الالهية ، والسمو الروحى مما أنسى الترمذى وعاونه كثيرا فى أيام شدته ، وأمده بطاقة جديدة تفسح له فى رحاب الأمل ، وتشد على يديه وتتطلع معه الى فيض الله يغمره واياها ، والى توفيقه يبدد من طريقه المصاعب ويزيل العراقيل والشدائد .

---

(١) مجموعة ليبزج ٢١٢ ص ورقة ١٦٨ .
(٢) تذكرة الأولياء : لفريد الدين العطار جـ ٢ ص ١٩١ ، ١٩٢ .



تقـديره لزوجه :

وكان الحكيم يعرف لها هذا ، وتحل من نفســـه محل الاعزاز والأعجاب والتقدير ويتجلى كل ذلك من خلال حديثه عنها فى رسالته « بدو شـــأن الحكيم ٠٠ » حيث ألم ببعض تجاربها الروحية ومجاهداتها مما يوحى بأن كان لها مقام تجاهد فى سبيل الوصول اليه ٠ ومن ثنايا حديث الحكيم عن زوجه ورؤاهايعطينا تاريخا لبعض هذه الرؤى مما يساعد على معرفة الزمن الذىكانت فيه هذه الفترة القاسية والتى عانى فيها ما عانى ، فقد حدث انها رأت لسنتين أو ثلاث ، وذلك فى يوم الســبت ضحى لعشر بقين من ذى القعدة ســـنة تسع وستين ومئاتين(١) ٠٠ » وقد تأخذ من هــذا النص ان الحكيم سجل خواطره فى تلك الرسالة بين عامى ٢٧٢ هـ أو ٢٧٣ هـ ، وهو ما يشعر به قوله عن زوجه « ثم رأت لسنتين أو ثلاث ، وذلك فى يوم السبت ضحى لعشـــر بقين من ذى القعدة سنة تسع وستين ومئاتين ٠٠ » ويعطى كذلك دليلا جديدا أن فترة الشدة هذه تمتد على مدى التاريخ الذى استنتجناه من قبل ، غير أن هناك احتمالا قد يثير الشـــك فى أن فترة المحنة قد امتدت الى عام ٢٨٥ هـ حسبما أشرنا من قبل وذلك على تقدير أن الحكيم بدأ فى تسجيل خواطره بعد زوال المحنة وانتهاء آثارها ، وهذا ولاشك احتمال يحتاج الى التأمل والمناقشة، ولو سلمنا به لكان هذا نقضا صريحا لـما سبق أن قلنا بالنسبة لامتداد زمن الاضطهاد حتى ٢٨٥ هـ وهذه النتيجة لا مفر من التسليم بها اذا ذهبنا الى أن الحكيم سجل خواطره بعد زوال المحنة وارتفاع أسبابها ٠

أما ان المحنة قد امتدت الى عام ٢٨٥ هـ فهذا أمر ثابت بدليل رحلته الى نيسابور فى نفس العام المذكور ، واذا كان الأمر كذلك فكيف نجد مخرجا من هذا الأمر الذى يبدو متناقضـــا فى ظاهره عند الوهلة الأولى ، ويلقى ظلالا من الشك على صـــحة التاريخ الذى حددناه لانتهـــاء المحنة ، والذى نرجحه أن

---

(١) بدو شأن الحكيم الترمذى، مخطوط اسماعيل صائب ورقة ٢١٧ (أ)، وختم الأولياء ص ٣١ ٠

الاضطهاد قد انتهى نهائيا فى ٢٨٥ هـ ولكن ليس معنى ذلك أن التاريخ السابق عليه كان كله تضييقا ومصادرة بل كان ذلك فى أغلب الأحوال وكانت هنـــاك فترات تتخلل هذه الشدة ينجو فيها الحكيم من مؤاخذة الوالى ومتابعة حساده والنافسين عليه ، وقد تكون هذه الفترات هى التى كان يزول فيها ســـلطان بنى الصفار عن الاقليم ، ومما يؤيد هذا الاستنتاج أن كتب التاريخ تذكر أن كثيرا من الثورات قد قامت فى هذه البلاد خلال حكم بنى الصفار لها ، وانها كانت تخرج من أيدى ولاتهم الى حين ثم تعود ، وقد تمتد هذه الفترات ما بين عام الى عامين خاصة وأن الحكيم الترمذى نفسه قد أشار الى جانب من هذه الفتن فى عرضه للأحداث التى مرت به ، وأن زعماء التحريض عليه قد فارقوا البلاد لما هاجت الفتنة لأنهم كما كانوا من أعوان الوالى وأنصاره ، وهـذا نص تعبيره « وهاجت بالبـــلاد فتنة وانتقاض أمر حتى هرب جميع من كان يؤذينى ويشنع على فى البلاد ، وابتلوا بالفتنـــة ووقعوا فى الغربة ، وخلت البلاد لما هاجت الفتنة لأنهم كما يبدو كانوا من أعوان الوالي وأنصاره ، وهذا الحكيم الترمذى جانبا من حريته ، ويتحدث الى الناس بآرائه وأفكاره ٠

ومما لا شك فيه أن هذه الفترة الهامة فى حياة الشيخ الحكيم قد حفلت بكثير من الأحـــداث والوقائع والصراع العلمى ، الى جانب الرياضـــات الروحية التى قص علينـــا جانبا منهـــا ، وقد يشوق الباحثين أن يقفوا على تفاصيل هذه الأحداث وما جرى فيها من مساجلات هادئة أو مثيرة ، ليعرفوا المزيد عن هذه الحياة الزاخرة ، غير أن المصادر الميسرة الآن لم تقدم من هـــذه المعارك العلمية وما استتبعها من أحداث ما يشبع رغبة الدارسين فى الوقوف على أسرار حياة الشيخ الحكيم ، والالمـام بأوجه نشاطه المختلفة ، ولعل هذا يكون ممكنا وميسرا فى يوم من الأيام ٠

---

(١) بدو شأن الحكيم الترمذى مخطوط اسماعيل صائب ورقة ٢١١ ب وختم الأولياء ٠٠



الرحلة الى بلخ :

وآخر الرحلات التى قام بها الترمذى الحكيم رحلته الى بلخ اثر موجة من موجات الاضطهاد العنيف التى تعرض لها ، وقد تحدثت عنها أغلب الكتب التى ترجمت له ، وقد استقبله أهل بلخ بالقبول والترحاب لاتفاقهم معه فى المذهب والأفكار (١) • وقد نقل أخبار هذه الرحلة كل من الذهبى وابن حجر والسبكى مسندين أصلها الى السلمي وان السبب فيها انه ألف كتاب ختم الولاية أو ختم الأولياء كما هو معروف الآن وكتاب علل الشريعة وان أهل ترمذ هجروه لذلك ، ويسند الذهبى الى السلمى انه نفى من ترمذ الى بلخ بسبب تأليف هذين الكتابين (٢) ، وأما ابن حجر فمع اتفاقه مع الذهبى فى سبب هجر أهل ترمذ فانه يقول انه (٣) حمل الى بلخ وكلاهما يسند روايته الى السلمى ، وان كان لفظ حمل الذى استعمله ابن حجر لا يعطى صراحة أن ذلك كان نفيا وان كان المعنى لا يستبعد فهمه من تعبيره ، ثم يأتى ابن السبكى فيسند روايته أيضا الى السلمي ويشارك الذهبى فى أن خروجه كان نفيا بل ان تعبيره أكثر صراحة فهو يقول : « قال أبو عبد الرحمن السلمى نفوه من ترمذ وأخرجوه منها وشهدوا عليه بالكفر وذلك بسبب تأليفه كتاب ختم الولاية وكتاب علل الشريعة (٤) •

ثم جاء بعد ذلك شارح الرسالة القشيرية فردد ما قالوا ، وينسبه الى السلمى أيضا الا أنه قال : انه روى ذلك فى طبقاته (٥) ، والنسخة المطبوعة

---

(١) راجع تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ١٩٧ طبع حيدر آباد الدكن ، ولسان الميزان جـ ٥ ص ٣٠٨ وطبقات الشافعية جـ ص ٢٣ الطبعة الأولى •

(٢) تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ١٩٧ طبع حيدر آباد الدكن •

(٣) لسان الميزان جـ ٥ ص ٣٠٨ طبع حيدر آباد الدكن •

(٤) طبقات الشافعية جـ ٢ ص ٢٠ الطبعة الأولى المطبعة الحسينية المصرية •

(٥) نتائج الأفكار القدسية لشرح الرسالة القشيرية للأنصارى جـ ١ ص ١٦٤ •

من الطبقات ليس فيها هذا الخبر ، ولعل السلمى أورده فى كتابه تاريخ الصوفية وهو مفقود الآن ، وفى رواية ابن حجر جملة تستحق التأمل وهى انه قال : ان ذلك كان فى آخر عمره ، ولنا أن نستنتج من هذا التعبير ان تأليف الكتابين كان فى السنوات الأخيرة من حياة الحكيم وان المطاردة التى هدأت بعد عام ٢٨٥ هـ قد عادت من جديد ، وهاج الناس عليه بعد تأليفه للكتابين المذكورين حتى نفى الى بلخ ووجد ترحيبا من أهلها وقبولا لآرائه فى الولاية وعلل الشريعة ، ومعنى ذلك أن فترات المطاردة والمصادرة كانت تتجدد كلما أبدى الترمذى الحكيم من الآراء ما لا يتفق مع رأى جمهور أهل ترمذ ٠

مع الملامتية :

وقد أتاحت هذه الرحلة للحكيم أن يناقش عن قرب آراء الملامتية خاصة وانه كانت قد جرت بينه وبين اثنين من شيوخ الملامتية وكبار متصوفى بلخ مراسلات ومكاتبات لازال محفوظا لنا بعض منها فى خلال رسائله ، وواحدة منها لمحمد بن الفضل البلخى والثانية لأبى سعيد الحيرى ، ولسنا نزعم أن هذه كانت الرحلة الأولى والأخيرة الى بلخ ، فلعله رحل الى بلخ قبل ذلك والتقى بشيوخها أو لعلهم التقوا به فى ترمذ أو نيسابور أو غيرهما فان تلك كانت سنة الشيوخ فى ذلك العهد يذهب بعضهم الى بعض للمناظرة والمناقشة أو للتلقى أو للمذاكرة أو لمجرد اللقاء والزيارة ٠

وكان حديث الترمذى الحكيم عن النفس وعيوبها ومكرها وشهواتها متأثرا الى حد بعيد بمناقشاته مع شيوخ الملامتية من أهل بلخ وزيارته لها ، ولسنا نعنى بذلك أنه أخذ منهجه فى القضايا المتعلقة بالنفس وآفاتها من الملامتية بل نعنى أن ما دار بينه وبينهم من مساجلة وحوار ومذاكرة كان له اعتبار فى تقديره وبسطه لما يرى سواء اتفق معهم أو خالفهم ، ورسالته الى محمد بن الفضل تكشف بوضوح (١) عن الخط الرئيسى الذى يميز موقفه

---

(١) راجع مجموع مخطوط ليبزج ورقة ١٦ أ ، ب ، ١٧ أ ـ ب ، ١٨ أ ومجموع الاسكندرية ورقة ١٣ ب ، ١٤ أ ـ ب ، ١٥ أ ٠

من علاج أهواء النفس من موقف اللامتية وسنقوم بعرض هذا الفرق عند حديثنا عن الصراع بين النفس والقلب بالنسبة لتجلية رأى الحكيم من هذه القضايا التى تتعلق بالنفس وأحوالها وسنتحدث عن اللامتية فى الفصل الأخير من هذه الدراسة أثناء عرضنا للصلات بين الحكيم وغيره من شيوخ الصوفية ورجالها وقد قلنا منذ قليل ان سبب هذا النفى أو الالتجاء الى بلخ كان الثورة على آرائه التى سجلها فى كتابيه ختم الولاية وعلل الشريعة ويجب أن نعقب بكلمة موجزة هنا عن تطور الاتهامات التى وجهت الى الشيخ الحكيم ، فالذى يبدو انها مرت بمراحل بدأت بالحديث عن الحب وافساد الناس ، وانتهت بالادعاء بتفضيل بعض الأولياء على الأنبياء ، مما سيتبين لنا فيما بعد انه ادعاء لا دليل عليه من قول الحكيم وكتبه ، وانه لم يقل شيئا من هذا مطلقا ، وانما هو سعى الحاسدين وكيدهم يلاحق القمم فى كل جيل وعصر ومكان .

انجلاء الشدة :

وحينما آذن الله لهذه الشدة أن تنجلى كان الحكيم قد بلغ قمة نضجه الفكرى والروحى ، وبدأ ينفذ حديثه الى القلوب ، ويجتمع اليه الراغبون فى المعرفة بعد أن تبين زيف الوشايات وانكشف أمرها ، وأخذ نور الكلمات يغزو القلوب ، ويفك مغالقها ، وأقبل طلاب العلم ينهلون من منابع الحكمة ، ويتزاحمون على مواردها بعدما اختفى زعماء الفتنة وأقبل بعضهم آسفا يجلس مجلس التلامذة يبتغى الهدى ، ويسأل الصفح ، وبدأت دار الحكيم تشهد وفود الطلاب يتقاطرون عليها ويزداد عددهم يوما بعد يوم ، حتى ضاقت بهم جوانبها ، وأخذوا يتزاحمون على أبوابها ومن حولها ، وتقدموا اليه أن يتخذ لهم فى المسجد مجلسا يجمع عديدهم ، ويهيىء لهم فرصة أوسع ومجالا أرحب ، ويستجيب الحكيم الى طلبهم ويتحلق الطلاب من حوله فى المسجد ، ولكنه لم يفرح بذلك ، ولم يجد فيه مجدا تطمح اليه نفسه وترنو ، بل اعتبر ذلك فتنة من الله له وابتلاء تخشى عواقبه ، وما علينا الا أن نلقى له

بأسماعنا يحدثنا عن هذه التطورات السريعة فى موقف الناس منه والتفافهم من حوله بعد القطيعة والاتهام يقول : •• حتى اجتمع النـــاس ببابى من مشايخ البلد من غير أن أشعر بهم ، وقرعوا الباب فخرجت اليهم ، فكلمونى فى القعود لهم ، وكان هؤلاء الأشكال قد قبحوا أمرى عند العامة قبحا كنت اتوهم أنهم السـقم أكثرهم لما كانوا يذيعـون على من الكـــلام القبيــح ، ويشنعون أمرى ويرموننيبالبدعة ، من غير أن يكون ذلك منشأنى ، أوتوهمته قط ، فمازالوا يكلموننى فى ذلك حتى أجبتهم الى القعود فذكرت لهم من الكلام شيئا كأنه يغترف من البحر ، فأخذت من القلوب مأخذا ، واجتمع النـاس ، فلم تحتمل دارى ذلك ، وامتلأت السكة والمسجد ، فلم يزالوا بى حتى مدونى « جرونى » الى المسجد ، وذهبت تلك الأكاذيب والأقاويل الباطلة ووقع الناس فى التوبة ، وظهرت التلامذة ، وأقبلت الرياسة والفتن بلوى من الله لعبده »•

ورجع أولئك الأشكال الى البلاد بعد ما قويت وكثرت التلامذة وأخـذت القلوب مواعظى ، وتبين لهم ان هذا كان منهم بغيا وحسدا ، فلم ينفذ لهم بعد ذلك قول وأيسوا ، وقبل ذلك كانوا صيرواوالسلطان والبلاد على بحال لا أجترىء أن أطلع رأسى فأبى الله الا أن يبطل كيدهم(١) •• » •

وعلى الرغم من المكانة التى وصل اليها الحكيم الترمذى فانه لم يغفل لحظة عن مجاهدة نفسه ، والأخذ بزمامها ومحاسبتها حسـابا عسيرا حتى الخواطر التى تجول بذهنه ، فقد روى فريد الدين العطار أن الحكيم جلس مرة يستعرض فى مخيلته ما مر به من أحداث ، فتذكر أن احدى النساء حاولت اغراءه فى صـــدر شبابه وطاردته بغية أن يتحقق لها ما تريد ففر منهـا ، وفى خلال استعراضه لهذا الحادث جال بخياله •• ماذا عسى قد يكون لو أنه قد أجابها الى ما تريد وقد كان لا زال غض الشـــباب •• غير أنه انتفض

---

(١) بدو شأن الحكيم الترمذى مخطوط اسماعيل صائب ورقة ٢١٤ ، ومقدمة ختم الأوليـاء •

انتفاضا شديدا لما حدثته نفسه بهذا الخاطر ، وامتنع عنه الهدوء والنوم وأخذ ينحى باللائمة على نفسه ، ظانا أن ، هذا الخاطر لا يأتيه إلا اذا كانت هناك ثمة فى تقدمه الروحى ، وخيل اليه أنه وقع فريسة لمكر النفس وخداعها بعد أربعين عاما من المجاهدة والرياضـــة ، فامتنع عن الطعام والشراب ، واجتاحته أزمة نفسية عنيفة لم ينجه منها الا رؤيا رأى فيها النبى صلى الله عليه وسلم ، وطمأنه أن لا خوف عليه من مثل هذه الخواطر العابرة (١) .

---

(١) تذكرة الأولياء ج ٢ ص ٩٣



الفصل الثانى

شيوخه وأساتذته

لم يحدثنا الحكيم عن شيوخ له تعلم منهم وأخذ عليهم الا والده الذى أشار اليه فى رسالته « بدو الشأن » وفى جانب آخر من هذه الرسالة روى الحكيم انه سافر الى الحج ، لما بلغت سنه سبعة وعشرين عاما ، وأنه فى طريقه الى الحج ذهب الى العراق ، وأقام بالبصرة والكوفة يأخذ الحديث عن شيوخهما . ولكنه لم يذكر لنا أسماء هؤلاء الشيوخ ولا مدى تأثره بهم ، وقد ذكرت كتب التراجم وخاصة كتب الرجال أسماء حوالى سبعة عشر من شيوخه الذين تلقى عنهم الحديث فى خراسان والعراق ، وليسوا هم كل شيوخه من المحدثين فانهم يزيدون على المائة والستين محدثا كما سنثبت ذلك فيما بعد وقد تردد فى كتب الطبقات أسماء ثلاثة من كبار شيوخ الصوفية التقوا بالحكيم وكانت له معهم صحبة هم يحيى ابن الجلاء ، وأبو تراب النحشبى ، وأحمد بن خضروية غير أن هذا اللقاء لايعنى أنه كانت هناك تلمذة من الحكيم عليهم ، وانما هو لقاء الأقران والنظراء ، ولو كان هناك شىء من هذا لأخبرنا الحكيم عنه فى مجال عرضه لنا أطوار تقدمه الروحى وبحثه عمن يرشده طريقه ، وكل الذى وقع له انما هو كتاب الأنطاكى كما حدثنا من قبل .

ولعل عدم وجود شيخ فى التصوف للحكيم يلقى ضوءا عن اتجاهه الذى يعبر عنه فى رده على جواب لبعض اخوانه من الرى وفيه ينصح صاحبه ألا يطلب الخالق بالمخلوق (١) ، وهذا على غير المعروف عند عامة شيوخ الصوفية من ضرورة وجود الشيخ حتى يصل السالك على يديه ، ولهذا يرددون قولهم المأثور « من لا شيخ له فشيخه الشيطان » .

---

(١) راجع مخطوط الظاهرية ورقة ١٥٦ - ١٦٠ ، ومخطوط ليبزج

والرواية التى تسند الى الترمذى ورددتها المصادر الفارسية من أن الخضر عليه السلام تولى تعليمه مدة حتى سبق اخوانه وقد جاءت هذه الرواية أيضا فى كتاب الأدعية المنسوب الى الحكيم وهو أحد كتابين نسبا اليه وجاءا باللغة الفارسية أما الكتاب الثانى فهو « نوادر أصول العرفان وزواهر فروع الايقان » وهو مجموعة من المقطعات الشعرية ، وكلاهما مشكوك نسبته الى الحكيم ٠٠ فقد جاء فى كتاب الأدعية قصة لقاء الخضر بالحكيم ومع انها رويت كذلك فى تذكرة الأولياء كما سبقت الاشارة اليها ، الا أن هناك اختلافا فى سياق الأحداث فاذا أخذنا هذه الرواية مأخذ القبول فلا مناص لنا من عداد الخضر شيخا للحكيم بل يكون هو فقط شيخه فى مجال المعرفة الصوفية ، ونظرا لأن هناك خلافا فى سياق الرواية فى كتاب الأدعية عن سياقها فى كتاب تذكرة الأولياء فاننا سنأتى بها هنا من الأدعية كدليل على أن الخضر أقام على تعليم الحكيم فترة من الزمن على حد تعبير صاحب تذكرة الأولياء ، وهذا ما تقوله الرواية : فى أحد أيام الجمعة بينما كان الحكيم فى المسجد اذ غلبه البكاء والنحيب لأنه تذكر الفرصة التى أفلتت منه بذهاب صاحبيه الى العراق لطلب العلم وعدم استطاعته مصاحبتهما بعد أن اتفقوا على ذلك بسبب مرض أمه وعدم اذنها له بالسفر ، فلما اشتد به النحيب تجمع المصلون من حوله يسألونه عن السبب ، وهو لا يستطيع الاجابة من شدة ما غلبه من البكاء حتى قال بعضهم لعله يبكى لفقد أمه وقال آخرون قد يكون ألم به مرض شديد لا يستطيع تحمل آلامه ، وذهب بعضهم الى أنه قد يكون مسه طائف من الجنون فهو يبكى بدون سبب ولم يحر الحكيم جوابا بل أخذ طريقه الى خارج المسجد ٠ واتجه الى المقابر بالقرب منه حيث سقط فاقد الوعى لما أصابه من الألم ٠ فلما أفاق وجد رأسه فى حجر شيخ وقور يشع النور من وجهه ولحيته البيضاء ، فنهض الحكيم وحيى الشيخ بأدب واحترام ٠

فأقبل الشيخ على الحكيم يسأله : هل تعرفنى ؟ ٠

فأجاب الحكيم : فليقل سيدى الشيخ ؟

- انى أخوك الخضر ، أجاب الشيخ ، وجئت اليك بأمر من الله ، وجئت معى بكتاب اليك اذا التزمت بما فيه من وصايا وتعاليم فتصل الى هدفك وتتحقق لك أغراضك بتوفيق الله وأدخل يده المباركة فى جيبه فأخرج منه الكتاب ، يقول الحكيم ثم بين لى كيف آخذ نفسى بتعاليمه وكيف أنظم حياتى مع الناس ثم أجازنى ودعا لى (١) » •

ونفس القصة رواها العطار كما سبق الا أن الاختلاف الجوهرى بين الروايتين فى أن رواية العطار تقول : ان الخضر اتفق معه أن يقوم بتعليمه لمدة من الزمن ، وليس هناك اشارة الى كتاب كما هو الحال هنا • وأيما كان الأمر فاننا أمام احتمالين اما أن نرفض الرواية من أسبابها ، وحيثيات الرفض لا تعوزنا ومن أقواها انها لو صحت الاشارة اليها فى « بدو الشأن » حينئذ لا يمكن أن نعتبر الخضر أحد أساتذة الحكيم الترمذى ، واما أن نقبلها على مسئولية رواتها حينئذ نعتبر الخضر واحد من شيوخ الحكيم ولم يرد فيما نسب الى الترمذى من قريب أو بعيد اشارة الى أحد من شيوخه الا والده وما روى حول الخضر •

ولو أردنا أن نحصر أسماء شيوخ الترمذى وخاصة من المحدثين فما علينا الا أن نقوم بعملية مسح لمؤلفاته ونستعرض سلاسل الاسناد ونأخذ المحدث الاخير الذى تلقى عنه الحكيم مباشرة وقد قمت بهذا فعلا مدفوعا بحب الاستطلاع ، ومحاولة معرفة درجة شيوخ الحكيم من المحدثين ، وما يتمتعون به من ثقة عند علماء الرجال فكانت القائمة التالية هى نتيجة هذه السياحة الشاقة فى مؤلفات الترمذى وأغلبها مخطوطات تقارب الستين بين رسالة وكتاب ، وأغلب شيوخه من المحدثين المقبولين لدى علماء الحديث •

وهذه هى أسماؤهم مرتبة حسب حروف الهجاء :

---

(١) الأدعية - مخطوط أيا صوفيا • ورقة ٢ - ٣ •

١ - ابراهيم بن سعيد الجوهرى (١) .
٢ - ابراهيم بن عبد الحميد التمار (٢) .
٣ - ابرهيم بن عبد الله الخلال (٣) .
٤ - ابراهيم بن المستمر المصرى الهذلى (٤) .
٥ - ابراهيم بن هارون البلخى (٥) .
٦ - ابراهيم بن يوسف الحضرمى الكوفى الصيرفى (٦) .
٧ - ابن أخى يحيى بن عيسى الرملى .
٨ - أبوبكر بن سابق الأموى (٧) .
٩ - أبوبكر أحمد بن مطرف (٨) .
- أبوسنان البلخى (٩) .
١٠ - أبو طالب الهروى (١٠) .
١١ - أبو على الصاغاتى (١١)

---

(١) الحافظ أبواسحاق الطبرى البغدادى : قال فى تاريخ بغداد : انه كان ثبتا صدوقا : توفى فى عين الرزية واختلف فى تاريخ وفاته بين ٢٤٤، ٢٤٧ ، ٢٤٩ تاريخ بغداد ،وتذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٢) لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدى من مراجع .

(٣) أبواسحاق ابراهيم بن عبد الله بن أحمد المرزى الخلال ، ذكره ابن حيان فى الثقات وقال مات سنة ٢٤١ هـ قال ابن حجر فى التهذيب قال النسائى كتبنا عنه بمرو مجلسا ولا بأس به ولم يعرف اسم أبيه ، تهذيب التهذيب جـ ١ ص ١٣٢ ، الخلاصة ص ١٦ .

(٤) ترجم فى تهذيب التهذيب جـ ١ ص ١٦٤ ولم يذكر تاريخ وفاته وكذلك الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى جـ ١ القسم الأول ص ١٤٠ .

(٥) قال النسائى عنه انه ثقة ، وقال مرة أخرى لا بأس به ، أنظر التهذيب جـ ١ ص ١٧٦ ولم يذكر تاريخ وفاته وانظر الخلاصة ص ٢٠ .

(٦) اختلف فى وفاته بين سنة ٢٤٩ ، ٢٥٠ هـ ، وذكر ابن حيان فى الثقات ، وقال عنه موسى بن اسحاق انه ثقة ، وقال النسائى ليس بالقوى ، راجع تهذيب التهذيب جـ ١ ص ١٨٥ ، والجرح جـ ١ قسم ١ ص ١٤٨ .

(٧) لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من مراجع .

(٨) حدث عنه فى مجموع ليبزج ورقة ٢٢٣ .

(٩) لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من مراجع .

(١٠) لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من مراجع .

(١١) لم اجد له ترجمة فيما بين يدى من مراجع .

١٢ ـ ابن أبى بكر العمرى (١) •

١٣ ـ ابن أبى ميسرة (٢) •

١٤ ـ أحمد بن بحر العسكرى (٣) •

١٥ ـ أحمد بن عبد الله أبو عبيدة بن أبى السفر الكوفى (٤) •

١٦ ـ أحمد بن عبد الله المهلبى (٥) •

أحمد بن شداد (٦) •

١٧ ـ أحمد بن مرة (٧) •

١٨ ـ أحمد بن مدرك القروى ، صاحب مظالم العباس بن هاشم (٨) •

١٩ ـ أحمد بن مطرف اليمانى (٩) •

٢٠ ـ أحمد بن المقدم أبو الأشعث العجلى (١٠) •

٢١ ـ أحمد بن يحيى الازدى (١١) •

٢٢ ـ اسحاق بن زياد الأسلمى (١٢) •

٢٣ ـ اسماعيل بن صالح (١٣) •

٢٤ ـ اسماعيل بن نصر (١٤) •

---

(١) لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من مصادر •

(٢) لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من مصادر •

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل جـ ١ قسم ١ ص ٤٢ •

(٤) توفى سنة ٢٥٨ هـ ، الخلاصة ص ٧ ، وتهذيب التهذيب جـ ١ ص ٤٨ ، والجرح والتعديل جـ ١ قسم ١ ص ٥٧ •

(٥) لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من مراجع •

(٦) لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من مراجع •

(٧) لم أعثر له على ترجمة •

(٨) لم أعثر له على ترجمة •

(٩) لم أعثر له على ترجمة •

(١٠) توفى سنة ٢٥٣ ، الخلاصة ص ١١ ، وتهذيب التهذيب جـ ١ ص ٨١ ، ٨٢ •

(١١) ذكره الخطيب فى تاريخ بغداد جـ ٥ ص ٢١٢ ولم يذكر تاريخ وفاته •

(١٢) لم أعثر له على ترجمة •

(١٣) لم أعثر له على ترجمة •

(١٤) راجع الجرح والتعديل جـ ١ قسم ١ ص ٢٠٢ •

٢٦ ـ بشر بن آدم بن يزيد البصرى الأصغر أبو عبد الرحمن بن بنت أزهر السمان (١) ·

٢٧ ـ بشر بن خالد العسكرى أبو محمد الغرائضى (٢) ·

٢٨ ـ بشر بن هلال الصواف أبومحمد النميرى (٣) ·

٢٩ ـ الجارود بن معاذ السلمى الترمذى (٤) ·

٣٠ ـ جعفر بن عمرو (٥) ·

٣١ ـ الحارث بن عمير أبو عمير البصرى (٦) ·

٣٢ ـ حجاج بن محمد الأعور (٧) ·

٣٣ ـ الحسن بن الحسن المروزى (٨) ·

٣٤ ـ الحسن بن سوار البغوى (٩) ·

٣٥ ـ الحسن بن عمرو بن شقيق البصرى (١٠) ·

٣٦ ـ الحسين بن حيان العسقلانى (١١) ·

٣٧ ـ الحسين بن على بن الأسود العجلى (١٢) ·

---

(١) توفى سنة ٢٥٤ هـ تهذيب التهذيب جـ ١ ص ٤٤٢ ·

(٢) نزيل البصرة اختلف فى وفاته بين سنة ٢٥٣ أو ٢٥٥ هـ تهذيب جـ ١ ص ٤٤٨ ·

(٣) توفى سنة ٢٤٧ هـ تهذيب التهذيب جـ ١ ص ٤٦٢ ·

(٤) توفى سنة ٢٤٤ هـ تهذيب التهذيب جـ ٢ ص ٥٣ والخلاصة ص ٥١ ·

(٥) لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدى من مراجع ·

(٦) ترجم له فى تهذيب التهذيب ولم يذكر سنة وفاته ، تهذيب جـ ٢ ص ١٥٣ ·

(٧) ترجم له فى تهذيب التهذيب جـ ٢ ص ٢٠٥ وقال انه توفى سنة ٢٠٦ هـ وان صح هذا فكيف يروى عنه الحكيم وراجع تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٣١٥ ·

(٨) لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدى من مراجع ·

(٩) توفى سنة ٢١٦ هـ أو ٢١٧ هـ راجع الخلاصة ص ٦٧ والجرح والتعديل جـ ٤ قسم ٢ ص ٨٨ وتاريخ بغداد جـ ٧ ص ٣١٨ ·

(١٠) توفى حوالى سنة ٢٣٢ هـ ، تهذيب التهذيب جـ ٢ ص ٣٠٩ ، والجرح والتعديل جـ ١ قسم ٢ ص ٢٥ ·

(١١) لم أعثر له على ترجمة ·

(١٢) توفى سنة ٢٥٤ هـ تهذيب جـ ٢ ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، والجرح والتعديل جـ ١ قسم ٢ ص ٥٦ ·

٣٨ ـ خصين بن فضالة (١) .

٣٩ ـ جفضل بن عمرو بن ربال بن ابراهيم بن عجلان (٢) .

٤٠ ـ حميد بن الربيع اللخمى (٣) .

٤١ ـ حميد بن على الخلال (٤) .

٤٢ ـ الخصيب بن مسلم (٥) .

٤٣ ـ داود بن حماد (٦) .

٤٤ ـ رزق الله بن موسى (٧) .

٤٥ ـ الزبير بن بكار الزبيرى (٨) .

٤٦ ـ الزبير بن يحيى بن حسان الخسانى اليشكرى أبو الخطاب السدوسى (٩) .

٤٧ ـ سعيد بن عبد الرحمن المخزومى (١٠) .

٤٨ ـ سعيد مولى الجارود (١١) .

٤٩ ـ سعيد بن يحيى الأموى (١٢) .

٥٠ ـ سفيان بن وكيع

---

(١) لم أعثر على ترجمة له .

(٢) توفى سنة ٢٥٨ هـ تهذيب جـ ٢ ص ٤١٥ ويقال له أبوعمرو الرقاشى البصرى .

(٣) توفى سنة ٢٥٨ هـ ، تاريخ بغداد جـ ٨ ص ١٦٢ ـ ١٦٥ .

(٤) لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من مراجع .

(٥) لم أعثر له على ترجمة .

(٦) قال عنه أبو حاتم فى الجرح والتعديل انه داود بن حماد بن فرافصة البلخى ، راجع الجرح جـ ١ قسم ١ ص ٤٠٩ .

(٧) اختلف فى وفاته ٢٥٦ أو ٢٦٠ أو بعد ذلك ، تهذيب جـ ٣ ص٢٧٣، الجرح جـ ١ قسم ٢ ص ٥٢٤ ، تاريخ بغداد جـ ٨ ص ٤٣٧ .

(٨) صاحب كتاب نسب قريش ، توفى فى ذى القعدة سنة ٢٥٦ هـ تهذيب جـ ٣ ص ٣١٢ تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ٩٩ ، الجرح والتعديل جـ ١ قسم ٢ ص ٥٨٥ ، وفيات الأعيان تحقيق الرفاعى جـ ٦ ص ٥ ـ ٩ ، وتاريخ بغداد جـ ٨ ص ٤٦٧ ـ ٤٧١ .

(٩) توفى سنة ٢٥٤ هـ ، تهذيب جـ ٣ ص ٣٨٨ .

(١٠) توفى سنة ٢٤٩ هـ تهذيب جـ ٤ ص ٥٥ والجرح والتعديل جـ ٢ قسم ١ ص ٤٢ .

(١١) لم أجد له ترجمة .

(١٢) اختلف فى وفاته بين ٢٤٩ هـ أو سنة ٢٥٩ هـ ، تهذيب جـ ٤ ص ٩٨ ، والجرح والتعديل جـ ٢ قسم ١ ص ٧٤ .

- سلم بن جنادة الكوفى (١) .
٥١ - سلمة بن شبيب النيسابورى (٢) .
٥٢ - سليمان بن حميد أبو الربيع الأيادى (٣) .
٥٣ - سليمان بن منصور البلخى أبو هلال الذهبى (٤) .
٥٤ - سهل بن سلم (٥) . ٥٥ - سهل بن العباس (٦) .
٥٦ - صالح بن عبد الله الترمذى (٧) .
٥٧ - صالح بن محمد الترمذى (٨) .
٥٨ - عباد بن بكر بن عباد بن كثير الثقفى (٩) .
٥٩ - عباد بن عثمان بن عباد بن قاسم (١٠) .
٦٠ - عباد بن يعقوب الأسدى الرواجينى (١١) .
٦١ - العباس بن أيوب الزبيرى (١٢) .
٦٢ - العباس بن زرارة اليشكرى (١٣) .
٦٣ - العباس بن عبد العظيم العنبرى (١٤) .

---

(١) ولد سنة ١٧٤ توفى سنة ٢٩٤ هـ تهذيب جـ ٤ ص ١٢٨ جرح جـ ٢ قسم ١ ص ٢٦٩ .
(٢) توفى اما سنة ٢٤٦ هـ أو سنة ٢٤٧ هـ تهذيب جـ ٤ ص ١٤٦ ، قال ابن حاتم : انه صدوق ، الجرح جـ ٢ قسم ١ ص ١٦٤ .
(٣) ترجم له فى الجرح والتعديل ولم يذكر تاريخ وفاته جـ ٢ قسم ١ ص ١٠٦ .
(٤) توفى سنة ٢٤٠ هـ تهذيب جـ ٤ ص ١٢١ .
(٥) جاء فى كتاب الرد على المعطلة ما يشير الى أنه جد الحكيم واذا صح ذلك فقد يكون جده من جهة أمه ولعله الذى ذكره ابن أبى حاتم تحت اسم « سهل بن أسلم » جـ ٢ قسم ١ ص ١٩٣ .
(٦) لم أجد له ترجمة .
(٧) مختلف فى وفاته ٢٣١ هـ أو ٢٣٩ هـ تاريخ بغداد جـ ٩ ص ٣١٥ ، تهذيب جـ ٤ ص ٣٩٥ .
(٨) اتهم بأنه دجال كذاب توفى سنة ٢٢٩ تهذيب جـ ٤ ص٣٩٦ ، تاريخ بغداد جـ ٩ ص ٣٣٠ ولم يذكر تاريخ وفاته .
(٩) كان شيخا صالحا سكن مكة ولكنه كان ضعيف الحديث الجرح والتعديل جـ ٣ ص ٨٣ .
(١٠) ولد بالبصرة وعاش فى مرو الجرح والتعديل جـ ٣ ص ٨١ .
(١١) توفى سنة ٢٥٠ هـ كان شيخا شيعيا كوفيا ، التهذيب جـ ٥ ص ١٥٩ والجرح والتعديل جـ ٣ ص ٨٨ .
(١٢،١٣) لم أعثر لهما على ترجمة .
(١٤) توفى سنة ٢٤٦ تهذيب جـ ٥ ص١٢١ ، وتذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ٢٩٦ تاريخ بغداد جـ ١٢ ص ١٣٧ .

٦٤ ـ عبد الجبار بن حبيب بن ندبه (١) .

٦٥ ـ عبد الجبار بن العلاء (٢) .

٦٦ ـ عبد الرحمن بن الفضل بن الموفق الكوفى (٣) .

٦٧ ـ عبد الرحمن بن هانىء الكوفى النخعى (٤) .

٦٨ ـ عبد الرحمن بن يونس بن محمد الرقى (٥) .

٦٩ ـ عبد الرحيم بن حبيب بن ندبة (٦) .

٧٠ ـ عبد الرحيم أبو عمرو الغيذى (٧) .

٧١ ـ عبد الصمد بن الفضل (٨) .

٧٢ ـ عبد العزيز بن مسلم القسملى (٩) .

٧٣ ـ عبد العزيز بن المنيب المروزى (١٠) .

٧٤ ـ عبد الكريم بن عبد الله السكرى (١١) .

٧٥ ـ عبد الكريم بن عبد الله (١٢) .

٧٦ ـ عبد الله بن خلف بن موسى (١٣) .

٧٧ ـ عبد الله بن عاصم الحمانى أبو سعيد البصرى (١٤) .

---

(١) لم أعثر له على ترجمة ، ولعله عبد الرحيم المذكور تحت رقم (٦٩) .

(٢) مكى صالح توفى سنة ٢٤٨ هـ الجرح والتعديل جـ ٣ قسم١ ص٣٢، وتهذيب التهذيب جـ ٦ ص ٤ .

(٣) أنظر لسان الميزان جـ ٣ ص ٤٠٤ ، و جـ ٤ ص ١٠٥ .

(٤) متهم بالكذب ، الجرح والتعديل جـ ٢ قسم ٢ ص ٢٩٨ ، واختلف فى تاريخ وفاته فقد ذكر ابن حجر ٢١١ أو ٢١٢ أو ٢١٦ هـ تهذيب التهذيب جـ ٦ ص ٢٩٠ .

(٥) توفى سنة ٢٤٦ أو ٢٤٨ هـ ، تهذيب التهذيب جـ ٦ ص ٣٠٣ ، الجرح والتعديل جـ ٢ قسم ٢ ص ٣٠٣ وتاريخ بغداد جـ ١٠ ص ٢٦٩ ـ وفاته ٢٧٠ هـ .

(٦) راجع تاريخ بغداد جـ ١١ ص ٨٦ .

(٧،٨) لم أعثر له على ترجمة .

(٩) خراسانى مروزى سكن البصرة ثقة ، الجرح والتعديل جـ ٢ قسم ٢ ص ٣٩٥ .

(١٠) مستقيم الحديث ، صدوق ، فيه دعابة ، توفى سنة ٢٦٧ هـ تهذيب جـ ٦ ص ٣٦٠ تاريخ بغداد جـ ١٢ ص ٤٥٠ والجرح والتعديل جـ ٢ قسم ٢ ص ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

(١١،١٢،١٣) لم أجد لهم ترجمة .

(١٤) ذكره ابن حجر فى تهذيب التهذيب ولم يذكر تاريخ وفاته راجع التهذيب جـ ٥ ص ٢٧٠ .

٧٨ ـ عبد الله بن حصين الكندى أبوسعيد الاشج الكوفى (١) ·

٧٩ ـ عبد الله بن الحكم بن زياد القَطوانى (٢) ·

٨٠ ـ عبد الله بن عبد الله بن أسيد الكلابى (٣) ·

٨١ ـ عبد الله بن محمد بن صيفى المخزومى (٤) ·

٨٢ ـ عبد الله بن الوضاح اللؤلؤى (٥) ·

٨٣ ـ عبد الله بن يوسف الخيبرى (٦) ·

٨٤ ـ عبد الملك بن عبد الله الرقاشى أبو قلابة (٧) ·

٨٥ ـ عبد الله الربعى (٨) ·

٨٦ ـ عبد الوهاب بن عبد الحليم البزار (٩) ·

٨٧ ـ عبد الوهاب بن عبد الكريم الوراق (١٠) ·

٨٨ ـ عبد الوهاب بن فليح المكى (١١) ·

٨٩ ـ عتبة بن عبد الله المروزى الازدى (١٢) ·

٩٠ ـ عتبة بن محمد الخشنى (١٣) ·

---

(١) توفى سنة ٢٥٦ أو ٢٥٧ هـ تهذيب التهذيب جـ ٥ ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ ·
(٢) توفى سنة ٢٥٥ هـ تهذيب التهذيب جـ ٥ ص١٩٠ ، الجرح والتعديل جـ ٢ قسم ٢ ص ٣٨ ·
(٣) لم أعثر له على ترجمة ·
(٤) راجع تهذيب التهذيب جـ ٦ ص ٩ ·
(٥) توفى فى جمادى الآخرة سنة ٢٥٠ هـ تهذيب جـ ٦ ص ٦٨ ، ٦٩ ، الجرح والتعديل جـ ٢ قسم ٢ ص ١٩٢ ·
(٦) أبو جعفر البصرى توفى سنة ٢٥٠ هـ تهذيب التهذيب جـ ٧ ص٥٧ ·
(٧) ولد سـنة ١٩٠ هـ توفى ٢٧٦ هـ تهذيب جـ ٦ ص ٤٢٠ ، تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ١٤٣ تاريخ بغداد جـ ١٠ ص ٤٢٥ ـ ٤٢٧ ·
(٨) لم أعثر له على ترجمة ·
(٩) لم أعثر له على ترجمة ·
(١٠) لم أعثر له على ترجمة ·
(١١) مكى صدوق ، الجرح والتعديل جـ ٣ ص ٧٣ ·
(١٢) توفى سنة ٢٤٤ هـ تهذيب التهذيب جـ ٧ ص ٩٨ ·
(١٣) لم أعثر له على ترجمة ·

٩١ ـ عقبة بن قبيصة (١) ٠

٩٢ ـ العلاء بن سلمة الرؤاسي (٢) ٠

٩٣ ـ علقمة بن عمرو بن الحصين التميمى (٣) ٠

٩٤ ـ على بن حجر بن أوس السعدى المروزى (٤) ٠

٩٥ ـ على بن الحسن الترمذى (٥) ٠

٩٦ ـ على بن الحسن النيسابورى (٦) ٠

٩٧ ـ على بن خشرم المروزى (٧) ٠

٩٨ ـ على بن سعيد السروقى الكندى (٨) ٠

٩٩ ـ على بن سهل المزلى (٩) ٠

١٠٠ـ على بن عبد العزيز البغدادى (١٠) ٠

١٠١ـ على بن عيسى بن يزيد البغدادى (١١) ٠

١٠٢ـ عمرو القنـــاد (١٢) ٠

---

(١) ذكره ابن حيان فى الثقات ، تهذيب التهذيب جـ ٧ ص ٢٤٩ ٠

(٢) اتهم بوضع الحديث طبقا لرواية التهذيب جـ ٨ ص ١٩٢ ، انظر تاريخ بغداد جـ ١٢ ص ٢٤١ ٠

(٣) توفى سنة ٢٥٦ هـ تهذيب التهذيب جـ ٧ ص ٢٧٦ ٠

(٤) روى عنه مسلم ، رحـــال جوال نزل بغداد ثم تحـول الى مرو قال النسائى : ثقة مأمون حافظ له كتاب أحكام القرآن ، توفى فى منتصف جمادى الأولى سنة ٢٤٤ هـ ، وقال الحافظ البغدادى ولسنة ١٥٤ وتوفى فى منتصف جمادى الأول سنة ٢٤٤ هـ وله شعر يروى ، تاريخ بغداد ، جـ ١١ ص ٤١٦، ٤١٧ ، ٤١٨ ٠ تهذيب التهذيب جـ ٧ ص ٢٩٣ و ٢٩٤ الجرح والتعديل جـ ٣ ص ١٨٣ ، تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ٣٦ ٠

(٥) والد الحكيم الترمذى له ترجمة فى تاريخ بغداد جـ ١١ ص ٣٧٣ ٠

(٦) لم أعثر له على ترجمة ٠

(٧) قريب بشر الحافى ولد سنة ١٦٥ هـ وتوفى سنة ٢٥٧ ، ٢٥٨ هـ ، الجرح والتعديل جـ ٣ قسم ص ١٨٤ ، تهذيب التهذيب جـ ٧ ص ٣١٦ـ٣١٧ ٠

(٨) توفى فى جمادى الأولى سنة ٢٤٩ تهذيب جـ ٧ ص ٣٢٧ ٠

(٩) صدوق ، الجرح جـ ٣ قسم ٠٠ ص ١٨٩ ، توفى ســـنة ٢٦١ هـ تهذيب جـ ٧ ص ٣٢٩ ٠

(١٠) لم أعثر له على ترجمة ٠

(١١) لم أعثر له على ترجمة ٠

(١٢) لعله عمرو بن طلحة القناد ٠

١٠٣ ـ عمرو بن صالح اللؤلؤى (١) .

١٠٤ ـ عمرو بن على الصادقى (٢) .

١٠٥ ـ عمرو بن على بن بحر بن كثير أبوحفص الصيرفى البصرى (٣) .

١٠٦ ـ عمر بن أبى عمر العبدى (٤) .

١٠٧ ـ عمر بن يحيى بن نافع الابلى (٥) .

١٠٨ ـ عيسى بن أحمد العسقلانى (٦) .

١٠٩ ـ فضالة بن الفضل الكوفى (٧) .

١١٠ ـ الفضل بن محمد الواسطى (٨) .

١١١ ـ الفضل بن محمد الوزير الدمشقى (٩) .

١١٢ ـ قتيبة بن سعيد (١٠) .

١١٣ ـ المؤمل بن هشام اليشكرى البصرى (١١) .

١١٤ ـ محمد بن ابان البلخى (١٢) .

١١٥ ـ محمد بن أبى سطيح (١٣) .

١١٦ ـ محمد بن اسماعيل بن سمرة الاحمى (١٤) .

---

(١) لم أعثر له على ترجمة .
(٢) لم أجد له ترجمة .
(٣) توفى سنة ٢٤٩ هـ تاريخ بغداد جـ ١٢ ص ٢٠٧ .
(٤) ضعيف الحديث انظر تهذيب التهذيب جـ ٧ ص ٤٤٧ .
(٥) لم أعثر له على ترجمة .
(٦) ثقة صدوق ، ولد فى بغداد سنة ١٨٠ هـ وتوفى سنة ٢٦٨ . تهذيب جـ ٨ ص ٢٠٦ .
(٧) توفى سنة ٢٥٠ هـ ، راجع تهذيب التهذيب جـ ٨ ص ٢٦٨ .
(٨) لم أعثر له على ترجمة .
(٩) لم أعثر له على ترجمة .
(١٠) ولد سنة ١٤٩ هـ وتوفى فى شعبان سنة ٢٤١ هـ تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ٣٣ ، وتاريخ بغداد جـ ١٢ ص ٤٦٤ . والجرح والتعديل جـ ٣ قسم ٢ ص ١٤٠ ، وتهذيب التهذيب جـ ٨ ص ٣٥٨ .
(١١) توفى سنة ٢٥٦ هـ راجع تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٢٨٤ .
(١٢) لم أعثر له على ترجمة .
(١٣) توفى سنة ٢٥٠ أو ٢٥١ هـ راجع تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٣٤٩ .
(١٤) توفى سنة ٢٥٠ راجع تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٤٦٦ .

١١٧ ـ محمد بن أيوب السختياني (١) ٠
١١٨ ـ أبوالحسن محمد بن بحر (٢) ٠
١١٩ ـ محمد بن بشار العبدي (٣) ٠
١٢٠ ـ محمد بن حميد السرازي (٤) ٠
١٢١ ـ محمد بن خنيس بن المخزومي المكي (٥) ٠
١٢٢ ـ محمد بن رزام بن عبد الملك الابلي (٦) ٠
١٢٣ ـ محمد بن زنبور ابو صالح المكي (٧)
١٢٤ ـ محمد بن سعيد بن سويد الحكمي (٨)
١٢٥ ـ محمد بن شجاع المروزي (٩) ٠
١٢٦ ـ محمد بن ابراهيم بن صدران (١٠)
١٢٧ ـ محمد بن الضحاك (١١)
١٢٨ ـ محمد بن عبيد الله (١٢)
١٢٩ ـ محمد بن علي بن الحسن الشفيقي العبدي (١٣)
١٣٠ ـ محمد بن عبيد الهمزاني (١٤)
١٣١ ـ محمد بن عبيده بن سليمان (١٥)

---

(١) ثقة توفي سنة ٢٥٢ هـ تهذيب جـ ٩ ص ٧٠ ، والجرح جـ ٣ قسم ٢ ص ٢١٤ ٠
(٢) لم اعثر له على ترجمة ٠
(٣) لم اعثر له على ترجمة ٠
(٤) لم اعثر له على ترجمة ٠
(٥) راجع تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٥٢٣ والجرح والتعديل جـ ٤ قسم ١ ص ١٢٧ ٠
(٦) لم اعثر له على ترجمة ٠
(٧) توفي سنة ٢٤٨ او ٢٤٩ هـ راجع تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ١٦٧ ٠
(٨) لم عثر له على ترجمة ٠
(٩) توفي سنة ٢٤٤ او ٢٤٧ هـ راجع تهذيب ٩ ص ٢١٨ ، تاريخ بغداد جـ ٤ ص ٣٤٩
(١٠) توفي سنة ٢٤٣ او ٢٤٧ هـ تهذيب جـ ٩ ص ١١ ٠
(١١) توفي سنة ٢٤٨ هـ راجع تهذيب جـ ٩ ص ١٣٠ ، وتاريخ بغداد جـ ٢ ص ٢٥٩ والجرح جـ ٣ قسم ١ ص ٢٣٢ ٠
(١٢) لم أجد له ترجمة ٠
(١٣) لم أجد له ترجمة ٠
(١٤) لم اجد له ترجمة ٠
(١٥) لم أجد له ترجمة ٠

١٣٢ ـ محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ (١)

١٣٣ ـ محمد بن عثمان الطائفى (٢)

١٣٤ ـ محمد بن عمر السويقى (٣)

١٣٥ ـ محمد بن عمارة بن صبيح الاسدى (٤)

١٣٦ ـ محمد بن الفضل البخارى (٥)

١٣٧ ـ محمد بن عيسى بن عبد الله الربعى (٦)

١٣٨ ـ محمد بن محمد بن حسين (٧)

١٣٩ ـ محمد بن مرزوق البصرى (٨)

١٤٠ ـ محمد بن معمر البصرى (٩)

١٤١ ـ محمد بن مقبل (١٠)

١٤٢ ـ محمد بن موسى الحرسى (١١)

١٤٣ ـ محمد بن ميمون المكى (١٢)

١٤٤ ـ محمد بن يحيى بن ايوب بن ابراهيم القصرى المروزى (١٣)

١٤٥ ـ محمد بن يحيى بن عبد العزيز المروزى (١٤)

١٤٦ ـ محمد بن يزيد النيسابورى (١٥)

---

(١) توفى سنة ٢٤٤ هـ بمدينة بلخ ، راجع تذكرة الحفاظ جـ ١١ ص ٧٤ .

(٢) لم اجد له ترجمة .

(٣) لم أجد له ترجمة .

(٤) لم أجد له ترجمة .

(٥) لم أجد له ترجمة .

(٦) صدوق توفى سنة ٢٥٨ أو ٢٦٠ هـ تهذيب جـ ٩ ص ٥٨ والجرح جـ ٣ قسم ٢ ص ١٩٠ .

(٧) توفى سنة ٢٤٨ هـ تهذيب جـ ٩ ص ٤٣١

(٨) لم أجد له ترجمة .

(٩) توفى سنة ٢٥٢ هـ تهذيب جـ ٩ ص ٤٨٥ ، والجرح جـ ٤ قسم ١ ص ٨١ ـ ٨٢ .

(١٠) توفى سنة ٢٤٨ هـ تهذيب جـ ٩ ص ٤٨٣ ، والجرح جـ ٤ قسم ١ ص ٧٤ ، والخلاصة ص ٣٠٨ .

(١١) لم أجد له ترجمة .

(١٢) لم أجد له ترجمة .

(١٣) انظر تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٥٠٧ .

(١٤) توفى سنة ٢٥٢ ، تهذيب جـ ٩ ص ٥١٦ .

(١٥) لم أجد له ترجمة .

١٤٧ ـ محمد بن يحيى النيسابورى ابو عبد الله الذهلي (١)
١٤٨ ـ ابو هشام الرفاعى محمد بن يزيد بن محمد بن رفاعة العجلي الكوفى (٢) ٠
١٤٩ ـ مهدى بن عمـرو (٣)
١٥٠ ـ موسى بن عبد الله السفل (٤)
١٥١ ـ نصـر بن فضـالة (٥)
١٥٢ ـ نصر بن عبد الرحمن الوشاء الكوفى (٦)
١٥٣ ـ نصر بن على بن نصر الجهضمى الازدى الخراسانى (٧)
١٥٤ ـ نصير بن يحيى (٨) ١٥٥ ـ هارون بن خاتم الكوفى (٩)
١٥٦ ـ هاون بن موسى بن ابى علقمة القزوينى (١٠)
١٥٧ ـ يحيى بن احمد بن عبدة الطائى الكاتب (١١)
١٥٨ ـ يحيى بن الاحمر المكتب (١٢)
١٥٩ ـ يحيى بن حبيب بن عربى (١٣)
١٦٠ ـ يحيى بن عبد الله الحرانى (١٤) ٠
١٦١ ـ يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن المخزومى (١٥) ٠

---

(١) ولد بعد سـنة ١٩٠ هـ وتوفى سنة ٢٥٨ هـ على خـلاف فى ذلك تهذيب جـ ٩ ص ٥١١ تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ١١١

(٢) ضعيف توفى سنة ٢٤٨ ـ ٢٤٩ هـ تهذيب جـ ٩ ص ٥٢٧ ، الجرح جـ ٤ قسم ١ ص ١٢٩

(٣) توفى سنة ٢٥٣ هـ الخلاصة ص ٣٣٦ ويسميه مهدى بن عامر ٠

(٤) لم أعثر له على ترجمة ٠ (٥) لم أعثر له على ترجمة ٠

(٦) توفى سنة ٢٤٨ تهذيب جـ ١٠ ص ٤٢٨ ، الجرح والتعديل جـ ٤ قسم ١ ص ٤٧٢ ٠

(٧) توفى سنة ٢٥٠ ـ ٢٥١ هـ ، تهذيب جـ ١٠ ص ٤٣٠ ، الجـرح جـ ٤ قسم ١ ص ٤٧١ ، تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ٩٢ ٠ (٨) لم اعثر له على ترجمة ٠

(٩) راجع الجرح والتعديل جـ ٤ قسم ٢ ص ٨٨ ٠

(١٠) ولد سنة ١٧٤ توفى سنة ٢٥٣ تهذيب التهذيب جـ ١١ ص ١٠ ـ ١١ ، تاريخ بغداد جـ ١٤ ص ٣٢ ٠

(١١) تاريخ بغداد جـ ١٤ ص ٢٣٠ لم يذكر تاريخ وفاته ٠

(١٢) لم أعثر له على ترجمة ٠ ولعله هو المترجم له قبل هنا والخطأ من الناسـخ ٠

(١٣) ابو زكريا الشيبانى البصرى ، صدوق الجرح جـ ٤ قسم ٢ ص ١٣٧ ، قال فى التهذيب ثقة مأمون توفى سنة ٢٤٨ أو بعد سنة ٢٥٠ التهذيب جـ ١١ ص ١٩٦ ٠

(١٤) توفى ٢١٨ هـ تهذيب التهذيب جـ ١١ ص ٢٤٠ ـ ٢٤١ ، الجرح والتعديل جـ ٤ قسم ٢ ص ١٦٤ ٠

(١٥) توفى سنة ٢٥٣ هـ تهذيب التهذيب جـ ١١ ص ٢٨٨ ٠ هـ

١٦٢ ـ يحيى بن موسى البلخى (١)

١٦٣ ـ يزيد بن عمرو بن يزيد البرانى عبد الله الغنوى (٢)

١٦٤ ـ يزيد بن معقل ولد أبى طيبة (٣)

١٦٥ ـ يعقوب بن ابراهيم الدورقى (٤)

١٦٦ ـ يعقوب بن شيبة بن السلط بن عصفور البصرى (٥)

١٦٧ ـ يوسف بن اسحاق (٦) ٠

١٦٨ ـ يوسف بن عبد الله بن نجيد (٧)

تلامـستذته :

هذا العدد الضخم من الشيوخ الذين روى الحكيم عنهم الحـديث ربما يجعلنا نعتقد ان له من الاتباع والتلامذة عددا مماثلا ، وقد يكون مثيرا للدهشة والتساؤل ان نتبين ان تلامذة الترمذى من القلة بحيث لا يتجاوز عددهم ستة وسبب ذلك فيما يبدو لى ان الترمذى لم يهتم بتربية الاتباع والمريدين كما هو الحال بالنسبة لشيوخ الصوفية الكبار من قبله ومن بعده ، ومرد ذلك انه يعتقد

---

(١) المعروف بخت (ثقة) الجـرح والتعديل جـ ٤ قسـم ٢ ص ١٨٨ ، ويسميه فى التهذيب يحيى بن موسى بن عبد ربه بن سالم الحرانى ابو زكريا البلخى السختيانى المعـروف ٠ بخت ، كوفى الأصل واختلف فى وفـاته بين سنة ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ هـ جـ ١١ ص ٢٨٦ ، وفى تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ٥٦ يذكر انه توفى سنة ٢٣٠ هـ ٠

(٢) لم اعثر له على ترجمة ٠

(٣) لم أعثر له على ترجمة ٠

(٤) مؤلف كتاب المسـند ، توفى سنة ٢٥٢ هـ تذكرة الحفـاظ جـ ١١ ص ٨٨ ، تهذيب جـ ١١ ص ٣٩٧ ، وذكر فى تاريخ بغداد انه ولد سنة ٢٦٦ هـ جـ ١٤ ص ٢٧٧ ، ٢٧٩ ٠

(٥) ولد سـنة ١٨٢ هـ وتوفى سنة ٢٦٢ هـ ، مؤلف كتاب المسـند تاريخ بغداد جـ ١٤ ص ٢٨١ ـ ٢٨٨ ٠

(٦) لم اعثر له على ترجمة ٠

(٧) راجع التهذيب جـ ١١ ص ٤١٦ ٠

أن الوصول الى الله لابد أن يرتكز على استعداد وجهد شخصى من السالك نفسه وان أى واسطة بينه وبين ربه قد تفسد طريقه ، وتسلمه الى الحيرة والضياع كما هو الحال مع ذلك الذى كتب اليه من الرى يسأله الرأى ويستنصحه فيما يفعل بعد أن ضاع منه ما كان قد وصل اليه لما القى بزمام امره الى شيخ يساعده على سلوك الطريق فكان جواب الحكيم كما أشرنا اليه من قبل ملخصا فى هذا التعبير : ذلك جزاء من يطلب الخالق بالمخلوق ٠

هذا وان كان يفهم مما اشار اليه الحكيم حينما تحدث عن دعوة الناس له ان يتخذ لهم مجلسا فى المسجد ان كان هناك عدد من التلاميذ يحضرون حلقته ويتلقون دروسه الا ان هذه الاسماء لم نستطع حصرها او الاهتداء اليها ولعله يكون ممكنا فى المستقبل ان نعثر على بعض هذه الاسماء اما اسماء التلاميذ الذين ثبت اخذهم عن الحكيم فهم :

١ ـ احمد بن محمد بن عيسى ٠ (١)

٢ ـ الحسن بن على الجوزجانى (٢)

٣ ـ منصور بن عبد الله بن خالد الهروى (٣)

٤ ـ ابو بكر محمد بن جعفر بن الهيثم (٤)

٥ ـ ابو بكر محمد بن عمر الوراق الترمذى الحكيم (٥)

٦ ـ ابو محمد يحيى بن منصور القاضى ٠

---

(١) راجع طبقات الصوفية ص ٣٤٩ صفحة الصفوة جـ ٢ ص ٢٢٣ ، تاريخ بغداد جـ ٥ ص ٦٠ طبقات الشعرانى جـ ١ ص ١٢٥ ٠

(٢) طبقات الصوفية ص ٢٤٦ ، حلية الاولياء جـ ١٠ ص ٣٥٠ ، طبقات الشعرانى جـ ١ ص ١٠٥

(٣) تاريخ بغداد جـ ١٣ ص ٨٤

(٤) تاريخ بغداد جـ ١٠ ص ٨٠

(٥) طبقات الصوفية ص ٢٢١ ، حلية الأولياء جـ ٩ ص ٢٣٥ ـ ٢٣٧ ـ صفة الصفوة جـ ١ ص ١٣٩ ، طبقات الشعرانى جـ ١ ص ١٠٦ ، الرسالة القشيرية جـ ١ ص ١٢٨ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ٠



الفصل الثالث

آثـاره

ترك الحكيم الترمذى ما يزيد على ستين مؤلفا يسمى كل منها كتابا وأكثر من مائتى رسالة تختلف احجامها بين الطول والقصر ، وقد يبلغ الأمر ببعضها الا يزيد عدد صفحاته على اصابع اليد الواحدة ، وأغلب هذه المؤلفات لم يقدر له أن يطبع بعد ، منها ضائع لا نعرف عنها الا بما يذكر بشأنها فى كتب القدماء . والموجود من هذه المؤلفات موزع على مكتبات العـالم المختلفة بين الشرق والغرب ، ومعظمها فى مجموعات فى المكتبات الآتية :

١ ـ مكتبة بلدية الاسكندرية تحت رقم ١٤٥ فنون متنوعة ورقم ٣٣ فقه شـــافعى .

٢ ـ مكتبة اسعد افندى بتركيا تحت رقم ١٤٧٩ ، ورقم ١٣١٢ .

٣ ـ مكتبة ايا صوفيا بتركيا تحت رقم ١٩٧٥ ورقم ١٨١٤ .

٤ ـ القاهرة دار الكتب رقم ١٢٥ مجاميع ، ورقم ٦٩٤ مجاميع طلعت ، ورقم ٢٢٧ الخزانة التيمورية مجاميع ، والأزهر رقم ٢٣٦ مجاميع .

٥ ـ كلكتا الجمعية الآسيوية بالهند رقم ١٠٥٦ ، ورقم ١١١٦ .

٦ ـ اسماعيل صائب بتركيا رقم ١٧٥١ ، ورقم ٤٨٢٤ .

٧ ـ خراجى أوغلو بتركيا رقم ٨٠٦ .

٨ ـ ليبزج بألمانيا الشرقية رقم ٢١٢ .

٩ ـ باريس المكتبة الوطنية رقم ٥٠١٨ .

١٠ ـ قسطمونى بتركيا رقم ٢٧١٣ .

١١ ـ الظاهرية بدمشق رقم ١٠٤ تصوف .

١٢ ـ ولى الدين تركيا رقم ٧٧٠ .

هذه هى اهم المجموعات التى تحوى مخطوطات الحكيم الترمذى ، وهنالك

بعد ذلك رسائل متفرقة فى كل من منشستر وفيينا ومكتبة تشستربيتى بمدينة دبلن بايرلندا ٠

وهذا بيان بمحتويات كل من هذه المجموعات :

(أ) مجموعة الاسكندرية : رقم ١٤٥ فنون متنوعة :

١ ـ المسائل المكنونة ٠ وتشتمل على أكثر من ستين رسالة ٠

٢ ـ تحصيل نظائر القرآن ٠

٣ ـ الرد على المعطلة ٠

٤ ـ الفروق تحت رقم ٣٣ فقه شافعى ٠ وهى نسخة ناقصة بعض الاوراق فى وسطها ٠

(ب) مجموعة اسعد افندى : رقم ١٤٧٩ :

١ ـ الفروق ٠

٢ ـ شرح الصلاة ومقاصدها ٠

٣ ـ الاعضاء والنفس ٠

٤ ـ منازل العباد من العبادة ٠

٥ ـ كتاب العقل والهوى ٠

٦ ـ الامثال من الكتاب والسنة ٠

٧ ـ المنهيات ٠

٨ ـ حقيقة الآدمية ٠

٩ ـ عرس الموحدين ٠

(ج) مجموعة أسعد افندى رقم ١٣١٤ :

١ ـ غور الامور ٠ وملحق به بعض الرسائل

٢ ـ أدب النفس ٠

(د) مجموعة أيا صوفيا رقم ١٩٧٥ ورقم ١٨١٤ :

١ ـ الفـــروق .

٢ ـ الادعية . فارسى

(هـ) مجموعة اسماعيل صائب : رقم ١٥٧١ :

١ ـ شرح قوله ما الأيمان والاسلام والاحسان ، وفى اوراقه اضطراب .

٢ ـ كتاب الرياضة ، وهو غير الكتاب المطبوع وليس تاما .

٣ ـ بيان العلم .

٤ ـ دقائق العلوم ، ويحوى مجموعة من المسائل تشمل احدى عشـرة مسألة تبدأ بمسألة فى النية وتنتهى بأقرب الناس الى الرشد .

٥ ـ جواب كتاب من الرى .

٦ ـ مجموعة مسائل أولها مسألة فى الأدب وآخرها « وجدت الناظر الى خلقه » وتحتـوى على ثلاثين مســألة من ورقة ٥٠ ـ ورقـة ٧٠ ، وهى فى مجموع الظاهرية .

٧ ـ كتاب الاكياس والمغترين .

٨ ـ المسائل العفنة .

٩ ـ انواع العلوم .

١٠ ـ مسائل أهل سرخى او بيان شأن المريد . وهى عدة مسائل .

١١ ـ كتاب بيان الفرق بين الآيات والكرامات .

١٢ ـ كتاب الحقوق .

١٣ ـ رسالة بدو شأن الحكيم الترمذى .

١٤ ـ مسائل التعبير .

١٥ ـ كتاب منازل القاصدين ، وهو المسمى منازل العباد من العبـادة فى مجموع أسعد افندى ، ومجموع باريس .

(و) مجموع خراجى أوغلو رقم ٨٠٦ :

١ ـ كتاب الحكمة او الخدمة من علم الباطن .

٢ ـ سبب التكبير فى الصلاة .

٣ ـ علم الاولياء .

٤ ـ اثبات العلل او علل العبادات .

(ز) مجموع باريس رقم ٥٠١٨ :

١ ـ شرح الصلاة ومقاصدها .

٢ ـ الحج واسراره .

٣ ـ الجمل اللازم معرفتها .

٤ ـ الاحتياطات .

٥ ـ الفروق ومنع الترادف .

٦ ـ عرس الموحدين .

٧ ـ غور الامور المسمى الاعضاء والنفس .

٨ ـ منازل العباد من العبادة .

٩ ـ العقل والهوى .

١٠ ـ الامثال من الكتاب والسنة .

١١ ـ المنهيات وكل ما جاء من حديث بالنهى .

١٢ ـ كتاب حقيقة الآدمية المعروف بالرياضة .

(ح) مجموع قسطمونى رقم ٢٧١٣ :

١ ـ صفة القلوب .

٢ ـ معرفة الاسرار .

(د) مجموعات القاهرة أرقام ١٢٥ ، ٦٩٤ مجاميع طلعت ، ٢٢٧ الخزانة التيمورية مجاميع :

١ ـ علل الشريعة او كيفية الصلاة والسواك .. دار الكتب رقم ١٢٥ .

٢ ـ علم الاولياء .. مجاميع طلعت رقم ٦٩٤ .

٣ - الهداية الى معرفة آداب الولاية ٠٠ دار الكتب الخزانة التيمورية مجاميع رقم ٢٢٧ ٠

٤ - المناجاة ٠٠ الازهر رقم ٢٣٦ مجاميع ٠

(ى) مجموع الظاهرية رقم ١٠٤ تصوف ٠

١ - الاكياس والمغترين ٠

٢ - المسائل العفنة وهى مجموعة من المسائل التى يحتال على التحلل منها بعض الفقهاء ٠

٣ - انواع العلم المسمى انواع العلوم فى اسماعيل صائب ٠

٤ - جواب كتاب من الرى ٠

٥ - مجموعة من المسائل تشتمل على تسعة وعشرين مسألة تبدأ بمسألة فى الأدب وتنتهى بمسألة اولها ٠٠٠ وجدت الناظر الى خلقه ٠٠ وهى موجودة فى اسماعيل صائب ٠

٦ - كتاب بيان الكسب

٧ - مسائل اهل سرخس او بيان شأن المريد وهى مذكورة فى اسماعيل صائب ٠

٨ - كتاب الرياضة ٠

(ك) مجموع كلكتا رقم ١٠٥٦ :

١ - تبيان الامثال وهو كتاب الامثال ٠

٢ - علم الاولياء ٠

٣ - مجموع مسائل تبلغ سبعا وعشرين تتناول موضوعات مختلفة ٠ وسماها الدكتور نقولا هير « أبواب مختلفة »

(ل) مجموعة ليبزج رقم ٢١٢ :

١ - المسائل المكنونة ٠

٢ ـ مجموعة مسائل تبلغ عشرة أولها المشيئة وآخرها رسالة الى محمد بن الفضل •

٣ ـ مسائل اهل سرخس او بيان شأن المريد •

٤ ـ مسألة فى الايمان والاسلام والاحسان ثم شرح قوله الايمان •

٥ ـ انواع الصبر •

٦ ـ مسائل التعبير •

٧ ـ مجموعة من المسائل تبلغ اثنتى عشرة مسألة أولها مسألة فى النية وآخرها اقرب الناس الى الرشد ، وهى المجموعة التى سميناها : دقائق العلوم فى مجموع اسماعيل صائب الا ان هنا زيادة مسألة فى التقوى عن مجموعة صائب •

٨ ـ جواب كتاب من الرى •

٩ ـ مجموعة مسائل تبلغ الثلاثين مسألة أولها مسألة فى الأدب وآخرها وجدت الناظر الى خلقه •• وهى موجودة فى مجموع اسماعيل صائب بنفس الترتيب •

١٠ ـ المسائل العفنة ـ مذكورة فى الظاهرية ، واسماعيل صائب •

١١ ـ انواع العلوم •• مذكورة فى الظاهرية ، واسماعيل صائب •

١٢ ـ سبى قلوب الموحدين •

١٣ ـ مجموعة من المسائل تبلغ الثلاثين مسألة اغلبها بضعة اسطر اولها :

وسألتم عن التكبر ومتى يكون العبد متكبرا وآخرها وسألتم عن الموحد متى يكون موحدا •

١٤ ـ تفسير لا اله الا الله أو شفاء العلل كما فى مجموع ولى الدين •

١٥ ـ مجموعة من المسائل عددها خمس عشرة اولها « آفة نسيان الموت » وآخرها ما بالنا نسمع هذا العلم •

١٦ ـ مجموعة من المسائل تبلغ سبع عشرة مسألة كها فى تفسير

آيات من القرآن الكريم اولها ما لها من فواق وآخرها . ومن الناس من يقول آمنا بالله ..

١٧ – مجموعة من المسائل عددها ثمانى أولها الانسان وآخرها مسألة فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وفى آخرها كتب الناسخ : هذا آخر ما حصل عندى من مسائل الشيخ الامام الحكيم وكتبه الفقير الى رحمة ربه محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن ابى جراد فى سادس ربيع الأول من سنة احدى عشرة وستمائة وهو يسأل الله المغفرة له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

١٨ – جاء بعد هذا مسألتان اولاهما : كان الله تبارك وتعالى ولا شىء ، وثانيتهما : وسألتم عن لذة العبادة .

(م) مجموعة ولى الدين رقم ٧٧٠ :

١ – شفاء العلل . وهى المعنونة فى مجموع ليبزج بـ « معنى لا اله الا الله » .

٢ – منازل القربى .

٣ – انواع التقوى .

٤ – خمس مسائل اولها المستقيم وحب المعصية وآخرها الميراث .

٥ – انواع العلوم .

٦ – اثبات العلل .

٧ – الرد على الرافضة . وهى رسالة غير كاملة .

٨ – مسألة فى الايمان والاسلام والاحسان .

٩ – ختم الاولياء .

١٠ – علل العبادات .

١١ – مجموعة مسائل تبلغ اربع عشرة مسألة اولها مسألة فى كيفية خلق الانسان وآخرها صفة المؤمن .

١٢ ـ فصل يتحدث عن نعم الله على من اجتباه وأوله الحمد لله الاول ، القديم والآخر الدائم .

وعلاوة على هذه المجموعات فان هناك اشياء متفرقة قصيرة او طويلة واغلبها تكرار لما ذكر فى المجموعات السابقة وهى :

رسالة فى الفتوة بمكتبة ايا صوفيا .

ونسخة من الفروق بمكتبة وحيد باشا .

وتفسير سؤالات فى التعبيرات الالهية بمكتبة الزيتونة بتونس .

ونسخة من الجمل فى مكتبة منشستر بانجلترا ، ومقتطفات من كتاب الصفاء ورسائل اخرى بمكتبة تشستر بيتى بدبلن بايرلندا الحرة وفى مجموعة بمكتبة الفاتح بتركيا نسخة من ختم الاولياء .

والانطباع ألذى يخرج به الباحث من استعراض هذه المجموعات هو ان الحكيم الترمذى انشأ كثيرا من الكتب والرسائل ايضاحا لنقاط طلب اليه ايضاحها ، أو اجابة لاسئلة وجهت اليه من معاصريه طلابا كانوا أو شيوخا او مريدين واتباعا .

ولو أردنا تقسيم هذه المؤلفات حسب موضوعاتها لوجدناها تندرج تحت هذه الفروع :

التفسير ـ الحديث ـ الفقه ـ فلسفة التشريع ـ علم الكلام ـ تاريخ الصوفية ـ مبادىء التصوف ومنهاجه .

والقائمة التى سنوردها الآن لمؤلفات الحكيم مرتبة ترتيبا هجائيا مشارا فيها الى اماكن وجود الكتاب ورقمه فى مكتبات العالم المختلفة ان كان مخطوطا ، وببيان تاريخ ومكان طباعته اذا كان مطبوعا سنتبين منها ان الحكيم قد ضرب فى كل من الفروع التى اشرنا اليها بسهم وافر ، وكان له فى كل منها اثر محمود .

وهـــذه هى القائمة :

١ ـ ابواب مختلفة مخطوط ، الجمعية الآسيوية رقم ١٠٥٦ ٠

٢ ـ اثبات العلل فى الامر والنهى ، مخطوط ولى الدين رقم ٧٧٠ خراجي اوغلو رقم ٨٠٦ ، برلين ٣٥٠٤ ٠

٣ ـ الاحتياطيات ، مخطوط باريس رقم ٥٠١٨ ٠

٤ ـ ادب النفس طبع فى القـــاهرة ١٩٤٧ مع كتـــاب الرياضة تحقيق الدكتور علي حســـن عبد القادر ، والبرفيسور آربرى ٠ وتوجد منه نســـخ مخطوطة فى الظاهرية وباريس وأسعد افندى ٠

٥ ـ الادعية ، مخطوط فارسى ايا صوفيا رقم ٨١٤ ومشكوك فى نسبته اليه ٠

٦ ـ كتاب الارادات مفقود وذكره فى كتابه الى محمد بن الفضل ٠

٧ ـ كتاب الاكياس والمغترين ، مخطوط الظاهرية رقم ١٠٤ تصوف ، واسماعيل صائب رقم ١٥٧١ ٠

٨ ـ الامثال من الكتاب والسنة ، مخطوط باريس رقم ٥٠١٨ ، ومكتبة اسعد افندى رقم ١٤٧٩ ، والجمعية الآسيوية كلكتا رقم ١٠٥٦ بعنوان تبيان الامثـــال ٠

٩ ـ انواع العلوم ، مخطوط ولى الدين ٧٧٠ ، وليبزج ١٢ ، واسماعيل صائب رقم ١٥٧١ ، والظاهرية رقم ١٠٤ تصوف ٠

١٠ ـ بدء شأن أبى عبد الله (ترجمة للحكيم بقلمه) مخطوط اسماعيل صائب رقم ١٥٧١ ، ونشره الدكتور عثمان يحيى فى مقدمة ختم الاوليـــاء بيروت سنة ١٩٦٥ م

١١ ـ بيان آداب المريدين ، مفقود لعله المسمى (مسائل اهل سرخس)

١٢ ـ بيان العلم ، مخطوط اسماعيل صائب رقم ١٥٧١ ٠

١٣ ـ بيان الفرق بين الآيات والكرامات ، مخطوط اسماعيل صـــائب رقم ١٥٧١ ، كلكتا ١١١٦ ٠

١٤ ـ بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ، طبع بالقاهرة

سنة ١٩٥٨ ، تحقيق الدكتور نقولا هير عن مخطوطة وحيدة بدار الكتب المصرية .

١٥ ـ بيان الكسب مخطوط الظاهرية ١٠٤ تصوف .

١٦ ـ بيان المعرفة والصفاء ، مفقود .

١٧ ـ تاريخ المشايخ ، مفقود .

١٨ ـ تبيان الامثال ، الجمعية الآسيوية كلكتا رقم ١٠٥٦ وهو كتاب الامثال .

١٩ ـ تحصيل نظائر القرآن مخطوط بلدية الاسكندرية رقم ١٤٥ فنون متنوعة .

٢٠ ـ تفسير ، مفقود ذكره الهجويرى وقال انه لم يتمه ، تفسير آية لا شرقية ولا غربية مع تأويل اربعين حديثا .

٢١ ـ التوحيد ، مفقود مذكور فى كشف المحجوب .

٢٢ ـ الجمل اللازم معرفتها ، مخطوط باريس رقم ٥٠١٨ ، ومنشستر رقم ١٠٦ ج .

٢٣ ـ جواب كتاب من الرى ، مخطوط اسماعيل صائب ١٥٧١ ، وليبزج ٢٠٢ ، والظاهرية ١٠٤ تصوف .

٢٤ ـ الحج واسراره مخطوط باريس رقم ٥٠١٨ .

٢٥ ـ الحقوق ، مخطوط اسماعيل صائب ١٥٧١ .

٢٦ ـ الحكمة او الخدمة من علم الباطن مخطوط خراجى اوغلو رقم ٠٨٠٦.

٢٧ ـ ختم الانبياء ، مفقود ذكره صاحب كشف الظنون ص ٧٠١ وقال عنه انه مختصر ثم ذكر اوله وهو الحمد لله رب العالمين الخ .

٢٨ ـ ختم الاولياء ـ طبع فى بيروت ١٩٦٥ تحقيق الدكتور عثمان اسماعيل يحيى ، ويوجد منه نسختان خطيتان هما اللتان اعتمد عليهما

المحقق الاولى فى مكتبة الفاتح رقم ٥٣٢٢ والثانية فى مكتبة ولى الدين رقم ٧٧٠ ٠

٢٩ ـ الرد على الرافضة ، مخطوط ولى الدين رقم ٧٧٠ ٠ غير كامل ٠

٣٠ ـ الرد على المعطلة ، مخطوط بلدية الاسكندرية فنون متنوعة رقم ١٤٥ ٠

٣١ ـ رسالة فى الفتوة ، مخطوط ايا صوفيا رقم ٢٠٤٩ ٠

٣٢ ـ الرياضة أو رياضة النفس ويسمى حقيقة الآدمية وقد طبع محققا ، مرتين بعنوان الرياضة تحقيق دكتور على حسن عبد القادر والبرفسور آربرى فى القاهرة سنة ١٩٤٧ ، وعنوان حقيقة الآدمية تحقيق الدكتور عبد المحسن الحسينى فى مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية جـ ٣ سنة ١٩٤٦ ص ٥٠ ـ ١٠٨ ٠

وهناك عدد من المخطوطات لهذا الكتاب فى الظاهرية وباريس واسعد افندى وتشستر بيتى ، اما الورقات المعدودة فى مخطوطات اسماعيل صائب المعنونة بكتاب الرياضة فيبدو انها شىء آخر غير هذا ٠

٣٣ ـ سبب التكبير فى الصلاة مخطوط خراجى أوغلو ٨٠٦٠

٣٤ ـ سيرة الاولياء ، مفقود وذكره فى اهل سرخس الظاهرية ص ٢٥٠، وليبزج رقم ٦٩٥ ب واسماعيل صائب ورقة ١٣٠ ب ٠

٣٥ ـ شرح سؤالات فى التعبيرات الالهية مخطوط الزيتونة تونس رقم ١٥٨٩ ٠

٣٦ ـ شرح الصلاة ومقاصدها مخطوط باريس رقم ٥٠١٨ ، وأسعد رقم ١٤٧٩ ، ثم طبع اخيرا فى القاهرة سنة ١٩٦٥ نشر المؤتمر الاسلامى وتحقيق الاستاذ حسنى زيدان وان كان على التحقيق مآخذ كثيرة لعل المحقق يتلافاها فى الطبعة الثانية ٠

٣٧ ـ شرح قول : ما الايمان والاسلام و الاحسان ، مخطوط ليبزج رقم ٢١٢ ، واسماعيل صائب ١٥٧١ ، وولى الدين رقم ٧٧٠ ، وهناك رسالة أخرى عنوانها معنى الايمان والإسلام والاحسان وقد اعتبرهما الدكتور يحيى رسالة واحدة وليس كذلك •

٣٨ ـ صفة القلوب مخطوط قسطمونى رقم ٢٧١٣ وهو اختصار لغور الامور •

٣٩ ـ طبقات الصوفية مفقود وذكره صاحب كشف الظنون ص ١١٠٤ طبع اسطنبول ١٩٤٣ •

٤٠ ـ عذاب القبر ،مفقود ، مذكور فى كشف المحجوب الترجمة الانجليزية ص ١٥١ ، طبعة سنة ١٩٦٧ •

٤١ ـ عرس الموحدين،مخطوط باريس رقم٥٠١٨،اسعد رقم ١٤٧٩ ،اسماعيل صائب رقم ٤٨٢٤ ويسميه بعض الباحثين عرش الموحدين •

٤٢ ـ العقل والهوى ، مخطوط باريس رقم ٥٠١٨ ، اسعد رقم ١٤٧٩ وفيه نقص •

٤٣ ـ العلل او كيفية الصلاة والوضوء والسواك ، مخطوط ولى الدين ٧٧٠ والقاهرة ١٢٥ مجاميع •

٤٤ ـ علم الاولياء ، مخطوط دار الكتب المصرية مجاميع طلعت رقم ٦٩٤ و الجمعية الآسيوية كلكتا رقم ١٠٥٦ ، وخراجى أوغلو رقم ٠٨٠٦

٤٥ ـ العلوم ، مفقود اشار اليه الحكيم فى كتاب الاكياس والمغترين مخطوط اسماعيل صائب ورقة ٧٥ ومخطوط الظاهرية ص ١٥ ولعله المسمى أنواع العلوم او لعله المسائل العفنة •

٤٦ ـ غرس العارفين مخطوط الجمعية الآسيوية كلكتا رقم ١٠٥٦ وهو عبارة عن ورقة واحدة •

٤٧ ـ غور الامور ويسمى الاعضاء والنفس مخطوط باريس رقم ٥٠١٨ وأسعد رقم ١٤٧٩ وأسعد رقم ١٣١٢ ٠

٤٨ ـ الفرق بين الآيات والكرامات مخطوط اسماعيل صائب رقم ١٥٧١ ج كلكتا الجمعية الآسيوية رقم ١١١٦ وهى غير كاملة ٠

٤٩ ـ الفروق ومنع الترادف ،مخطوط باريس رقم ٥٠١٨ أسعد رقم ١٤٧٩ ، أيا صوفيا رقم ١٩٧٥ ، وحيد باشا رقم ٢٢٥١ بلدية الاسكندرية فقه شافعى ٣٣ وهى غير كاملة ٠

٥٠ ـ الكلام على معنى لا اله الا الله او شفاء العلل مخطوط ليبزج رقم ٢١٢، وخزينة رقم ١٧٦٢ ، ولى الدين رقم ٧٧٠ ٠

٥١ ـ مسائل أهل سرخس مخطوط ليبزج ٢١٢ ، اسماعيل صائب رقم ١٥٧١ ، والظاهرية رقم ١٠٤ تصوف ٠ وانظر تعليقات آربرى عليها مع مسائل التعبير فى مجلة الجمعية الآسيوية الملكية فى العدد رقم ٢٨ سنة ١٩٤٠ ، صفحات ٣١٥ ـ ٣٢٧ ٠

٥٢ ـ مسائل التعبير ، مخطوط اسماعيل صائب رقم ١٥٧١ ليبزج رقم ٢١٢ وانظر تعليقات آربرى عليها كما هو مشار اليه فى العمل السابق ٠

٥٣ ـ مسائل رقم واحد مخطوط ليبزج رقم ٢١٢ واسماعيل صائب رقم ١٥٧١ ٠

٥٤ ـ مسائل رقم ٢ مخطوط ليبزج رقم ٢١٢ ٠

٥٥ ـ المسائل العفنة مخطوط ليبزج رقم ٢١٢ ، اسماعيل صائب رقم ١٥٧١ ، الظاهرية رقم ١٠٤ تصوف ٠

٥٦ ـ مسألة فى الايمان والاسلام والاحسان ليبزج رقم ٢١٢ ، ولى الدين ٧٧٠٠

٥٧ ـ المسائل المكنونة مخطوط ليبزج رقم ٢١٢ ، بلدية الاسكندرية فنون متنوعة ١٤٥ ٠

٥٨ ـ معرفة الاسرار ، مخطوط قسطمونى رقم ٢٧١٣ .

٥٩ ـ منازل العباد من العبادة او منازل القاصدين مخطوط باريس ٥٠١٨ و اسعد افنــدى .

٦٠ ـ منتخبات من كتاب الصفاء ، مخطوط تشستربيتى .

٦١ ـ المناجاة ـ مخطوط الأزهر رقم ٢٣٦ مجاميع .

٦٢ ـ المنهج فى العبــادة مفقود مذكــور فى كشف الظنون ص ١٨٧٨ طبع اسطنبول سنة ١٩٤٣ .

٦٣ ـ المنهج فى ، مفقود مذكور فى كشف الظنون ص ١٨٨٣ طبع اسطنبول ١٩٤٣ .

٦٤ ـ المنهيات وكل ما جاء من حديث بالنهى مخطــوط باريس رقم ٥٠١٨ اســعد افندى رقم ١٤٧٩ .

٦٥ ـ النهج مفقود ، أشار دكتور نقولا هير الى أنه مذكور فى نفحات الانس وكشف المحجــوب .

٦٦ ـ نوادر الأصــــول فى معرفة اخبار الرسول طبع فى اسطنبول ســنة ١٢٩٣ هـ ، بعناية وشــرح الشيخ مصطفى اسـماعيل الدمشقى وسمى شرح مرقاة الوصول الى نوادر الأصول .

٦٧ ـ نوادر اصول العرفان وزواهر فروع الايقان مخطوط فيينــا رقم ٦٤٠ وهو مجموعة قصائد باللغة الفارسية ويشك فى نسبته اليه .

٦٨ ـ الهداية الى معرفة آداب الولاية مخطوط فى نسبته له شك بدار الكتب القاهرة الخزانة التيمورية مجاميع رقم ٢٢٧ .

تلك هى عناوين الكتب والرسائل التى ألفها الحكيم الترمذى حســب علمى ، ومما لاشك فيه ان هناك مؤلفات اخرى لم نعثر عليهــا بعد ، وقد يكشف البحث فى المستقبل عنها ولم نضف الى هذه القائمة ماروى

صاحب كشف المحجوب منسوبا الى ابى بكر الوراق ان الحكيم الترمذى اعطاه بعضا منمؤلفاته وطلب اليه ان يلقيها فى نهر جيحون ، لأن الوراق لم يخبرنا عن عناوين هذه الكتب ولا عددها وان كانت هناك اشـــارة الى موضوعاتها ومن وجهة نظر البحث العلمى فلا يحق لنا ان نعتبرها كتبا للحكيم •

ويلاحظ الباحث ان الحكيم كرر كثيرا من آرائه فى اكثر من كتاب واذا اردنا ان نصنف كتبه حسب موضوعاتها فانا نستطيع أن نضـعها فى التقسيم التالى :

١ ـ التفسير •
٢ ـ الحديث •
٣ ـ علم الكلام •
٤ ـ الفقــه •
٥ ـ فلسفة التشريع •
٦ ـ تاريخ الصوفية •
٧ ـ الآراء الصوفية •

وفيما يلى محاولة لاستعراض سريع لأهم مؤلفات الحكيم يتناول الأمور الرئيسية فى كل كتاب ويقدم للقارىء فكرة سريعة عن محتوياته ومعلومـاته عنــه •

١ ـ ابواب مختلفة

لا يزال هذا الكتاب مخطوطا وتوجد منه نسخة واحدة فى مكتبة الجمعية الآسيوية بكلكتا بالهند تحت رقم ١٠٥٦ ويحتل فى المجموع من الورقة ١٢٩ ب الى الورقة ١٧٦ ب ، ويتألف هذا الكتاب من سبع وعشرين مسألة اغلبها مذكورة فى المجاميع الأخرى ، اما الموضوعات التى تتناولها هذه المسائل فهذا بيان بهـــا •

١ ـ صفة النون والنور والثرى ٠
٢ ـ اقوال الاطباق السبعة ٠
٣ ـ مسألة فى الانسان ٠
٤ ـ صفة الهوى ٠
٥ ـ هو الأول والآخر ٠
٦ ـ باب فى الولاية والتقوى وتفسير التائبين العابدين ٠
٧ ـ قصة عزير ٠
٨ ـ واذا قضى أمرا ٠
٩ ـ ما ذكر فى التسبيح والتحميد ٠
١٠ ـ كمال العبوده ٠
١١ ـ فى العقل ٠
١٢ ـ لا تغضب ٠
١٣ ـ اسماء الله ٠
١٤ ـ التسبيح والتحميد والتهليل ٠
١٥ ـ تقدير الله ٠
١٦ ـ المعرفة امير القلب ٠
١٧ ـ المروءة ٠
١٨ ـ كمال المروءة ٠
١٩ ـ التوحيد ٠
٢٠ ـ لا اله الا الله ٠
٢١ ـ القرآن ٠
٢٢ ـ للرؤية ٠
٢٣ ـ النية الحسنة ٠
٢٤ ـ ما ذكر فى اسمه الله ٠
٢٥ ـ اركان الدين ثلاثة : الحق ، والعدل ، والصدق ٠
٢٦ ـ فى الشكر ٠
٢٧ ـ درجات الذكر ومراتب الذاكرين ٠

٢ ـ كتاب اثبات العلل فى الأمر والنهى

لا يزال هذا الكتاب مخطوطا وتوجد منه ثلاث نسخ الاولى فى ولى الدين رقم ٧٧٠ ، والثانية فى خراجى اوغلو رقم ٨٠٦ ، والثالثة فى برلين رقم ٣٥٠٤ ٠

ويدير الحكيم الرأى فى كتابه هذا كما هو الحال فى غيره من الكتب على السؤال والجواب ٠ وقد كتبه اجابة عن سؤال وجه اليه حول اختلافة الناس فى الامر والنهى هل هناك من سبب او لا ؟ وقد يكون هناك سائل حقيقى وقد يكون الأمر على ما جرت به العادة بين المؤلفين القدامى من افتراض سائل يسأل والشيخ يجيب،وبعد ان يعرض الحكيم آراء الباحثين فى هذا الموضوع يدلى برأيه مؤكدا ان هناك اسبابا بجانب ما ذكره العلماء ولكن هذه الاسباب ليست معلومة للجميع ،بل تحققت معرفتها لمن تهيأت له الأسباب ومن لم يعرفها انما يرجع ذلك الى عدم بلوغه درجة تمكنه من الاطلاع عليها ٠

ثم جاء السؤال الثانى طالبا ايضاح هذه الأسباب التى أشار اليها الحكيم وقبل أن يأخذ فى عرض اسباب الأمر والنهى او عللها بدأ يناقش المعارضين لوجود أسباب ويحتج عليهم بالعقل والنقل خاصة من القرآن الكريم، ثم يشير الى أن ، معرفة هذه العلل انما تتأتى لهؤلاء الذين يجمعون بين علمى الظاهر والباطن وهى الحكمة التى منحها بعض عباده ، وقد كان اتجاه الترمذى فى هذا الكتاب مع كتاب ختم الاولياء سببا فى اتهام الناس له وتعرضه لظروف قاسية من المقاطعة والاتهام بالباطل وتأليب العامة والحكام عليه ٠

وهناك عدد من الأبواب اتفقت عناوينها فى هذا الكتاب مع عناوين موضوعات كتاب « كيفية الصلاة » ٠٠٠٠ وان كان ما يعالجه فى كل من الكتابين مختلفا عن الآخر ٠

والامور التى عالجها فى كتابه هذا وحاول ان يثبت لكل منها علة تنقسم الى خطوط رئيسية ثلاث ــ العقيدة والعمل والعبادة ، وفيما يلى بيان بعناوين الابواب التى تناولها فى هذا الكتاب ٠

١ ـ علة الاقرار بالتوحيد ٠
٢ ـ علة الاعمال ٠
٣ ـ علة الوضوء ٠
٤ ـ علة مواضع الوضوء ٠
٥ ـ علة الجنـابة ٠
٦ ـ علة الصـلاة ٠
٧ ـ علة استقبال القبلة وقت الصلاة ٠
٨ ـ علة التكبير ٠
٩ ـ علة الثنـاء ٠
١٠ ـ علة الاستعاذة ٠
١١ ـ علة القراءة ٠
١٢ ـ علة الركـوع ٠
١٣ ـ علة التسبيح فى الركوع ٠
١٤ ـ علة السجود ٠
١٥ ـ علة التسبيح فى السجود ٠
١٦ ـ علة القعـود ٠
١٧ ـ علة التشـهد ٠
١٨ ـ علة التحيات والتسليم ٠
١٩ ـ علة رفع الايدى ورمى البصر حين يسجد ٠
٢٠ ـ علة عدد الركعات والسجدات ٠
٢١ ـ علة الركعتين ٠
٢٢ ـ علة عدد المفروضات ٠
٢٣ ـ علة الجمعـة ٠
٢٤ ـ علة الجهر فيها والتخافت فى سائر الايام ٠
٢٥ ـ علة القراءة بالسجدة وهل اتى وعلة القراءة فى صلاة الفجر يوم الجمعة بهاتين السورتين ٠
٢٦ ـ علة أوقات الصلاة ٠

٥٣ ـ علة الاضحية ٠

٥٤ ـ علة الربا ٠

٥٥ ـ علة النهى عن بيع الطعام حتى يكال ٠

٥٦ ـ علة الميراث ٠

٥٧ ـ علة القاتل انه لا يرث ٠

٥٨ ـ علة الانبياء عليهم السلام لا يورثون ٠

٥٩ ـ علة مقادير المواريث المذكورة فى القرآن العظيم ٠

٦٠ ـ علة تحريم الخمر ٠

٦١ ـ علة تحريم الدم ٠

٦٢ ـ علة تحريم الميتة ٠

٦٣ ـ علة تحريم الذهب والحرير على الرجل ٠

٦٤ ـ علة تحريم جر الازار خيلاء ٠

٦٥ ـ علة قول رسول الله اذا دخل العشر واراد احدكم ان يضحى فلايمس من شعره ولا بشره شيئا ٠

هذه هى الأبواب التى تناولها الحكيم فى كتابه هذا وهى محاولة يرمى من ورائها الى تبيان علل الاوامر والنواهى فى الاسلام ويمكن ان نعتبر هذا الكتاب من الكتب التى حاول الحكيم بها الكشف عن فلسفة التشريع فى الاسلام ٠

٣ ـ الاحتياطات

ليس هذا كتابا بمعنى الكلمة المقصودة من كتاب وانما هو رسالة قصيرة قد نطلق عليها فى التعبير الحديث مقالة ولا زالت هذه الرسالة مخطوطة حتى الآن ، ويوجد منها نسخة واحدة فى مجموعة باريس تحت رقم ٥٠١٨ وعمل الحكيم فى هذا انما هو حشد مجموعة من النصائح والتعاليم الدينية جمعها فى ايجاز واختصار وأطلق على كل منها احتياط ، ومن ذلك جاء اسم العنوان « الاحتياطات » ٠

وليس لهذه الرسالة قيمة علمية تذكر يمكن ان تعبر عن اتجـــاه ما فى تفكير الترمذى وفلسفته أو تشير الى جانب بارز أو عادى من جوانب تفكيره الصوفى ، بل هى شىء أشبه بالحكم والمواعظ التى ترسل للتوجيه العام ٠

٤ ـ أدب النفس

هذا كتـاب مختصر من كتب الترمذى او رســالة مطولة من رســـائله العديدة ، وتوجد منه نسخة خطية بمكتبة أسعد أفندى ، وقد قام البرفيسور آربرى والدكتور على حسن عبد القادر بتحقيق هذا الكتاب ونشره مع كتاب الرياضة سنة ١٩٤٧ بالقاهرة ٠

والكتاب كما يبدو من عنوانه يعرض صورا لتربية النفس ورياضتها : وجانبا من التجارب الروحية التى تحتم على السائر فى الطريق ان يمر بهـا وينبه الى بعض مخاطر الطريق ، وما يعترض السالك فيهـا من خدع النفس ومكرها ، وفيما يلى قائمة برؤوس الموضــوعات التى وردت فى الكتـاب كما فهرس لهـا محققا الكتاب :

١ ـ انشاء الخلق لاظهار الربوبية ٠
٢ ـ دعوة الخلق الى التوحيد ٠
٣ ـ الهوى والشهوات ٠
٤ ـ الايمان واليقين فى القلب ٠
٥ ـ شأن الرزق ٠
٦ ـ رياضة النفس وأثرها فى قبول احكام الله ٠
٧ ـ مجاهـدة النفس ٠
٨ ـ الصـابر والراضى ٠
٩ ـ فرح الانبياء وحزنهم ٠
١٠ ـ فرح المتقين ٠
١١ ـ كيفية رياضة النفس ٠
١٢ ـ اليقين وطهارة القلب ٠

١٣ ـ تمثيل رياضة النفس برياضة البازى والدابة .

١٤ ـ التقرب الى الله بالنوافل .

١٥ ـ شـأن الخضر .

١٦ ـ صقل القلب .

١٧ ـ صفة القلب .

١٨ ـ الغفلة عن رياضة النفس .

١٩ ـ منع اللذة والشهوة عن النفس .

٢٠ ـ منع النفس من الطيبات .

٢١ ـ تحرير القلب من رق النفس .

٢٢ ـ حديث حارثة .

٢٣ ـ ثقة المؤمن بأمر الرزق .

٢٤ ـ تأثر القلب بالعلم والموعظة .

٢٥ ـ زيادة الايمان .

٢٦ ـ الغفلة والغلفة .

٢٧ ـ الأمر بالمجاهدة .

٢٨ ـ ماهية الهوى .

٢٩ ـ ثمرة الهوى .

٣٠ ـ انقسام الناس الى قوى وضعيف أمام الشهوات .

٥ ـ الادعيـة

هذا كتاب مشكوك فى نسبته الى الحكيم الترمذى ، وهو مكتوب باللغة الفارسية ، ولا زال مخطوطا ، حتى الآن وتوجد منه نسخة فى أيا صوفيا تحت رقم ١٨١٤ .

وفى الصفحات الاولى يتحدث الكتاب عن عزم الترمذى على السفر الى العراق للتزود من العلم هو واثنين من رفاقه ثم عدوله عن السفر نظرا لمرض أمه وعدم موافقتها له بالسفر لحاجتها الى رعايته والقيام بشئونها فى مرضها ،

ثم يحكى حزن الحكيم على فوات هذه الفرصة ولزومه البكاء وما جرى له فى أحد أيام الجمعة واندفاعه الى المقابر فاقد الوعي وحين فتح عينيه وجد نفسه امام شيخ وقور اكتشف انه الخضر ، ولما عرف قصته اخرج له هذا الكتاب من جيبه وطلب اليه ان يتبع ما فيه من ارشاد وتعاليم ، وسينال من العلم بسبب ذلك اكثر مما نال صاحباه ، وكان الكتاب باللغة العربية •

والكتاب يتحدث على لسان ابن عباس عن الدعاء السيفى الذى تعلمه من على بن أبى طالب ويذكر كيفية ادائه وان كان لم يورد نص الدعاء نفسه ومكتوب على غلاف المخطوط •• كتاب الادعية والطلسمات •• للحكيم الترمذى ومرة ثانية رسالة أدعية ترمذ •

٦ - كتاب الاكياس والمغترين

واحد من كتب الحكيم الهامة الذى يحاول فيه ان يوجد منابع واصولا للسلوك الانسانى فى مجالاته المختلفة تتفرع من القوى الداخلية للانسان وما يصطرع فى داخله من نزاع بين الخير والشر والكتاب لا يزال مخطوطا ، وتوجد منه نسختان ، الاولى فى مكتبة اسماعيل صائب ونسخت سنة ٥٩٣ بيد محمد بن جراد ، والثانية فى مكتبة الظاهرية ، ولم يذكر بها تاريخ نسخها ويبدو من الخط انها كتبت فى عصر متأخر •

والكتاب فى مجموعه يعتبر نقدا اجتماعيا يتناول ظاهرة الرياء التى تدخل فى كثير من الاعمال والعبادات فتفسدها •

وقد استهل الحكيم كتابه بقوله : وجدنا دين الله مبنيا على ثلاثة اركان : الحق ، والعدل ، والصدق ، فالحق على الجوارح ، والعدل على القلوب، والصدق على العقول ، فاذا قرب غدا الى الميزان لوزن الاعمال وضعت الحسنات فى كفة الحق ، والسيئات فى كفة العدل ، والصدق فى لسان الميزان به يتبين رجحان الحسنات على السيئات •

وقد ضبط الحكيم النشاط الانسانى من عبادات ومعاملات وسلوك

بهذه الاركان الثلاثة التى يستوعب كل منها منطقة من مناطق القوى الانسانية الكـــامنة ويرى فى الوقت نفسه ان هذه الاركان الثـــلاثة هى جند للمعـرفة وأضدادها جند للهوى ، ثم يورد لمحة سريعة عن الصراع بين المعرفة والهوى وان النفس تحاول ان تغير كثيرا من الناس ،وتموه عليهم ،فلا يسلم من اغوائها الا القليل ، ثم يتحدث عن أهل المعرفة الذين فطنوا الى اغـواء النفس ، ولم يغتروا بها ، وهم الاكياس وسواهم هم المغترون ، ويسوق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كأساس يبنى عليه بقية فصول الكتاب ، والحديث يقول : ان مما اتخوف على امتى زلة العلماء ، وميل الحكماء ، وسوء التأويل ، ثم يضرب أمثلة موضحة لكل من زلة العلماء ، وميل الحكماء ، مؤكدا ان منشأ الزلل والميل انما هو غرور النفس الذى لاينجو منه الا العارفون العلماء بالله ٠

أما سوء التأويل فيعدد له الوانا كثيرة تشمل الاعتقاد والعبادة والعمل وسلوك ، ويسمى هؤلاء الذين وقعوا فى سوء التأويل مغترين ٠

وهذه قائمة بالأمور التى عددها فى هذا الصدد مبينا كيف أفسد الاغترار فى كل منها الهدف المنشود من العمل ذاته :

فى الشرك ـ فى الوضوء ـ فى الصلاة ، فى طلب العلم ، فى النكاح ، فى مجاورة البيت ، فى تلاوة القـرآن ، فى بناء المساجد ، فى سـبيل الدعاة الى الله ، فى ميدان المريدين ، فى ميدان الصادقين ، طبقة أخرى من الصادقين ، فى ميدان العارفين ، فى ميدان المتقين ، وفى كل من هذه الابواب يشرح كيف يفسد الرياء العمل الصالح ، ويعود على صاحبه بسوء النتائج وقد انتفـــع الغزالى بمنهج الحكيم هنا فى كتاب الاحياء فى ربع المهلكـات ، وكذلك فى كتابه الكشف المبين فى ضلال الخلق أجمعين ٠

٧ ـ كتاب الامثال من الكتـاب والسنة

هذا الكتاب لا يزال مخطوطا ، ويوجد منه ثلاث نسخ : الاولى فى المكتبة الاهلية بباريس ، والثانية فى مكتبة اسعد افندى بتركيا والثالثة فى مكتبة



الجمعية الآسيوية بكلكتا بالهند الا ان لها عنوانا يختلف قليلا عن العنوان المذكور وهو « تبيان الامثال » ٠

والانطباع الذى يخرج به القارىء من العنوان ان الكتاب مخصص لاستعراض امثال القرآن الكريم والسنة النبوية لكن الدارس للكتاب لا يلبث ان يكتشف انه جاء بعدد محدود فقط من امثال القرآن الكريم لا يتجاوز ثلاثة وعشرين مثلا ، ومثلها من السنة ثم عرض بعد ذلك لما جرى ويجرى المثل من كلام الشيوخ ، وقد يمكن القول ان هذه الاقوال ترجع فى معانيها الاصلية الى ما جاء فى القرآن والسنة ٠

والامثال التى جاء بها من القرآن انما هى فى الحقيقة ثمانية عشر مثلا فقط لان اثنين منها جاءا مكررين وهذا بيان بها :

١ ـ مثل المنافقين ٠
٢ ـ مثل اليهود مع النبى صلى الله عليه وسلم ٠
٣ ـ مثل المنافقين الذين انكروا القرآن الكريم ٠
٤ ـ مثل النبى صلى الله عليه وسلم مع الكفار ٠
٥ ـ مثل الانفاق فى سبيل الله ٠
٦ ـ مثل المنافقين والمشركين ٠
٧ ـ مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا ٠
٨ ـ مثل اليهود الذين تلقوا رسالة الله واهملوها ٠
٩ ـ مثل الدنيا كماء ٠
١٠ ـ مثل الحق والباطل ٠
١١ ـ مثل دعاء الكفار ٠
١٢ ـ مثل كلمة طيبة ٠
١٣ ـ مثل أعمال الكفار ٠
١٤ ـ مثل الاصنام ٠
١٥ ـ مثل ناقض العهد ٠

١٦ ـ مثل أصنام اهل مكة .

١٧ ـ مثل قلب المؤمن واعماله . وقلب الكافر واعماله .

١٨ ـ مثل اعمال الكفرة .

١٩ ـ مثل العنكبوت .

٢٠ ـ مثل الشرك .

٢١ ـ مثل الذين حملوا التوراة فلم يحملوها .

٢٢ ـ مثل الذى مر على قرية ؟

هذه هى الامثال التى جاء بها من القرآن الكريم . وعقب عليها بأن قال : انما هى نماذج لما غاب عن العين والاسماع لتدرك النفوس ما ادركت عياناً ؟

واما الامثال من السنة فهى اكثر من ان تحصى وهذه نماذج منها جاءت فى الكتـــاب :

١ ـ مثل العالم .

٢ ـ مثل فى الدعوة .

٣ ـ مثل الآدمى ومثل الموت .

٤ ـ مثل القرآن .

٥ ـ مثل من لعب بالميسر .

٦ ـ مثل قارىء القرآن .

٧ ـ مثل المنافق الذى يقرأ القرآن والمنافق الذى لا يقرأ القرآن .

٨ ـ مثل الكافـر .

٩ ـ مثل كلمة الشهادة من المؤمنين .

١٠ ـ مثل من أعطى القرآن ولم يعط الايمان .

١١ ـ مثل المنفق ومثل البخيل .

١٢ ـ مثل الصلوات الخمس .

١٣ ـ مثل موت المرأة المعجب بها زوجها .

١٤ ـ مثل الرؤيا حين تعبر .

١٥ - مثلكم ومثل اليهود والنصارى .

١٦ - مثل المؤمن مثل النخلة .

١٧ - مثل الصحابة ؟

١٨ - مثل الرسول صلى الله عليه وسلم ...

١٩ - مثل المؤمنين .

٢٠ - مثل التاجر .

٢١ - مثل المنافق .

٢٢ - مثل خمس كلمات امر الله تعالى بها يحيى عليه السلام ، وضرب لها الامثال .

٢٣ - مثل المصلى الذى لا يتم ركوعه ولا سجوده .

وهذا هو آخر الامثال التى ضربها من السنة وهى تبلغ فى مجموعها مثل ما جاء به من القرآن الكريم ، ولم يقف الكتاب عند هذا الحد كما يفهم من عنوانه بل انه ضم أمثلة أخرى تصل مع ما تتقدمها الى حوالى مائة وستين مثلا ، والامثال الباقية التى جاء بها انما استخلصها من كلام الشيوخ والصالحين الذى جرى مجرى المثل وكان فيه من الحكمة والتجربة ما ينتفع به الناظر فيه ، وهذه الامثال التى ، جاء بها وجرت فى تضاعيف الكتاب واستغرقت القدر الاكبر منه وان كانت ليست من الكتاب ولا من السنة ولكنها تستقى منهما وتبنى على ما جاء فيهما فما فيها من معان وحكم انما استخلصها قائلوها من فهمهم للكتاب الكريم والسنة المطهرة .

وقد تعرض الحكيم فى خلال هذا الجزء الى جانب كبير من المفاهيم الصوفية التى يؤكد عليها ويشرح معانيها ويحدد المقصود بها مما لا تجده عند غيره من الشيوخ وهى الالفاظ التى تدور عليها بحوثه المتعددة فى كتبه ورسائله الكثيرة من أمثال الحكمة والمعرفة ، وعمال الصدق ، وعمال الله ، والعارفون ، والصديقون ، والقلب والنفس ، وما شاكل ذلك .



٨ ـ انواع العلم

هذه رسالة لا زالت مخطوطة ويوجد منها اربع نسخ : واحدة فى الظاهرية والثانية فى اسماعيل صائب ، والثالثة فى ليبزج ، والرابعة فى ولى الدين ٠

والحكيم فى هذه الرسالة يناقش فكرة العلم والمعرفة ويستعرض الوان العلوم والمعارف السائدة فى عصره ويتناول اصناف العلماء ويضع كلا منهم فى المكان الذى يستحقه وفى خلال عرضه لالوان المعارف ومنتحليها يتناول بالنقد العنيف هؤلاء المتسمين بصفات العلماء الذين لم يصقل العلم نفوسهم ولم ينر قلوبهم ولم يوجه تصرفاتهم وسلوكهم ، ويراهم ليسوا أهلا لأن ينالوا هذا اللقب الذى لا يستحقه الا من يرى العلم طريقا الى التسامى بالنفس والروح واتخاذه سبيلا الى ادراك الحقائق العليا التى تفتح له طريق الوصول الى الله سبحانه وتجعله قدوة هادية بين الناس يرشدهم بعمله وسلوكه الى ماينفعهم فى دينهم ودنياهم ، والحكيم فى هذه الرسالة يناقش فكرة علم الظاهر والباطن ويرى وجوب التلازم بينهما لان كلا منهما مكمل للآخر ، لا تتم المعرفة الحقة الا بتحصيلهما معا ٠

ويعرض فى اثناء نقاشه لسبل تحصيل كل منهما وما يترتب على كل منهما من نتائج تعود على الفرد ويتخذ من هذا العرض وسيلة الى توجيه النقد العنيف الى هؤلاء الذين لا يعرفون للعلم قدسيته ولا يحفظون عليه وقاره وهيبته ٠

وموضوع العلم والمعرفة وانواعهما من الموضوعات التى نالت عناية الحكيم وكتب عنها عددا من الرسائل المستقلة وتناولها دائما فى تضاعيف مؤلفاته الاخرى لما لها من أهمية قصوى وارتباط بفكرة المعرفة التى يعتبرها اقصى غاية التقدم الروحى ٠

ولعل هذه الرسالة هى التى يشير اليها الحكيم فى كتابه الاكياس والمغترين مسميا لها « كتاب العلوم » كما هى عادته دائما فى الاشارة الى كتبه

فانه يشير الى الجزء الأهم منها ، فمثلا حينما يشير الى كتاب نوادر الاصول يسميه كتاب الاصول ٠

٩ - بدو شأن الحكيم الترمذى

هذه رسالة مختصرة سجل فيها الحكيم جانبا من الاحداث التى تعرض لها فى حياته ، وخاصة الفترة التى عانى فيها من الاضطهاد والاتهام ويوجد منها نسخة مخطوطة فى مجموع اسماعيل صائب ، وقد نشرها الدكتور عثمان اسماعيل يحيى فى مقدمة كتاب ختم الأولياء الذى نشره ببيروت عام ١٩٦٥ ٠

وفى هذه الرسالة يحدثنا الحكيم كيف بدأ تحصيله للعلم واهتمامه به منذ الصبا الباكر لما كان له من العمر ثمانية اعوام ، وان اباه كان يوجهه الى الدرس والتحصيل حتى صار طلب العلم عنده ميلا طبيعيا فى الوقت الذى كان يقطع فيه اترابه اوقاتهم فى اللهو واللعب ، ويحدثنا الحكيم انه درس على أبيه علم الآثار والرأى ، ولم يحدثنا عن أستاذ آخر له ٠ ولما بلغ من العمر سبعة وعشرين عاما توجه الى الحج ومر فى طريقه بالعراق حيث عرج هناك على الكوفة والبصرة حيث اخذ عن شيوخ الحديث بهما ٠

ثم حدثنا كذلك عن مقامه بمكة وادائه فريضة الحج وما ألهمه من الدعاء عند الملتزم وعودته مصمما على حفظ القرآن الكريم الذى كان حفظه موضوع دعائه عند الملتزم مع سؤاله الله سبحانه ان يزهده فى الدنيا ، ويخبرنا انه بدأ فى حفظ القرآن فى طريق عودته وأتمه بترمذ حتى أنه كان يقطع الليل كله وهو يقرأ القرآن حتى وجد فى قلبه حلاوته كما يقول هو عن نفسه ٠

ثم يحدثنا عن زهده وحيرته وبحثه عن شيخ يأخذ بيده فلم يجد حتى اهتدى الى كتاب الانطاكى الذى وجهه الى شىء من رياضة النفس وبعد ذلك عرض لنا رغبته فى العزلة واحيائه الليل فى الذكر مع بعض اخوانه مشيرا الى بعض التجارب الروحية التى بدأ يعالجها ٠



ثم ما تعرض له من الاتهام والاضطهاد ثم لزومه بيته حسب امر الوالي وقص علينا جانبا من الرؤى التى رآها ورأته زوجه واثنان من اصدقائه .

ثم مجيء الناس اليه يسألونه ان يتخذ لهم مجلسا يعظهم فيه ويعلمهم بعد ان تبين لهم بطلان اتهام اعدائه له وكذبهم عليه .

١٠ - بيـان العلم

هذه رسالة أخرى يتحدث فيها عن العلم والعلماء ولا زالت مخطوطة ويوجد منها نسخة وحيدة ضمن مجموعة اسماعيل صائب .

وقد بين الحكيم فى السطور الأولى من هذه الرسالة الدافع الى تأليفهـا وذلك ان قوما اتهمـــوه برفض العلم وتضييقه ، وبين كـذلك ان للقـائلين يقصدون بالعلم الفقه لأن الدين يقوم به ، وكذلك تتحقق به طاعة الله الى جانب ما ورد عن الرسول من قوله : (ما عبد الله بمثل الفقه) ، وقوله : (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين) .

ولهـذا أخذ الحـكيم فى بيان المراد بالعلم المشار اليه فقسمه الى ثلاثة أقســـام هى :

١ - الحلال والحرام وهو على علم احكام هذه الدار وهو علم الظاهر .

٢ - علم أحكام الآخرة وهو علم الباطن .

٣ - علم احكام الله تعالى فى خلقه فى الدارين .

ثم يأخذ فى بيان كل قسم وانواعه وصفة الناس المتسمين به وما يناله من نفع دينى او دنيوى بسببه .

ويعقب على ذلك ببيـــان أصناف العلمـاء الذين يحصلون هذه المعـارف ومستوياتهم الروحية وحظهم من صفاء القلوب وطهارة الضمائر وقربهم من الخالق سبحانه ، ثم يفيض فى بيان هذه التفضيلات وخصائص كل فريق من المتسمين بالعلم والمنتسبين اليه .

وقد أفاض الحكيم فى هذه الرسالة فى الحديث عن العلم الظاهر والباطن واقسام كل منهما ونتائجه .

وكان هجومه عنيفا على من يسميهم علماء الرسوم وهم الذين يتخذون ما يحصلونه من العلم الظاهر سبيلا الى تحصيل مكانة مرموقة بين الناس أو الوصول الى منصب وجاه وسلطان يدل به على البسطاء من الناس ويبتز أموالهم .

١١ - بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب

طبع كتاب الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب فى القاهرة سنة ١٩٥٨ م بتحقيق المستشرق الامريكى الدكتور نقولا هير من نسخة خطية وحيدة فى دار الكتب بالقاهر .

والكتاب وصف تحليلى نفسى للقلب ومقاماته الباطنية الاربعة الموجودة بداخله او المحيطة به ، وهى من الخارج الى الداخل :

الصدر - القلب - الفؤاد - اللب . وكل هذه الأربعة مرتبط بواحد من الانوار الالهية على النحو التالى :

الصدر مرتبط بنور الاسلام ، وهو فى الوقت نفسه موضع ولاية النفس الامارة بالسوء ، ومستقر حفظ العلم المسموع الذى يوصل اليه بالتعليم وبداخله حلبة الصراع بين نوازع النفس وبين هداية القلب ، ولذلك يضيق وينشرح احيانا تبعا لما يغلب عليه من وساوس النفس ، ومن ضياء القلب وهدايته .

والقلب هو المقام الثانى ، ومنزلته من الصدر منزلة الأصل من الفرع ،وهو مرتبط بنور الايمان ، والقلب معدن نور الايمان والخشوع والتقوى والمحبة والرضا واليقين ، والخوف ، والرجاء والصبر والقناعة ، وأصول العلم، ويوصف القلب بالعمى والبصر .

والفؤاد وهو المقام الثالث ، ومكانه من القلب بمنزلة اللؤلؤة من الصدفة ، وهو مرتبط بنور المعرفة ، والفؤاد موضع الخواطر وموضع الرؤية .

واللب هو المقام الرابع وهو من الفؤاد بمنزلة نور البصر فى العين ، وهو موضع نور التوحيد ، وهو النور الأتم ، والسلطان الاعظم .

وترتبط هذه المقامات الأربعة فى الوقت نفسه بالمنازل الاربعة للعباد وهى على التوالى ، المسلم ، والمؤمن ، والعارف ، والموحد .

وترتبط كذلك بحالات النفس التى ذكرت فى القرآن الكريم وهى النفس الامارة بالسوء ، والنفس اللوامة ، والنفس الملهمة ، والنفس المطمئنة .

ويتمثل الحكيم الانوار المتصلة بهذه المقامات بالجبال لكل منها مستقر وموضع وهو المنطقة الخاصة به فى القلب ، ولكل منها طائر يحلق فى رأس الجبل وهذا الطائر هو النفس المحومة فى منطقة النور وتفصيلها كالآتى :

(ا) نور الاسلام جبل ، وأرضه الصدر ، وطائره النفس الامارة .

(ب) نور الايمان جبل ، وموضعه القلب ، وطائره النفس الملهمة .

(ج) نور المعرفة جبل ، ومستقره الفؤاد ، وطائره النفس اللوامة .

(د) ونور التوحيد جبل ، ومعدنه اللب ، وطائره النفس المطمئنة .

والحكيم بهذا التقسيم يرسم خطوطا رئيسية تتناول كل ألوان السلوك الانسانى ونشاطه فى مجال الخير والشر .

وقد قسم الدكتور نقولا هير الكتاب الى ستة فصول يحتوى كل منها على طائفة من الأفكار التى تتصل به ، وهذه الفصول هى :

الفصل الأول : مقامات الباطن .

الفصل الثانى : فى الصدر

الفصل الثالث : فى القلب .

الفصل الرابع : فى الفؤاد

الفصل الخامس : فى اللب

الفصل السادس : انوار القلب .

ويمكن ان يعتبر عمل الحكيم فى هذا الكتاب بمثابة تحليل نفسى للدوافع والميول الانسانية وربطها بمنابع لها من داخل النفس الانسانية على ضوء تعاليم الاسلام ، وتصوير مثله الداعية الى سمو السلوك وتقويم الخلق .

١٢ - بيان الكسب

هذا الكتاب لا يزال مخطوطا حتى الآن ، وتوجد منه نسخة وحيدة بمكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموعة كلها للحكيم الترمذى تحت رقم ١٠٤ تصوف .

والحكيم فى هذه الرسالة يبين الطريق السليم للكسب الحلال ، وان السعى فى سبيل تحصيل الرزق من علامات الخير فى الرجل ، ولذلك كان عمر ابن الخطاب حينما يسأل عن رجل ما ثم يعرف أنه لا حرفة له يحصل منها على قوته يسقطه من اعتباره ، ذلك لأن الاسلام دين عمل وتحصيل وجد .

وقد ضرب الحكيم الامثلة الكثيرة للسعى فى سبيل الرزق من حياة الانبياء والمرسلين عليهم السلام من قبل الاسلام ، وكذلك كان النبى يعمل بالرعى والتجارة وقد احترفهما من قبل عدد كبير من الانبياء السابقين صلوات الله عليهم .

وحشد طائفة من الاحاديث النبوية الشريفة التى تحض على العمل وتدعو الى السعى وراء الرزق حتى تهدأ النفس وتطمئن ، وعرض نماذج من تصرفات الرسول الكريم مع بعض المسلمين الذين جاءوا يستأذنونه فى المسألة فكان دائما يوجههم نحو العمل والسعى .

والهدف من هذا الكتاب هو بيان وجهة نظر الاسلام بالنسبة للعمل والسعى فى سبيل القوت ورسم الطريق الذى يرضاه الاسلام وترعى فيه حدود الله ، وفى الوقت نفسه يعتبر رفضا لهؤلاء الذين يدعون التصوف ويركنون الى الكسل ويصبحون عالة على الآخرين .

١٣ ـ تحصيل نظائر القــرآن

لا يزال هذا الكتاب مخطوطا حتى الآن (١) ، وتوجد منه نسخة وحيدة بمكتبة بلدية الاســـكندرية ضمن مجـوعة للحكيم الترمذى بخط محمد بن هيبة الله بن أبى جراد •

وفى السطور الأولى من الكتاب يتبادر الى ذهن القارىء أن هناك كتابا آخر بهذا الاسم وان الحكيم قد اطلع عليه وقد يبدو ان هذه المقدمة من عمـل الناسخ نفسه أو أن هناك كتابا آخر تحت هذا العنوان ، وقد عرفت أن مقاتل ابن سليمان كتب كتابا مماثلا فقد يكون الحكيم قد اطلع عليه ، ولعله قد يكون من الممكن العثور على نسخة أخرى للكتاب تكشــف هذا اللبس والمنهج الذى سار عليه الحكيم فى هذا للكتاب أن استعرض القــرآن الكريم ، ووجد عددا من الالفاظ قد تداول القرآن اســتعمالها لاكثر من معنى وبين المعنى الرئيسى لهذه الكلمات والمعانى التى استعملت فيها صلات لغوية معينة جعلت من الممكن انتقال الكلمة بين معناها الاصلى الى المعنى الجديد •

وقد تداول الحكيم فى هذا الكتاب ثمانين كلمة قرآنية أخذ يبين معناها وما استعملت له من معان أخرى واتخذ الحكيم هذه الفرصة للنفوذ الى عرض جانب من الافكـــار الصوفية التى يجب أن يجليها ويشرح المقصــود بهـــا من وجهة نظره كمفكر صوفى رائد • وهذه الكلمات هى الهدى ـ الكفر ـ الشرك ـ السوا ـ المرض ـ الفساد ـ المشى ـ اللباس ـ السوء ـ الخزى ـ باءوا ـ الرحمة ـ الفرقان ـ قانتون ـ ذكر ـ خوف ـ صلاة ـ الناس ـ كتب ـ خير ـ خيانة ـ امام الامة ـ شقاق ـ الوجه ـ الوجه ـ فتنة ـ عدوان ـ عفو ـ الطهور ـ أن أنى ظن ـ حكمة ـ معروف ـ طــاغوت ـ ظالمين ـ اطمأن ـ السعى ـ الفواحش أدنى ـ التأويل ـ استغفر ـ الدين ـ الاحساس ـ الاسلام ـ ايمان ـ الشكر

---

(١) بعد كتابة هذا الفصل يعاين طبع الكتاب فى القاهرة بعناية الأستاذ حسنى زيدان •

الفضل ـ صر ـ البأساء ـ الضراء ـ وكيل ـ محصنات ـ شاهد ـ حرج ، الردى ـ شيع ـ متاع ـ الضحى ـ الخاسرين ـ الاستطاعة ـ فتولى عنهم ـ الروح ـ الأحزاب ـ التقوى ـ الصف ـ الحشر ـ الرجاء ـ لا يرجون لقاءنا ـ الوحى ـ الجبار ـ لغو ـ الظل ـ الحق ـ بغير حساب ـ الماء ـ كبير ـ يوزعون السبيل ٠

تفسير آية لا شرقية ولا غربية مع تأويل أربعين حديثا

توجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب فى مكتبة فيض الله بتركيا وقد عده الدكتور يحيى ضمن مؤلفات الحكيم الترمذى فى مقاله الذى نشره عن الحكيم الترمذى واعماله فى مجلة (١) Melange باللغة الفرنسية ٠

والكتاب ليس من تأليف الحكيم الترمذى وانما هو من تأليف ابراهيم ابن محمد الطاوس كما ذكر ذلك صراحة فى الورقة ١٣٣ حيث قال الناسخ ما يلى : هذا ما كتبنا من شرح الحديث لابراهيم بن محمد الطاوس انتسابا العردينى ولادا الذى ألفه بعد الانتقال من بلاد خراسان الى مدينة همدان ، والذى دعا الى نسبة الكتاب الى الحكيم ان المؤلف صدره باقتباس رأيه فى تفسير قوله تعالى : « يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ٠٠ » وذلك ان الحكيم جرى فى تفسير هذه الآية على طريق الاشارة الى معانى الحروف وما تشير اليه من اسرار وقد اقتفى المؤلف هذه الطريقة وسار عليها مع مبالغة وايغال وتابع ذلك فى تفسير الاحاديث التى أتى بها وهى اربعون حديثا ٠

---

(١) العدد الثالث سنة ١٩٥٧ طبع دمشق ٠

١٤ - الجمل اللازم معرفتها

هى رسالة قصيرة لا تتجاوز اربع صفحات ، ولا زالت مخطوطة - حتى الآن وتوجد منها نسختان احداهما ضمن مجموعة باريس والثانية فى منشستر .

وليس لهذه الرسالة قيمة علمية تذكر ، وقد جمع فيها الحكيم طائفة من الرقائق والمواعظ وجعلها بمثابة توجيهات تلقى الى السالكين من الصوفية وسمى كلامها جملة .

أولها جملة الايمان ، وآخرها جملة الصدقة .

١٥ - جواب كتاب من الرى

لا تزال هذه الرسالة مخطوطة ، ويوجد منها ثلاث نسخ : الاولى فى ليبزج والثانية فى اسماعيل صائب والثالثة فى الظاهرية .

وفى هذه الرسالة يرد الحكيم على شخص كتب اليه مسترشدا شارحا له ما أصابه فى طريق مجاهدته ، وفيها انه وصل الى حالة من الرياضة والمجاهدة شعر بعدها انه يحتاج الى ان يلتقى بأحد الشيوخ الذى يأخذ بيده فى طريقه الى الله وكانت النتيجة أن فقد ما كان قد حصله بجهده ومجاهدته ووقع فى حيرة وضياع ، ولهذا فهو يسأل الحكيم النصيحة بعد أن وقع فى الضياع من حيث كان يرجو الوصول .

كان جواب الترمذى معبرا عن رأى تميز به دون غيره من شيوخ الصوفية قاطبة ، ذلك أن الشيوخ من الصوفية يرون أنه لابد للسالك من شيخ يهديه ويسدد خطاه ولكن الحكيم لا يرى هذا الرأى ويجعل المقام الأول والأخير فى الوصول الى الحق الاستعداد النفسى والرياضة الصادقة والمجاهدة الدائبة حتى يميت المرء نوازع العجب والانتحار من نفسه ولا يرى لنفسه عملا مهما جد وسعى ولذلك فهو ليس فى حاجة الى شيخ ويعبر عن ذلك بقوله فى الرسالة : ذلك جزاء من يطلب الخالق بالمخلوق .

وكانت نصيحته للسائل ان يعود من جديد من حيث بدأ أولا ثم يأخذ نفسه بالتوبة والتطهير ثم يصلى ركعتين فى براز من الارض ·

ويلزم الصبر والمجاهدة حتى يفتح الله له طريقه ولا يمل من المجاهدة مهما طال به الانتظار والصبر ·

١٦ ـ الحج وأسراره

هذا كتاب لا يزال مخطوطا وتوجد منه نسخة وحيدة فى مجموعة باريس مكتوبة بخط اندلسى دقيق تصعب قرءاته (١) ·

والحكيم فى هذا الكتاب يتحدث عن الحج · وهو كعادته لا يعطى اهتماما كبيرا لكيفية أداء اعمال الحج وان كان الاتيان بها على وجهها الصحيح ذا أهمية بالغة وانما يرمى الى الاهداف الروحية التى يجنيها الحاج من زيارة الاماكن المقدسة معتمدا فى كل ما قال على مجموعة من الأحاديث رواها ،

١٧ ـ الحقوق

لا يزال هذا الكتاب مخطوطا ، وتوجد منه نسخة ضمن مجموع اسماعيل صائب ·

وقد حاول الحكيم فى هذا الكتاب ان يعطى صورة شاملة عن الحقوق العامة التى يطالب بها المرء فى حياته سواء كانت حقوقا دينية او اجتماعية او انسانية عامة وان كان الحكيم يراها جميعا حقوقا دينية تلزم المرء نحو خالقه ورسوله وأبويه وذويه وهؤلاء الذين يخالطونه فى حياته منذ ولادته حتى يترك هذه الحياة ·

ويمكن أن يلخص عمل الحكيم فى هذا الكتاب تحت خطين عريضين : اولهما التعبير عن الشكر للخالق لما اعطى الانسان من نعم متعددة ويكون

---

(١) طبع هذا الكتاب بعد كتابة هذا الفصل بعناية الاستاذ حسنى زيدان ـ القاهرة ·

الشكر عليها باستعمالها استعمالا صحيحا فيما خلقت له ٠

والثانى التعبير عن الشكر لهؤلاء الذين قدموا له من الخير ما يغمر حياته سواء كان ذلك هداية دينية أو قياما بواجبات أسرية كأعضاء أسرته او تقديما لخدمات عامة لأفراد المجتمع سواء فى الحقل الثقافى او الاجتماعى ٠

وقد عدد الحكيم سبعة عشر نوعا من الحقوق هى :

١ - مرافق الرسول صلى الله عليه وسلم ٠
٢ - مرافق السلطان ٠
٣ - مرافق العلماء ٠
٤ - مرافق المؤذنين ٠
٥ - مرافق الأئمة ٠
٦ - مرافق الابوين وحقوقهم ٠
٧ - مرافق الولد ٠
٨ - مرافق الزوجين ٠
٩ - مرافق ذوى القربى وحقوقهم ٠
١٠ - مرافق الجوار ٠
١١ - مرافق ملك اليدين ٠
١٢ - مرافق الدواب (دواب الحمل) ٠
١٣ - مرافق الاطباء ٠
١٤ - مرافق الغسالين للموتى ٠
١٥ - مرافق الغزاة ٠
١٦ - مرافق المحتسبة ٠
١٧ - مرافق المعلمين ٠

١٨ - الحكمة

لا زال ذلك الكتاب مخطوطا ، وتوجد منه نسخة فى مكتبة خراجى أوغلو بتركيا ٠

وفى هذا الكتاب يشرح الحكيم الترمذى معنى الحكمة ، وكيف تأتى من الله الى العبد ، وكيف تعود الى الخالق .

ويبين الكتاب أن طرق الحكمة تختلف باختلاف الشخص الذى تستعمل معه فما يناسب العالم لا يناسب الجاهل والحكيم العالم هو الذى يعرف الطريق الحق لاستعمال الحكمة التى وهبها الله اليه ويعطى الكتاب النتائج التى تترتب على استعمال الحكمة استعمالا صحيحا ،وكذلك النتائج التى تنتج عن اهمال استعمالها كما يريد الخالق سبحانه .

١٩ ـ ختم الأولياء

أهم وأخطر الكتب التى ألفها الحكيم الترمذى ، وقد طبع الكتاب سنة ١٩٦٥ فى بيروت بعناية وتحقيق الدكتور عثمان اسماعيل يحيى من نسختين مخطوطتين احداهما ضمن مجموعة ولى الدين والأخرى بمكتبة الفاتح .

والكتاب يناقش فكرة الولاية والاولياء ودرجات الاولياء من اولياء حق الله وأولياء الله ، الى أهل الهداية وأهل الجباية والطريق الشائق الملىء بالمجاهدة والمعاناة الذى يقطعه أهل الهداية حتى يسيطروا على شهوات النفس او يأمنوا مكرها .

ودرجات أهل الجباية من صديقين الى محدثين الى ختم الاولياء الذى هو فى منزلة خلف النبيين وامام الاولياء ويصل الحكيم الى هذا بعد ان يقسم الولاية الى ولاية عامة وولاية خاصة مبينا خصائص كل منهما .

وفى أول الكتاب بين الحكيم أنه سيناقش ما جرى على السنة الناس من الخوض فى أمر الولاية والاولياء ، ثم يأخذ فى متابعة الحديث فى هذا الموضوع الدقيق منبها على عدم القاء بال للمدعين الذين يزعمون انهم من أهل الولاية وليسوا منها فى شىء ثم يضع سبعة وخمسين ومائة سؤال يتبين من الاجابة عنها مدى صدق المدعى للولاية أو كذبه .

وفى خلال عرضه للأمور التى ذكرناها يلم بقضايا عدة تتصل بهذا

الموضوع وترتبط به مثل خصال الولاية العشر ، وما يجوز للأولياء اولا يجوز من الكرامات وحسن العاقبة ومعرفة الغيب والمستقبل ، وادراك المولى لولايته اولا كل ذلك يناقش فى اسهاب واستدلال من الكتاب والسنة والعقل ويفيض الحكيم فى الحديث عن ختم الاولياء ويبين الصلة بين الولاية والنبوة والرسالة ، ويأخذ فى الكشف عن الوحى والالهام والحديث والفراسة والفرق بينها •

ويثير هنا نقطة دقيقة جرت عليه كثيرا من الاتهامات ، وهى امكانية ان يكون من متأخرى الاولياء من هو فى مكانة أبى بكر ، وعمر أو حتى يسبقهما بالنظر الى القلوب وما فيها من معرفة بالله ، وفى حديثه عن هذا الأمر الدقيق يفرق بين الأعمال والدرجات ويقرر صراحة ان احدا لا يدانى ابا بكر ولا عمر فى الاعمال لان كلا منهما هيىء له ان يقدم من الاعمال ما لم يهيأ لغيرهما ، اما بالنسبة للدرجات فليس بممنوع وله فى هذا حجاج طويل عريض •

ويتناول موقف الناس مما ينسب للأولياء ويرد عليهم ويناقشهم من الكتاب والسنة •

ويمكن القول ان الحكيم فى هذا الكتاب قد وضع نظرية متكاملة للولاية والاولياء وختم الاولياء لان احدا لم يناقش الموضوع من قبله بهذه الافاضة والدقة ، والذين تناولوه من بعده وأظهرهم ابن عربى انما اعتمدوا على ما أسسه وبنوا على قواعده •

وقد قدم محقق الكتاب خدمة جليلة تعرف له وتشكر فقدم له بمقدمة مستفيضة عن الحكيم وحياته وشيوخه وأفكاره وتأثيره فى الفكر الصوفى ومنهجه الذى تميز به بين شيوخ الصوفية وضمن المقدمة رسالة بدء الشأن للحكيم واستعراض مجموعتى ليبزج وولى الدين •

وفى الفصل الرابع أثبت فى الهامش اجابة ابن عربى على كل سؤال من السبعة والخمسين ومائة التى اثارها الحكيم وقد أجاب ابن عربى عن هذه الاسئلة مرتين مرة فى كتاب مستقل لازال مخطوطا سماه القسطاس المستقيم

فيما سأل عنه الترمذي الحكيم ،ومرة في الجزء الثاني من كتابه الفتوحات المكية وقد أثبت المحقق الاجابتين في التعليق على الاسئلة مشـــيرا الى أماكن كل منهمـــا ٠

وختم الكتاب باثبـات طائفة من النصوص حول الولاية والاوليـاء من كتب متعددة لمؤلفين عـديدين سواء كانوا قبل الحكيم او بعده ، مشـيرا الى مصادرها التي أخذت منها ومؤلفيها ٠

والحق أن الدكتـــور يحيى قد قدم خدمة جليلة لدارسي التصوف والحـــكيم الترمذي بخاصة ، وهذا أمر يجب ان يذكر ويشكر لما يدل عليه من اخـــلاص للعلم وتفان في سبيله ٠

٢٠ ـ دقائق العلوم

جاء هذا العنـــوان في مجموعة اسماعيل صائب وهي منســـوخة بيد عبد المحسن حمود سـنة ٥٩٣ هـ بمدينة حلب ، وهناك نســـخة ثانية منها ضمن مجموعة ليبزج المنسوخة بيد محمد بن هبة الله بن ابي جراد سنة ٦١١ وهو من سكان حلب أيضا ولكنه لم يذكر العنوان المقترح لا في أول المســـائل ولا في آخرها ولم يرد العنوان المذكور في أي من الكتب التي ترجمت للحكيم سواء في الحديث او في القديم ، ولم يشر اليه الحكيم في أي من كتبه على كثرة ما يشير لمؤلفاته المختلفة في اماكن متعددة من كتبه ٠

وقد سمى الدكتور نقولا هير وغيره من الباحثين المعاصرين هذا الكتاب « مسائل » وعلى الرغم من ان العنوان المقترح لم يذكر الا في آخر المسائل في مجموع اسماعيل صائب ، الا أني أميل الى الأخذ به ، وفيما يلي قائمة بالمسائل او الموضوعات التي يحويها الكتاب كما جاءت في النسختين المخطوطتين :

١ ـ النيـــة ٠

٢ ـ ذكر المنفردين ٠

٣ ـ وصف المنفردين ٠

٤ ـ في الشـكر والصبر ٠

٥ ـ الابتلاء بالنعمة والشدة

٦ ـ والله يعلم متقلبكم ومثواكم •

٧ ـ أسست الدنيا على العبودة والآخرة على الحرية •

٨ ـ دخول الفقراء الجنة قبل الاغنياء •

٩ ـ علاقة حب الرجل لعبد من عبيده •

١٠ ـ فائدة وجيزة عزيزة •

١١ ـ أقرب الناس من الرشد (الرسل)

٢١ ـ الرد على الرافضة

هذه الرسالة لا زالت مخطوطة وتوجد منها نسخة وحيدة ضمن مجموعة ولى الدين ويبدو أنها ناقصة •

ويناقش الحكيم فى هذه الرسالة فكرة الخلافة ، والأحقية بالحكم فى نظر الاسلام ، ويتناول رأى الشيعة الذين يسميهم الرافضة وهم الذين رفضوا أحقية ابى بكر وعمر فى الخلافة قبل على ويرون ان الأحقية لعلى من أول الأمر ، وبعد ان يعرض وجهة نظرهم يرد عليها ويفندها ، ويذهب كما يذهب أهل السنة جميعا أن الذى سار عليه الأمر بعد الرسول هو الوضع الطبيعى الذى كان يجب أن يكون ورأى الحكيم ان أفضل الصحابة بعد الرسول أبو بكر فعمر فعثمان فعلى فبقية العشرة المبشرين بالجنة •

ويبدو أن الحكيم ناقش أمورا أخرى فى هذه الرسالة الا أن ما نقص منها لم يمكنا من معرفة محتوياته والأمور التى ناقشها فيها ، ولا نستطيع الجزم بسبب النقص هل هو الضياع وانه لم يكمل الرسالة بعد أن بدأها •

٢٢ ـ الرد على المعطلة

لا يزال مخطوطا حتى الآن وتوجد منه نسخة وحيدة ضمن مجموعة بلدية الاسكندرية • وقد نسخت المجموعة كلها بيد محمد بن هبة الله بن ابى جراد سنة ٥٩٣ هـ •

وما لم يعثر على نسخة أخرى لهذا الكتاب فان امكانية الانتفاع به ستظل غير ميسرة لضياع أجزاء كثيرة من الاسطر فى عدد كبير من صفحاته بسبب المطر أو أسباب أخرى أدت لضياع هذه الاجزاء من كثير من الصفحات والغرض من هذا الكتاب كما يبدو من عنوانه هو الرد على المعتزلة الذين ينكرون اثبات الصفات للخالق سبحانه ولذلك سماهم الحكيم بالمعطلة ، وفى الوقت نفسه يؤيد وجهة نظر أهل السنة التى يؤمن بها وقد ألف هذا الكتاب من أجلها .

وعمل الترمذى فى هذا الكتاب هو حشد طائفة من الاحاديث التى رويت عن رسول الله تثبت أن لله صفات فاذا أخذ فى الاعتبار الغـرض الذى يرمى اليه ، الكتاب كان من كتب التوحيد لأنه الموضوع الذى يتناوله ، واذا أخذ فى الاعتبار من جهة أخرى ما قام به الحكيم من حشد للاحاديث بأسانيدها واهتمامه بها كان لنا أن نعتبره من كتب الحديث ، ولم يتدخل الحـكيم فى الكتاب بشرح أو تعليق او توجيه وانما كان عمله مجرد الجمع فقط ولا شىء سواه .

٢٣ ـ رسالة فى الفتوة

هذه الرســالة لا تزال مخطوطة ويوجد منها نســخة وحيدة فى مكتبة أيا صوفيا ، وتعتبر هذه الرسالة من أوائل ما كتب عن الفتوة .

٢٤ ـ الرياضــة او رياضة النفس

طبع هذا الكتاب وحقق مرتين فى عامين متواليين التحقيق الأول نشـر سنة ١٩٤٦ فى مجلة كلية آداب جامعة الاســكندرية العدد الثالث بتحـقيق وتقديم الدكتور عبد المحسن الحسينى تحت عنوان .. حقيقة الآدمية .. والتحقيق الثانى بالقاهرة سنة ١٩٤٧ بتحقيق الدكتور على حسن عبد القادر والبرفيســور آربرى مع كتاب أدب النفس للحكيم الترمذى أيضا ، وقدمـا للتحقيق بدراسة عن الحكيم وآرائه فى التصوف وخاصة الولاية مع الاشارة الى مؤلفاته وأماكن وجودها ويوجد أربع مخطوطات لهذا الكتاب واحدة منهـا فى مكتبة الظاهرية والثانية فى مكتبة ولى الدين والثالثة فى مكتبة تشستر بيتى بايرلندا والرابعـة فى المكتبة الاهلية بباريس ويوجد ضمن مجمـوعة اسماعيل صائب اشارة الى كتاب الرياضة الا انه غير هذا الكتاب الذى نتحدث عنه من ناحية ومن ناحية أخرى فهو ليس كاملا ، وليست الصفحات الموجودة منه متتابعة بل يعتريها اضطراب فى توالى الصفحات .

والكتاب بوجه عام يعرض صورا لرياضة النفس وما يرى الحكيم من مجاهدة يأخذ بها السائر الى الله نفسه حتى يملك زمامها ، وفيما يلى قائمة برؤوس الموضوعات التى جاءت فى الكتاب كما فهرس لها الدكتور على حسن عبد القادر والبروفيسور آربرى :

١ ـ اجزاء الانسان وعمل كل جزء

٢ ـ موضع الشهوة ٠

٣ ـ موضع الفرح ٠

٤ ـ اصل الهوى ٠

٥ ـ موضع المعرفة والعقل ٠

٦ ـ الكبر فى النفس ٠

٧ ـ الاستنطاق للذرية ٠

٨ ـ نور التوحيد ٠

٩ ـ المجاهدة ٠

١٠ ـ الجوارح السبع ٠

١١ ـ سلطان الشهوة وسلطان المعرفة ٠

١٢ ـ منع النفس من الحلال ٠

١٣ ـ سلطان القلب على الجوارح ٠

١٤ ـ الفرح المحمود والمذموم ٠

١٥ ـ اشراق الأنوار على القلب ٠

١٦ ـ بحث الاكياس عن حال النفس ٠

١٧ ـ الجوارح السبع أمانة ٠

١٨ ـ البدء بالصوم ٠

١٩ ـ انتقاء الفرح ٠

٢٠ ـ ورع المؤمن ٠

٢١ ـ صقل القلب بالأنوار

٢٢ ـ تجلى الله ٠



٢٣ ـ مطلب الاحسان ٠

٢٤ ـ أصناف العمال ٠

٢٥ ـ اجمال فى اتقاء الفرح فى السير الى الله ٠

٢٦ ـ مطلب النيات ٠

٢٧ ـ إبن آدم مطبوع على سبع ٠

٢٨ ـ وصف رياضة النفس ٠

٢٥ ـ سبب التكبير للصلاة

توجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب ضمن مجموعة خراجى اوغلو ، ولم يذكر أحد من القدماء او المعاصرين هذا الكتاب منسوبا للحكيم الترمذى الا الدكتور عثمان اسماعيل يحيى الذى أشار اليه ضمن مقاله الذى نشره عن الحكيم الترمذى واثاره فى مجلة Melonges باللغة الفرنسية وموضوع الكتاب كمايشير اليه عنوانه هو محاولة لتقديم سبب لاستعمال التكبير فى الصلاة ، وهذا الاتجاه يتفق مع منهج الحكيم فى كتابيه اثبات العلل فى الأمر والنهى ، وكيفية الصلاة والوضوء والسواك او علل الشريعة كما جاء على غلاف نسخة القاهرة ٠

٢٦ ـ شرح سؤالات فى التعبيرات الالهية

توجد نسخة مخطوطة من هذه الرسالة فى مكتبة الزيتونة بتونس ومن العسير قراءتها لأنها كتبت بخط دقيق جدا ٠

٢٧ ـ شـرح الصلاة ومقاصدها

توجد نسختان مخطوطتان من هذا الكتاب ، احداهما بمكتبة أسعد افندى باسطنبول والثانية بالمكتبة الاهلية بباريس ، وقد طبع الكتاب فى القاهرة سنة ١٩٦٥ تحقيق الاستاذ / حسنى زيدان ونشر المؤتمر الاسلامى ، الا أن الاستاذ المحقق لم يعط الكتاب حقه من الدراسة والمراجعة وتحقيق النصوص

ويبدو أن مرد ذلك أنه لم يتهيأ له مراجعة نسخة اسعد أفندى واعتمد كلية على نسخة مصورة من مخطوطة باريس .

وموضوع الكتاب هو الصلاة ، وآثارها الروحية التى تعود على من يقيمها حق قيامها .

وقد حدد الحكيم فى أسطر قليلة هدف الكتاب فقال : فانك سألتنى عن شأن الصلاة من بين الاعمال ، وعن صورتها من بين الأفعال ، وعن ثمرتها من بين الطاعات ، وعن مثوبتها غدا من بين المثوبات ، وعن موقعها ومحلها عند الله فى الدرجات ، وعن سلطانها فى الشريعة ، وشهرتها فى السموات .

وقد أخذ الحكيم فى شرح وتفصيل كل نقطة من هذه النقاط التى عددها ، وعماده فى كل ما قرره وفصله الاحاديث النبوية . وينفذ من خلال عرضه وتفسيره الى ربط كل انواع العبادات بآثارها الروحية والسلوكية طبقا لمنهجه الصوفى الذى يسير عليه .

وفى محاولة الاجابة عن النقاط المسئول عنها فى مقدمة الكتاب ناقش الحكيم الموضوعات الآتية :

١ ـ شأن الصلاة .

٢ ـ شأن الوقوف .

٣ ـ تفسير انوار الكلمات .

٤ ـ تفسير التحيات لله .

٥ ـ شأن العرس .

٦ ـ باب الوضوء .

٧ ـ صورة الصلاة بين الافعال .

٨ ـ محل الصلاة من الله عز وجل .

٩ ـ تفسير القبول .

١٠ ـ اهل التلاوة .

١١ ـ حديث البراءات ٠

١٢ ـ باب جوامع الكلم وتفسيرها ٠

١٣ ـ عدد ركعات الصلاة

١٤ ـ تفسير المواقيت ٠

١٥ ـ تفسير رضوان الله وعفوه ٠

١٦ ـ تعليم الوضوء ٠

١٧ ـ منازل الصلوات من العباد ٠

١٨ ـ كتابة الصلوات على المؤمنين ٠

١٩ ـ شرح حديث البراءات ٠

٢٠ ـ حديث النعمان بن بشير فى التسبيح ٠

٢٨ ـ شرح قوله ما الايمان وما الاسلام وما الاحسان

هناك رسالتان للحكيم الترمذى يتناولان موضوع الايمان والاسلام احداهما المشار اليهـا بالعنوان المذكور وثانيتهما جاءت تحت عنوان معنى الايمان والاسلام والاحسان وكلاهما لا زال مخطوطا حتى الآن ، ويوجد نسختان فى ليبزج (١) ٠

واسماعيل صائب (٢) ٠٠ من شرح الايمان وتوجد نسخة من معنى الايمان ضمن مجموع ولى الدين (٣) والثانية ضمن مجموع ليبزج (٤) ، ويلاحظ أن نسخة شرح الايمان فى مخطوط اسماعيل صائب ليست سليمة الترتيب وبعض صفحاتها ضائعة ونجد فى استعراض الدكتور

---

(١) مخطوط ليبزج ورقة ١٩٢ أ ـ ٩١ ب ٠

(٢) مخطوط اسماعيل صائب ورقة ٢٣ ب ـ ٨ ب ٠

(٣) مخطوط ولى الدين ٨٧ أ ـ ٩٠ ب

(٤) ليبزج ورقة ٨٨ ب ١٩٢ ٠

يحيى لمجموعة ليبزج فى مقدمة دراسته لتحقيق كتاب ختم الأولياء المطبوع سنة ١٩٦٥ فى بيروت نجده قد اعتبر الشرح والمعنى مسألة واحدة (١) وان كان قد أشار فى هامش ص ٦٧ الى الخلاف بين آخر نسخة اسماعيل صائب ونسخة ليبزج ، وكذلك اشار الى الخلاف فى نهاية الرسالتين فى المخطوطتين فى مقاله الذى نشره فى مجلة Melanges بالفرنسية (٢) •

وفى هاتين الرسالتين قد ناقش الحكيم فكرتين رئيسيتين عند علماء الكلام المسلمين أولاهما هل يزيد الايمان وينقص ، وثانيتهما هل الايمان والاسلام أمر واحد أو أمران مختلفان •

وخلاصة رأى الحكيم بالنسبة للقضية الاولى ان الايمان باعتبار حقيقته لا يزيد ولا ينقص وباعتبار آثاره وما يترتب عليه يزيد وينقص وعلى هذا المعنى يحمل قول من قال ان الايمان لا يزيد ولا ينقص وقول من قال : انه يزيد وينقص وضرب مثلا موضحا لذلك بالشمس فان اسم الشمس يطلق على جسمها ويطلق على ضوئها وشعاعها والأول لا يزيد ولا ينقص ولكن الثانى يزيد وينقص وكذلك الايمان وأثره فى القلب •

أما القضية الثانية فهو يرى أن الأسلام غير الايمان جريا مع نظرية انه ليس هناك مترادفات وانما توجد فروق دقيقة بين الاسماء والكلمات المتشابهة ، ولكن بينهما ارتباط وتلازم فى الوجود ، فهما شيئان فى عقد واحد •

٢٩ ـ صفة القلوب

كتاب مختصر من كتاب آخر هو غور الامور الذى سنعرضه بعد قليل ولا يزال مخطوطا وتوجد منه نسخة وحيدة بمكتبة قسطمونى بتركيا •

---

(١) انظر مقدمة الأولياء ص ٦٦ ـ ٧ •
(٢) الجزء الثالث ص ٤٦٤ ـ ٤٩٧ •

وفى هذا الكتـــاب يتحدث الحكيم عن مدائن النور السـبع وحيطانها وجدرانها وأبوابها ومستورها وما بين الحيطان والأبواب من خنادق .

ثم يتحدث عن مملكة المعرفة ومملكة الهوى والنفس وانواع الصــراع الدائم بينهما ، والذى يقرأ هذا الكتاب ويقرأ ما كتبه الحكيم فى كتابه غور الامور يجد أن هذا اختصار سريع للقسم الاول من غور الامور .

٣٠ ـ عرس الموحدين

لا زال مخطوطا ويوجد منه ثلاث نسخ ، الاولى بباريس والثانية بمكتبة أسعد أفندى ، والثالثة بمكتبة اسماعيل صائب رقم ٤٨٢٤ .

وهو كتاب مختصر او رسالة صغيرة يصور فيها الحكيم الصلاة بالنسبة للمؤمنين بوليمة العرس التى جمعت ألوانا متعددة من الطعام الشهى ، وذلك لأن الله جمع فى الصلاة كل ألوان العبادات التى تعبد بها ملائكته من الركوع والسجود والقيام والجلوس والتكبير والتسبيح والجهر والمناجـاة ، كل ذلك قد جمع للمؤمنين فى الصلاة ولهذا سماها عرس الموحدين .

٣١ ـ العقل والهوى

لا يزال مخطوطا وتوجد منه نسـختان احداهما بمكتبة اسـعد افندى والثانية ضمن مجموعة باريس .

والنسخة الاولى كتبت بخط واضح سـهل القراءة والمجموعة كلهـا التى تحتوى الكتاب قد نسخت سنة ١١٢٠ هـ كما وجد ذلك فى آخر كتاب المنهيات من المجموعة الورقة ٢٧٠ وقد اشـترك فى نســـخ المجموعة كلها الحاج محمد ابن أحمد أبىزاده وقد وجد ذلك فىآخر كتاب الفروق وشرح الصلاة فى صدر المجموعة وتاريخ النسخ ١١١٩ هـ أما باقى المجموع ويشمل عشر كتب منها العقل والهوى فقد نسخ بيد أبيه الحاج احمد بن الحاج محمد بن الحاج على ابن ولى بعد ذلك بعام كما اثبتنـــا من قبل ، ولما كان رقم العقل والهوى هوى



اما النسخة الثانية التى جاءت ضمن مجموع باريس قد نسخت بيد على ابن على بن سليمان ابن أحمد بن سليمان المرادى الاندلسى الذى جاء اسمه فى آخر الورقة ٣٤ عند نهاية كتاب شرح الصلاة اول كتــاب فى المجموع وليس الخامس فى المجموع كان واضحا انه نســخ بيد الحاج أحمد بن الحـــاج هناك تاريخ لنسخ هذا المجموع وان كان يبدو من الخط ومن اسم الناسخ أنه اندلسى ولا شك ان نسخ هذا الكتاب اقدم من نسخة اسعد افندى وخط هــذه النسخة دقيق صغير تصعب قراءته ٠

وكلا النسختين غير كامل فقد وقفت كل منهما عند مناقشة « الشكر » العون الواحد والعشرون للعقل من الخمسين الذى ذكرها المؤلف فى أول الكتاب وقد ذكر الحكيم فى المقدمة ان للعقل خمسين من الاعوان وقد يبدو هذا متعارضا مع ما أثبته فى كتاب غور الامور من أن للعقل مائة من الاعوان ، ولكن حينما نتدبر منهج الحكيم هنـــا نجد انه لاتعـارض لأنه يأتى بالأمر ومشـــاكله وكذلك ما يعارض الأصل والمشاكل ، ومنهجه أن يأتى بالأمر ومشاكله ومعارضه ثم يعرض الطرق التى يمكن بها الحصـــول على هذه الصفة وما يعود على الشخص المتحلى بها ٠

ويمكن ان يقال ان الحكيم فى هذا الكتاب وكذلك كتاب الفروق يحـاول أن يعطى صورة مشرقة للسلوك الانســانى فى أبهى صوره وارقى منــازله حسب ما ترسمه مبادىء الاسلام وهذه قائمة باسماء الاعوان التى ذكرها فى المقـــدمة :

الفهم ــ البصر ــ المعرفة ــ اليقين ــ الفقه ــ الوقف ــ الحلم ــ الالهام ــ الاخلاص ــ التواضع ــ السخاوة ــ الصواب ــ النصيحة ــ الحســبة ــ النية ــ الخشية ــ الشفقة ــ المداراة ــ الورع ــ الشكر ــ الرضا ــ الصبر ــ الخوف التقوى ــ الجهد ــ الاستقامة ــ الزهد ــ الفراسة ــ الالفة ــ الأمانة ــ الشوق ــ التضرع ــ الجد ــ الحفظ ــ الصدق ــ الهوى ــ الذهن ــ الفراغة ــ الامن ــ

التوكل ـ الثقة ـ القناعة ـ التفويض ـ العاقبة ـ الراحة ـ الخشوع ـ العبرة ـ السلامة ـ المنزلة ـ العزلة ٠

ويلاحظ ان هذه اثنتان وخمسون ٠

٣٢ ـ علل الشريعة أو كيفية الصلاة والوضوء والسواك

لا يزال هذا الكتاب مخطوطا ، وتوجد منه نسختان ، احداهما بالقاهرة والاخرى بولى الدين باسطنبول ، ولا يمكن الجزم بان احد العنوانين وضعه الحكيم ، ولعله من استنتاج الناسخ نفسه ، وقد وجد العنوانان على غلاف نسخة القاهرة ، ولم يذكر للكتاب عنوان فى نسخة ولى الدين ٠

وقد يكون الحكيم قد سمى الكتاب « كتاب الصلاة » لأنها اهم موضوع يتناوله الكتاب وما ذكر فيه غير ذلك انما هو من مقدمات الصلاة او من مستلزماتها وهى الموضوعات التى يتناولها الباحثون عادة فى الصلاة خاصة اذا كان هناك استعراض لجوانبها الفقهية ، ومما يرجح أن عنوان الكتاب هو « الصلاة » ان الحكيم فى كتابه « اثبات العلل » أشار الى اسم كتاب له اسمه الصلاة حينما تناول موضع الستر (١) ٠

وهو أحد موضوعات الكتاب الذى نعرضه الآن ٠

ويوجد بين نسخة ولى الدين ونسخة القاهرة اختلاف كبير فى ترتيب الفصول مع زيادة فى نسخة ولى الدين بلغت خمس فصول هى :

١ ـ مواقيت الصلاة ورقة ١٤٤ ب

٢ ـ ستر المصلى ورقة ١٤٥ أ

٣ ـ الصلوات الخمس بوضوء واحد ٢٤٥ ب

٤ ـ التشدد فى ستر العورة فى الوضوء والاغتسال من الجنابة (١٤٥ ب)

٥ ـ مواقيت الصلاة ١٧٥ أ

---

(١) مخطوط ولى الدين ورقة ٥٩

وما عدا هذه الفصول الخمسة فهو موجود فى كل من النسختين غير أنه توجد فى نسخة القاهرة اضافات متعددة فى مواضع مختلفة جاء بها الناسخ من كتاب الحكيم الآخر المعنون « اثبات العلل » أو العلل كما يسميه الناسخ نفسه ، وهذا ايضا مما يؤكد ان سم الكتاب الذى بين يدينا هو « كيفية الصلاة » وقد اشار الناسخ الى هذه النقول فى أكثر من موضع الا أنها احيانا تطول حتى تستغرق فصولا بأكملها مما يجعل القارىء الخالى الذهن يتصور انها من صلب الكتاب ، والحقيقة انها ليست كذلك .

وقد وفقت الى تمييز هذه الزيادات كلها بمراجعة كل فصل فى نسخة القاهرة على مماثله فى نسخة ولى الدين ، وقد احتاج هذا الى وقت طويل وعناء شديد ، لان ترتيب النسختين مختلف كما أشرت من قبل .

ولم تشمل قائمة الدكتور نقول هير لمؤلفات الحكيم التى أتى بها فى مقدمة كتاب الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب وهذا الكتاب ، وكذلك لم يشر اليه الدكتور على حسن عبد القادر والبروفيسور آربرى فى القائمة التى اثبتاها فى مقدمة كتابى « الرياضة وأدب النفس » .

وقد خلط الدكتور يحيى بين هذا الكتاب وبين كتاب اثبات العلل فى القائمة التى تناول فيها مؤلفات الحكيم فى مجلة Melanges (١) فقد اشار الى نسخة القاهرة بجانب نسختى برلين وخراجى اوغلو وكلاهما لكتاب « اثبات العلل » .

أما فى مقدمة كتاب ختم الأولياء فقد أشار الى الكتاب أثناء استعراضه لمجموعة ولى الدين (٢) التى تحوى نسخة من الكتاب،وعقد مقارنة بين نسختى ولى الدين والقاهرة مشيرا الى اختلاف آخر كل من النسختين عن الآخر ، وهذا صحيح ومرد ذلك ان ترتيب النسختين غير متفق كما أشرت من قبل ، أما

---

(١) العدد الثالث سنة ١٩٥٧ طبع دمشق والمقال باللغة الفرنسية .
(٢) مقدمة الكتاب ختم الاولياء .

لو قورن آخر الفصل الأخير فى نسخة القاهرة بآخر مماثله فى نسخة ولى الدين فانه يبدو متفقا تماما ، ويبدو أن الدكتور يحيى لم ينتبه الى اختلاف الترتيب بين فصول النسختين والا كان قد أشار اليه ونبه عليه ٠

وموضوع الكتاب كما يبدو من عنوانه موضوع فقهى ، غير ان الحكم حسب عادته لم يستغرق فى شرح التفريعات الفقهية كما هى طبيعة الفقهاء وانما اتجهت عنايته بالدرجة الاولى الى التأكيد على الآثار الروحية التى تعود على المصلى من صلاته مع المحاولة الدائبة لتفسير سبب الامر بالعبادة او الاتيان بها على النحو المطلوب واعتماده فى أكثر الاحيان على الاحاديث التى يرويها وفيما يلى بيان بالموضوعات التى احتواها الكتاب كما جاءت فى نسخة القاهرة وقد أشرنا الى الفصول الخمسة الزائدة فى نسخة ولى الدين ، وانما اعتمدنا نسخة القاهرة لأنها كما يبدو أقدم من نسخة ولى الدين واستبعدنا من القائمة الفصول التى اضافها الناسخ من كتاب « اثبات العلل » ٠

١ ـ لأى علة أمر بالسواك ولأى علة سنه عليهم ٠

٢ ـ مقدار طول السواك وكيف يقبض عليه ٠

٣ ـ ادب السواك ولم سمى سواكا ٠

٤ ـ الخلاء ولم سمى خلاء

٥ ـ أدب الخلاء وكيف يؤتى ٠

٦ ـ الوضوء وسبب تسميته بذلك ٠

٧ ـ أدب الوضوء وكيف هو والغرض فيه والسنة ٠

٨ ـ غسل الجنابة ٠

٩ ـ الوضوء ما شأنه فى الصلاة وما سببه ٠ ولأى علة أمر العباد به ٠

١٠ ـ سبب الطهور وغسل اليدين والوجه والذراعين ومسح الرأس والرجلين والمضمضة ٠ والاستنشاق وعلة ذلك ولم مر به ٠

١١ ـ أدب الوضوء ما هو والنية ، والتكبير ، والقيام ، والقراءة ـ والركوع والسجود ، والتشهد ـ والتسبيح ـ والتكبير فى كل صلاة سوى التكبير الأول ٠

١٢ ـ علة التسليم وسنته فى الصلاة وما هو البيان فى ذلك •

١٣ ـ الصلاة اكمالها وكيف •

١٤ ـ أدب الصلاة فى الظاهر وما يصلح من اكمالها •

١٥ ـ كم السنة فى الصلاة •

١٦ ـ ما الفرض وما السنة والتطوع •

١٧ ـ تسمية الفرض فى الصلاة كم هو وما هو والبيان فى ذلك •

١٨ ـ مقدار القيام فى الصلاة والقراءة فيها وسنة ذلك •

١٩ ـ الصلاة أربع ، أربع ، والفجر ركعتان والمغرب ثلاث وكيف يقرأ فى الأوليين ولا يقرأ فى الأخريين •

٢٠ ـ الوتر •

٢١ ـ كم ركعة فى السنة قبل صلاة الفرض وبعدها وما علتها وما يقرأ فى كل ركعة •

٢٢ ـ لأى علة صارت السنة قبل الفجر ركعتين وقبل الظهر أربعا وبعد ركعتين ، وبعد المغرب والعشاء ركعتين •

٢٣ ـ الصلاة لم سميت صلاة •

٢٤ ـ الصلوات الخمس ، وعلة تسميتها بأسمائها كالظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر •

٢٥ ـ الشفق ولم سمى شفقا •

٢٦ ـ علة أوقات الصلاة •

٢٧ ـ لم سميت الصلاة بالفارسية نماز •

٢٨ ـ باب الصلاة ومنازل القلب فيها والوسوسة •

٢٩ ـ آفة الصلاة •

٣٠ ـ آفة صلاة السنة •

٣١ ـ دليل صلاة الفرض وقائدها وسائقها وعونها ومدبر أمرها •

٣٢ ـ دليل صلاة السنة ما هو والبيان فى ذلك •

٣٣ ـ دليل صلاة التطوع •

٣٣ ـ علم الأوليـــاء

لا يزال هذا الكتاب مخطوطا ، وتوجد منه نسخ ثلاث فى القاهرة وكلكتا وخراجى اوغلو ، وكثير من الصفحات فى نسخة كلكتا لا يمكن قراءتها لعدم وضوح الكلمات نتيجة لسقوط بعض الماء عليها أو ربما أثر الرطوبة بوجه عام وأما نسخة خراجي اوغلو فانها سليمة من التلف لكن ليس من السهل قراءتها لدقة الخط وأما نسخة القاهرة فهى واضحة سليمة الصفحات •

فى الصفحة الأولى من الكتاب بين الحكيم أن جميع العلم فى الأسماء والأسماء دالة على الأشياء ، وليس من شيء الا وله اسم ، واسمه دليل عليه ، ولهذا كان فضل آدم على الملائكة لأن الله علمه الأسماء كلهـــا التى هى العلم ، وعلمه أيضا أصل العلم ، وهو الحروف المعجمة التى ابتدئت منهــا اللغات ، وقد وزع الحكيم وسائل اظهار المعرفة على نواحى الجسم المختلفة واتخــذ من تصوره لتركيبها فى آدم عليه السلام سبيلا ليعبر لنا عن تصوره للعلم وكيفية نشأته ، ولذلك فهو يقول : فركب آدم عليه الســـلام تركيبا عجيبا ، فوضع العلم بالاسماء والمعرفة بها فى قلبه ، وتصويرها فى صدره ، وتعبيرها فيما بين حلقه الى شفتيه ، فصير القلب طرفا للعلم والصدر طرفا للتصاوير ، والفم طرفا للتعـابير ، فركب للحروف أدوات ، وجعل الحروف منقسمة على الأدوات منها للحلق واللهاة واللسان والأسنان والشفتين •

وقد أفاض الحكيم عن الحديث فى علم البدء المأخوذ من الحروف ،وهو علم خاص بسادات الأولياء ، وتحدث كذلك عن العلم الظـــاهر والباطن والحـكمة والمعرفة والصلة بين علم الظاهر والباطن وبين الحكمة والمعرفة وهذه قائمــة برءوس الموضوعات التى تناولها :

١ ـ جميع العلم فى الأسماء •

٢ ـ من حروف المعجم علم البدء والصفات •

٣ ـ عدد اللغات ٧٢ أولها العربية وآخرها العربية وهى لغة آدم ولغة أهل الجنة •

٤ ـ علم المعرفة والتفكير فى أمر البحر وعجائبه ·

٥ ـ العلم بالمجان أو الظاهر والعلم الباطن ·

٦ ـ علم الباطن مأخوذ من حكمة الله العليا ·

٧ ـ مثل الدنيا مثل بحر يغرق فيه من دخله ·

٨ ـ مثل القلب الذى عليه رين الشهوات مثل المرآة التى صدئت

٩ ـ أسماء الله تعالى وتفسير معنى الاحصاء فى حديث أبى هريرة والمقصود الاطاقة ·

١٠ ـ سر دعوة الخلق الى قول لا اله الا الله ·

١١ ـ صدق لا اله الا الله والوفاء بها ·

١٢ ـ سر القدر والعلم الذى حجبه الله عن عباده ·

١٣ ـ بيان علم التقوى ·

١٤ ـ اختلاف الناس فى الشكر والصبر ·

١٥ ـ بيان فضل العلم وصفته وصورته ·

١٦ ـ بيان الشكر والحمد ·

١٧ ـ حركات الآدميين مع الحفظة ·

٣٤ ـ غرس العارفين

مسألة قصيرة يبلغ طولها ورقة واحدة مخطوطة ضمن مجموعة كلكتا ، وعمل قصير مثل هذا لا يجوز عده عملا منفصلا والأولى أن يضاف الى عدد المسائل التى معه فى مجموع واحد ليؤلف أبواب مختلفة الذى أشرنا اليه ، ولولا أن بعض الباحثين عدها فى مؤلفات الحكيم لما أفردتها بعنوان لأن مقتضى هذا أن نفرد كل مسألة بعنوان وسنصل بمؤلفات الحكيم بهذا الاعتبار الى المئات وقد حاول مثل هذه المحاولة الدكتور عثمان اسماعيل يحيى فى مقاله بالفرنسية عن الحكيم الترمذى المنشور فى مجلة Mela ?e* ومع ذلك فلم يستوعب المسائل كلها ·

وغرس العارفين هو رضوان الله الذى خرج منه للعباد لا اله الا الله وبها فتح الله لعباده أبوابا ونعما أعظم من الجنة لأنهـا منزلة الرضوان الذى قال فيه « ورضوان من الله أكبر » ٠

٣٥ ـ غور الأمـــور

لايزال هذا الكتاب مخطوطا ، وتوجد منه ثلاث نسخ اثنتان بمكتبة أسعد أفندى والثالثة بمكتبة باريس ٠

ونسختا أسعد أفندى واحدة منهما تحمل العنوان المذكور والأخرى تحمل عنوانا مختلفا هو « الأعضاء والنفس » وقد نسخت الأولى منهما سنة ١١١٢ هـ بيد الحاج أحمد بن الحاج على بن ولى ، ونسخت الثانية فى ١٩ من رجب من سنة ١٢٣٨ هـ بيد السيد ابراهيم البركوى ٠

وفى الصفحة الأولى ذكر الحكيم ٣٣ موضوعا وعد بأنه سيناقشها ولكل منها غور بعيد ، وقد يوحى هذا الى أن الاسم الذى ارتضاه الحكيم هو غـور الأمور لا الأعضاء والنفس ، ولكن ذلك ليس على سبيل القطع ، وقد يكون كلا العنوانين من وضع النساخ ، ولكن الحكيم قد أشار الى غور الأمور فى كتابين من كتبه هما شرح الصلاة ومقاصدها (١) وكتاب منـــازل العبـــاد من العبادة (٢) ٠

وكتاب غور الأمور يعرض لنا فكرة النور ومدائنه عند الحـكيم وتصوره للمعرفة ومدائنها والنفس ومملكتها ويعرض صورة مثيرة للصراع الدائب بين القلب والنفس ٠

وفيما يلى قائمة بالموضوعات الرئيسية التى تناولها الكتاب :

صفة القلب وأسمائه وصفة أحواله ، صـفة النفس ، صـــفة ابليس ، وجنوده وبيان سلطانه عليها وعللها وشأنها وأحوالها وبدئها ٠ صفة المعرفة وم فى حشوها ، صفة النور لباسه ، صفة اخلاق آدم المائة خلق ، صـــفة جنود المعرفة ، صفةالعقل ومعدنه ومجلس قضائه وأعوانه ، صفةمدائن المعرفة

---

(١) أسعد رقم ٤٧٩ ورقة ٩٥ ٠

(٢) مخطوط أسعد رقم ١٤٧٩ ورقة ١٦٢ ٠

وقراها وعمارها ، وبيان صفر المعسكر وبيوت الدواوين وخزائن الطـاعات ومعادن الحكمة ، وسجون النفس ، وخلق آدم وبيان اسمه ، وترجمـة لا اله الا الله ، وبيـان تفسير قوله : ألست بربكم ، تفسير اسم ابراهيم خليـل الرحمن ، تفسير اسم ابليس واسم فرعون ، وتفسير قوله : الله نور السموات والأرض ، تفسير شجرة الزيتون ، تفسير شجرة طوبى .

٣٦ ـ الفرق بين الآيات والكرامات

هذا الكتاب لايزال مخطوطا وتوجد منه نسختان احداهما ضمن مجموعة اسماعيل صائب والثانية فى مكتبة الجمعية الآسيوية الملكية بكلكتا بالهند الا أنها غير كاملة .

وفى هذا الكتاب يناقش الحكيم هؤلاء الذين يرفضون أن يكون للاولياء كرامات ثم يعقب على ذلك ببيان رأيه الذى يقول ان الولى تظهـر على يده الكرامات ويعلل لرأيه ويؤيده بالعقل والنقل ، ويرى أن عـدم التسليم بجواز وقوع الكرامات من الاولياء انما سببه ضعف الايمان عند هؤلاء المانعين ، ثم يورد الأدلة على رأيه من القرآن الكريم والسنة النبوية مستشهدا بمـا جرى لمريم عليها السلام والذى عنده علم من الكتاب أيام نبى الله سليمان عليـه السلام ، وخلاصة رأيه فى ايراد هذين المثلين أنه يقول : اننا نسلم بأن هذا وقع قبل الاسلام ومعنى هذا أننا قبلنا مبدأ وقوع الكرامات من غير الأنبياء فاذا سلمننا بذلك للاولياء قبل الاسلام فما يمنع أن يقع مثله للاولياءالمسلمين ثم يعقب على ذلك بشرح الفـرق بين الكرامات والمعجزات ، والمعجزات هى التى تكون للانبياء أما الكرامات فتكون للانبيـاء وللاولياء السائرين عـلى طريقهم .

ومعروف أن الحكيم انما يجوز وقوع الكرامات من الأوليـاء الذين بلغوا درجة خاصة فى الولاية ويسميهم الأقوياء وسـادات الأولياء أما الضعفاء أو الذين يضعفهم ظهور الكرامات على أيديهم فلا يجوز أن تظهر لهم كرامات ، وقد ناقش هذه التفصيلات فى كتابه ختم الأولياء .

وبعد أن ناقش الحكيم مخالفيه وأيد رأيه بما عرض علينا من أمثـلة سابقة على الاسلام أخذ فى رواية ثلاثة وثمـانين حديثـا وأثرا كلهـا تثبت

وقوع الكرامات ، منها ما جرى على أيدى الصحابة ، واورد ايضا اخبارا رويت عن عدد من المشايخ تفيد وقوع الكرامات على أيديهم •

٣٧ - كتاب الفروق ومنع الترادف

هذا واحد من اهم ما كتب الحكيم الترمذى ، ولا يزال مخطوطا ويوجد منه خمس نسخ الآن : واحدة بباريس والثانية فى أيا صوفيا والثالثة فى اسعد افندى والرابعة فى وحيد باشا والخامسة فى مكتبة بلدية الاسكندرية ولكنها غير كاملة وفى هذا الكتاب يرى الحكيم ان ليس هناك مترادفات فى اللغة وأن الكلمة التى تبدو متحدة فى المعنى ليست فى الحقيقة كذلك ، وانما بينها اختلافات دقيقة منشوؤها الدوافع الداخلية التى دعت الى انشاء الحدث، ووعد فى مقدمة الكتاب ان يقدم ١٦٤ مثلا يطبقها على نظريته هذه وقد سرد هذه الأمثلة فى مقدمة الكتاب ثم أخذ يعرض أوجه الخلاف بين كل كلمتين أو أو أكثر يبدو أنهما أو أنها متحدة المعنى ، ومن خلال عرضه لأوجه الخلاف التى يراها يبسط أمامنا كثيرا من الآراء الصوفية التى يريد أن يوضحها •

وعلى الرغم من ان الحكيم قد وعد بان يعرض علينا ١٦٤ مثلا الا أن ما تناوله بالعرض والدراسة إنما هو ١٥٤ مثلا فقط •

وعلى الرغم من أن الأساس الذى بنى عليه نظريته أساس يتعلق بقضية لغوية « هى هل هناك مترادفات فى اللغة أو لا » الا أنه فى معالجته وتطبيقه لم يشر من قريب أو بعيد الى أصل لغوى وأنما بنى الفرق على الدوافع الداخلية لانشاء الفعل ، وكان مدار بحثه اظهار أن كلا من الكلمتين المترادفتين تفيد معنى مختلفا عما تفيده الأخرى احداهما مقبولة المعنى والثانية غير مقبولة والمدار فى القبول وعدمه هو المبادىء الدينية والأخلاقية ، وبعد أن يعرض رأيه يؤيده بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية التى توضح الهدف الذى يريده ، ويمكن ان يقال ان الحكيم فى هذا الكتاب قد رسم طريقا للسلوك الانسانى المنشود للمسلم الصادق من خلال عرضه لمثلين متشابهين أحدهما مقبول والآخر مرفوض وقد اعتمد ابن القيم على هذا الكتاب اعتمادا

كبيرا في كتابه الروح وأخذ عنه عددا من الفروق حتى الأمثلة التوضيحية التى استعملها الحكيم لم يجد ابن القيم غيرها ليستعملها ولكن مما يثير الدهشة ان ابن القيم لم يشر من قريب او من بعيد الى أنه اخذ عن هذا الكتاب او انتفع به حتى من باب نسبة الفضل الى ذويه •

وفيما يلى قائمة بالفروق التي جاءت فى الكتاب :

١ ـ الفرق بين المداراة والمداهنة •
٢ ـ الفرق بين المحاجة والمجادلة •
٣ ـ الفرق بين المناظرة والمغالبة •
٤ ـ الفرق بين المفاتشة والمراء •
٥ ـ الفرق بين الانتصار والانتقام •
٦ ـ الفرق بين البر والملق •
٧ ـ الفرق بين النزاهة والجفاء •
٨ ـ الفرق بين الخشوع والتماوت •
٩ ـ الفرق بين الغضب والحمية •
١٠ ـ الفرق بين الرحمة والرقة •
١١ ـ الفرق بين التعزز والتبغى •
١٢ ـ الفرق بين الصبر والتجلد •
١٣ ـ الفرق بين المهابة والكبر •
١٤ ـ الفرق بين الصيانة والعلو •
١٥ ـ الفرق بين التواضع والتصنع •
١٦ ـ الفرق بين الخوف والجبن •
١٧ ـ الفرق بين العبودة والعبادة •
١٨ ـ الفرق بين الكسب والجمع •
١٩ ـ الفرق بين السماحة والحرص •
٢٠ ـ الفرق بين الجود والسرف
٢١ ـ الفرق بين التهمة وسوء الظن •

٢٢ ـ الفرق بين الفراسة والظن •

٢٣ ـ الفرق بين الخبر والغيبة •

٢٤ ـ الفرق بين الهدية والرشوة •

٢٥ ـ الفرق بين الصلابة والقسوة •

٢٦ ـ الفرق بين العزم والكبادة •

٢٧ ـ الفرق بين الوجد والحقد •

٢٨ ـ الفرق بين المجاهدة والصرامة •

٢٩ ـ الفرق بين الكياسة والجريزة •

٣٠ ـ الفرق بين التوكل والاتكال •

٣١ ـ الفرق بين الحيرة واليأس •

٣٢ ـ الفرق بين البهتة والقنوط •

٣٣ ـ الفرق بين القناعة والكسل •

٣٤ ـ الفرق بين الدالة والجرأة •

٣٥ ـ الفرق بين الحلم ودناءة النفس •

٣٦ ـ الفرق بين الاحتمال والعجز •

٣٧ ـ الفرق بين سلامة الصدر والبلاهة •

٣٨ ـ الفرق بين الثقة والعزة •

٣٩ ـ الفرق بين التنفس والشكوى •

٤٠ ـ الفرق بين الرجاء والتمني •

٤١ ـ الفرق بين النية والأمل •

٤٢ ـ الفرق بين الرقة والجزع •

٤٣ ـ الفرق بين الحزن والأسف •

٤٤ ـ الفرق بين الهرب من الذل وطلب العز •

٤٥ ـ الفرق بين الشكر والصلف •

٤٦ ـ الفرق بين النشر عن نعم الله عز وجل والفخر به •

٤٧ ـ الفرق بين فرح القلب وفرح النفس •







٩٩ - الفرق بين التجسس والتحسس •

١٠٠ - الفرق بين الظرافة والعرامة •

١٠١ - الفرق بين التحلي والتزين •

١٠٢ - الفرق بين المحبة فى النساء وبين الشبق والنعظ •

١٠٣ - الفرق بين النجوى والنداء •

١٠٤ - الفرق بين وجود حلاوة الطاعة بحلاوة التوحيد وبين وجودها بحلاوة المحبة •

١٠٥ - الفرق بين ترك الفضول زهدا وتركه ملالة •

١٠٦ - الفرق بين حسن ظن العطائية والنفسية •

١٠٧ - الفرق بين الرزانة والتثاقل •

١٠٨ - الفرق بين سلطان الحق والفظاظة •

١٠٩ - الفرق بين الجدة والحذق •

١١٠ - الفرق بين المناضلة والسفاعة •

١١١ - الفرق بين الحدة والطيش •

١١٢ - الفرق بين الاناة والبلادة •

١١٣ - الفرق بين اللين والمهانة •

١١٤ - الفرق بين التسلط والاقتدار •

١١٥ - الفرق بين الحزم والتشدد •

١١٦ - الفرق بين الرأى والهوى •

١١٧ - الفرق بين التمنى للموت شوقا أو برما •

١١٨ - الفرق بين التعيش والترائى •

١١٩ - الفرق بين صحبة المتقين تخلقا وتأدبا وبين صحبتهم ترائيا واندساسا ختلا لدينه بدنياه •

١٢٠ - الفرق بين المؤدين للاخبار والناقلين •

١٢١ - الفرق بين حملة القرآن والتالين له •

١٢٢ - الفرق بين المذكر والقاص •

١٢٣ - الفرق بين الغضب للنفس والغضب لحق الله .

١٢٤ - الفرق بين البشرى والمنة .

١٢٥ - الفرق بين المباعدة والمناوأة .

١٢٦ - الفرق بين الكمال والتمام .

١٢٧ - الفرق بين الداعى والواعظ .

١٢٨ - الفرق بين المرواغة والجريزة .

١٢٩ - الفرق بين العجز والخلف فى الوعد .

١٣٠ - الفرق بين التخويف والوعيد .

١٣١ - الفرق بين النذارة والنميمة .

١٣٢ - الفرق بين اللين والذلة .

١٣٣ - الفرق بين الهدوء والمسكنة .

١٣٤ - الفرق بين سعة الصدر وجلاء الصدر .

١٣٥ - الفرق بين المساعدة والمعونة .

١٣٦ - الفرق بين الضيافة والمقاصة .

١٣٧ - الفرق بين المأوى والمصيدة .

١٣٨ - الفرق بين استماع الكلام تزودا وافتقارا وبين استماعه تلذذا واحترافا .

١٣٩ - الفرق بين التهمة وسوء الظن .

١٤٠ - الفرق بين الفصاحة والطلاقة .

١٤١ - الفرق بين التقدير والبخل .

١٤٢ - الفرق بين الزيارة والتطفيل .

١٤٣ - الفرق بين التدبير والسمعة .

١٤٤ - الفرق بين العزم والبذل .

١٤٥ - الفرق بين المحبة للنساء والشبق .

١٤٦ - الفرق بين الهرب من الفقر مخافة الفتنة وبين الهرب منه أنفة وعارا .

١٤٧ ـ الفرق بين عزة القلب وعزة النفس •

١٤٨ ـ الفرق بين استثقال الاغنياء من الوجد عليهم من أجل منع الحقوق وبين استثقالهم حسدا وفغاسة •

١٤٩ ـ الفرق بين طلب الغنى لازاحة علل النفس تدينا وبين طلبه لقضاء النهمة علوا •

١٥٠ ـ الفرق بين التسمية واللقب •

١٥١ ـ الفرق بين التسلط والاقتدار •

١٥٢ ـ الفرق بين خشية الله عز وجل وبين خشية الخلق •

١٥٣ ـ الفرق بين الصمت توقيا من الآفات وبين الصمت تكبرا وغيا •

١٥٤ ـ الفرق بين الذب عن العرض وبين اشاعة الفاحشة •

١٥٥ ـ الفرق بين الاستراحة والشماتة •

١٥٦ ـ الفرق بين المقايشة والمشاكلة •

٣٨ ـ الكلام على معنى لا اله الا الله او شفاء العلل

هذه الرسالة لا تزال مخطوطة ويوجد منها ثلاث نسخ واحدة فى ليبزج والثانية فى خزينة والثالثة فى ولى الدين ، وجاء العنوان فى النسخة الاخيرة شفاء العلل •

وقد أشار الدكتور هير الى نسختي ولى الدين وخزينة ولم يذكر الثالثة وقد اعتبرها الدكتور يحيى جزءا من مجموعة من المسائل لم يفردها وحدها بعنوان خاص وليس هناك من شك فى انها تأليف مستقل بذاته يقوم اساسا على شرح وبيان معنى التزام الاعتقاد بلا اله الا الله والنتائج التى تعود على المؤمن الحق من الوفاء بالتزامات هذا الاعتقاد ، والحكيم فى هذه الرسالة يتناول فكرة الاسلام والايمان بطريقة توضح بجلاء كيف يرتبط فى ذهنه الاقرار بالشهادة والاعتقاد بها فى القلب ، وتصديق هذا الاعتقاد بالتطبيق العملى فيما يصدر من أفعال ، وقد حدد الحكيم هذا الاعتقاد بقوله : « ان

كلمة لا اله الا الله لازمة للخلق الاعتقاد بها قلبا ، والاعتراف بها نطقا ، والوفاء بها فعلا ، فأما الاعتقاد بها فأن يعتقد نفى القدرة عن جميع من تولهت اليه القلوب فى المضار والمنافع سواه ، وأما الاعتراف بها نطقا فأن يقول : لا اله الا الله ، وأما الوفاء بها فعلا فأن يكون له من الثقة فى باب النوائب ومن التوكل فى باب الرزق ، ومن التفويض فى باب الحوائج ومن الصبر فى باب الشهوات ـ ومن القناعة فى باب المنالات ومن الانقياد فى باب العبودات والتسليم فى باب المتشابهات ما يحفظ هذه الجوارح السبع التى أؤتمن العبد عليهن ووكل العبد برعايتهن من ان يعصى الله بجارحة منها بسبب شىء من هذه الابواب •

وقد تابع الحكيم استعراض آثار العقيدة بهذه الصورة التى عرضها حتى تحدث عن العلم الباطن والظاهر وعن الحكمة وأنواعها والعلم وأصنافه ، وبعد أن تناول الحاطبين للعلم من كل فج المتجملين به امام الناس الطالبين به جاها ورفعة مزريا عليهم مبينا سوء عاقبة طريقهم وعظم جنايتهم ختم الرسالة برسم طريق العباد الى الله على ضربين وصف لهم الدنيا وذمعها ثم دعاهم الى دار السلام ووصفها فشوقهم اليها ، ثم دعاهم دعوة فقال : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » •

٣٩ ـ مسائل أهل سرخس

لا يزال هذا الكتاب مخطوطا ، ويوجد منه ثلاث نسخ الأولى ضمن مجموعة اسماعيل صائب • والثانية ضمن مجموعة ليبزج والثانية ضمن مجموعة الظاهرية • وقد نشرها وعلق عليها البرفيسور آربرى مع مسائل التعبير فى مجلة • Rivista Dei studi orientali

العدد رقم ١٨ سنة ١٩٤٠ م بروما ص ٣١٥ ـ ٣٢٧ •

والعنوان المذكور هو الذى جاء فى المخطوطات الثلاث وليس هناك ذكر من الحكيم لهذا العنوان بالذات فى أحد من كتبه او رسائله ، وقد ذكر الهجويرى فى كشف المحجوب ان للحكيم كتابا اسمه « بيان أدب المريدين » والذى

اعتقده ان الكتاب الذى اشار اليه الهجويرى هو الكتاب الذى نتحدث عنه تحت عنوان مسائل أهل سرخس وسبب ذلك ان اول موضوع فى الكتاب هو « شأن المريد » والموضوعات التى يتناولها بعد ذلك كلها تعتبر فى الحقيقة بيانا للمريدين كيف يسلكون طريقهم وكيف يؤدبون أنفسهم ، وليس هناك فيما اعتقد تعارض بين التسميتين لأن الأسئلة التى يشتمل عليها الكتاب وجهت الى الحكيم من أهل سرخس وكان موضوعا وهدفها هو رسم صورة وافية لما يجب على المريد أن يأخذ به نفسه ، ولما لم يذكر الحكيم عنوانا للكتاب تصرف الناسخون أو الباحثون فأطلقوا هذين الاسمين على الكتاب ، فمن نظر الى أن الأسئلة جاءت من أهل سرخس سماه « مسائل أهل سرخس » ومن أخذ فى اعتباره موضوع الأسئلة وهدفها سماه بيان أدب المريدين وفيما يلى قائمة بالموضوعات التى جاءت فى الكتاب :

١ ـ شأن المريد .

٢ ـ صلاح القلب .

٣ ـ معني الولاية والمحبة .

٤ ـ العاقل الذى يعقل عن الله أمره .

٥ ـ العدو .

٦ ـ الهوى المردى .

٧ ـ الوسوسة .

٨ ـ كثرة الوسوسة .

٩ ـ ضرر الوسوسة فى الصلاة .

١٠ ـ سبب الحساب .

١١ ـ عدم وصول المجتهدين فى أعمال البر ووصول من لم يجتهد .

١٢ ـ ما هى الدنيا وكيف الزهد فيها .

١٣ ـ حال النبى .

١٤ ـ ان أكرمكم عند الله أتقاكم .

١٥ ـ ليس فى الفرض رياء .

١٦ - الفرق بين التقوى والورع .

١٧ - الأكل من البيوت التى سماها الله .

١٨ - ولا يبين زينتهن .

١٩ - ولولا فضل الله عليكم ورحمته .

٢٠ - يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من ايمان .

٢١ - الاعتصام بحبل الله .

٤٠ - مسائل التعبير

هذه الرسالة لا تزال مخطوطة ، ويوجد منها نسختان احداهما فى مجموعة ليبزج والثانية فى مجموعة اسماعيل صائب ، وقد نشرها آربرى مع الرسالة السابقة وعلق عليهما تحت عنوان :

N tes ona'irmidni mauscr'pt in Riu sta d'gli studi orien t.

وفى هذه الرسالة أعطى الحكيم أمثلة للمحاولة الدائبة لاهواء النفس كى تقتحم على القلب ، والمراقبة الدائمة من القلب اثناء سيره الى الله حتى يتحقق له ما يريد من الحصول على منزلة القرب من الخالق سبحانه .

وقد عرض الحكيم أربعة أمثلة لهذا الجهاد الدائم هى :

١ - القادح يقدح زنده فيورى نارا يستوقد منها فى مغازة جرداء لا أنيس بها من البرد المهلك .

٢ - شجرة خضراء تهتز روطبة وخضرة ولينا أصلها ثابت وعروقها راسخة وفروعها فى السماء باسقة تورق فتظل أمة وتثمر فتشبع أمة .

٣ - طائر همه الطيران فى الجو وقراره على فروع الاشجار ، ومأواه بالليل عشاش الاوكار فأعرض عن عشه ورفض همه عن الطيران والف بمن ضمه اليه ، وجعل يده له قرارا .

٤ - نهر يجرى بين شركاء يأخذ كل منهم بقسطه من ذلك الماء فلما جاءتك نوبتك علاك النعاس حتى غلبك فانبثق الماء فى موضع من المجرى فجرى فى البرية ، وبقى زرعك وكرمك يابسا عطشان حتى تهافت وصار حطاما .

٤١ ـ مسائل

هناك عدد كبير من المسائل موزعة فى مجموعة ليبزج وجانب منها توجد منه نسخ مكررة فى مجموعات اسماعيل صائب والظاهرية وولى الدين وقد سماها الدكتور هير مسائل رقم ١ ، ومسائل رقم ٢ وبتتبع هذه المسائل وجدت موزعة على ثمانية مواضع من مجموع ليبزج •

(أ) **القسم الأول** من الورقة ٥٥ حتى الورقة ٦٨ وتحتوى على المسائل الآتية :

١ ـ وجدت المشيئة اميرا على الصفات •

٢ ـ شيء محتجب لا يدرك تناوله مسا ولا رؤية ولاذوقا ولا شما ولا جسا •

٣ ـ اهل مراتب القيامة •

٤ ـ خدعة النفس فى شأن العطاء •

٥ ـ تفسير قوله عز وجل « الأول والآخر والظاهر والباطن »

٦ ـ المعرض عن الله والمطيع لله •

٧ ـ نية المرء خير من عمله •

٨ ـ الجهاد •

٩ ـ الفرق بين العلم والفقه •

١٠ ـ رسالة الى محمد بن الفضل البلخى •

(ب) **القسم الثانى** ورقة ١٠٠ ويشتمل على مسألة واحدة عنوانها « انواع الصبر » •

(جـ) **القسم الثالث** من ورقة ١٣١ الى ورقة ١٤٩ ويشتمل على المسائل الآتية :

١ ـ مسألة فى الأدب •

٢ ـ مسألة فيمن يحتاج الى اذن وفرق بين البدلاء والاقوياء •

٣ ـ مسألة نبيلة شريفة •

٤ ــ الوصول الى الله •

٥ ــ وعد الصــــابرين •

٦ ــ ان أردت أن تكون لله وليا •

٧ ــ أركان لا اله الا الله : الامر والنهى والرضا والقناعة •

٨ ــ شــأن الرزق •

٩ ــ وجدنا العبد اذا كان ذا صورة وجثة •

١٠ ــ غــاية التواضع •

١١ ــ مسألة فى الدنيا •

١٢ ــ وجدنا العبد المسبى لا يطلقه مولاه •

١٣ ــ المتقى اذا دخل بيتا •

١٤ ــ علامة قبول التوبة •

١٥ ــ ذكر التقوى فى التنزيل •

١٦ ــ واللاتى تخافون نشوزهن •

١٧ ــ جواب كتاب الى أبى عثمان سعيد النيسابورى •

١٨ ــ شــأن القلب •

١٩ ــ ديوان الرجل •

٢٠ ــ تأويل حديث « من وسع على عياله يوم عاشوراء » •

٢١ ــ أثر استقامة النفس •

٢٢ ــ يعطى عبده العطاء •

٢٣ ــ أدواء النفس •

٢٤ ــ خلق الله العرش فما دونه الى الثرى •

٢٥ ــ فى المجــذوبين •

٢٦ ــ المعرض عن الله والمطيع له والمقبل عليه •

٢٧ ــ « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا » •

٢٨ ــ تكرار الدعاء « استرنا واجبرنا » •

٢٩ ــ وجدت الناظر الى خلقه على ثلاثة اصناف •

(د) القسم الرابع : من ورقة ١٦٢ الى ورقة ١٧٨ ويشتمل على المسائل الآتية :

١ ـ سبى قلوب الموحدين بنور الهداية .
٢ ـ التكبر .
٣ ـ الاسم والمسمى .
٤ ـ فعل الخالق وفعل المخلوق .
٥ ـ طلب العلم .
٦ ـ لذة العبادة .
٧ ـ العلم الذى لا يسع جهله .
٨ ـ متى يجوز للرجل ان يعظ الناس .
٩ ـ متى يعلم العبد انه مؤمن موحد .
١٠ ـ الايمان هل هو موهوب أو مكتسب .
١١ ـ الواحد والواحدية والوحدانية .
١٢ ـ الخير والشر .
١٣ ـ من رجا غير فضلى .
١٤ ـ فكرة ساعة خير من قيام ليلة .
١٥ ـ ضيق الصدر بسبب التخليط .
١٦ ـ « وكن من الساجدين » .
١٧ ـ شأن الرحمة والحق فى الموقف .
١٨ ـ « قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم » .
١٩ ـ « ما لكم من دون الله من أولى ولا نصير » .
٢٠ ـ الفهم .
٢١ ـ القرآن .
٢٢ ـ الهدى .
٢٣ ـ العقل .
٢٤ ـ الهوى .

٢٥ ـ ينزل ربنا الى سماء الدنيا •

٢٦ ـ ان الله يضحك الى عبده •

٢٧ ـ لا يغفر الذنب الا انت •

٢٨ ـ اذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الاعظم •

٢٩ ـ الجنة والنار هل تفنيان •

٣٠ ـ طغيان العـــالم •

٣١ ـ طوبى للغــرباء •

٣٢ ـ متى يكون الموحد موحدا •

(هـ) القسم الخامس من ورقة ١٨٥ الى ورقة ١٩٥ ويشمل المسائل الآتية :

١ ـ آفة نسيان الموت •

٢ ـ شأن التوبه •

٣ ـ لا تقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة •

٤ ـ صفة العالم الذى يستحب أن يؤخذ عنه •

٥ ـ اللهم اعطنا كتبنا بأيماننا •

٦ ـ متى يكون الكسب محمودا •

٧ ـ الرياء فى العمل •

٨ ـ متى يكون الرجل عــارفا ومتى يكون راضيا ومتى يكون صــابرا شاكرا ومتوكلا ورعا محبا متواضعا •

٩ ـ لما وقف موسى بطور سيناء سمع خشخشة •

١٠ ـ الحســـبة •

١١ ـ تفضيل بنى آدم على غيرهم والملائكة •

١٢ ـ تفسير انه ليغان على قلبى •

١٣ ـ عدم بقاء اثر العلم بعد سماعه وفهمه •

(و) القسم السادس من ورقة ١٩٥ حتى ٢٠٨ ويشمل ١٧ مسألة كلها تفسير لآيات من القرآن الكريم وهذا بيان بها :

١ ـ ما لها من فواق •

٢ ـ هل ينظرون الا أن يأتيهم الله .

٣ ـ وقدمنا الى ما عملوا من عمل .

٤ ـ وأفئدتهم هواء .

٥ ـ ألهاكم التكاثر .

٦ ـ ولى لك فأولى .

٧ ـ فصب عليهم ربك سوط عذاب .

٨ ـ وقد خاب من دساها .

٩ ـ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا .

١٠ ـ نار الله الموقد التى تطلع على الافئدة .

١١ ـ كل شيء هالك الا وجهه وخلق الجنة والنار .

١٢ ـ خالدين فيها .

١٣ ـ ولهم عذاب عظيم .

١٤ ـ واتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة .

١٥ ـ وامرأته حمالة الحطب .

١٦ ـ الصراط .

١٧ ـ ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر .

(ز) **القسم السابع** : من الورقة ٢٠٨ حتى الورقة ٢٢٦ ويشمل ١١ مسألة وهى :

١ ـ الانسان .

٢ ـ صفة الهوى .

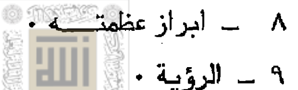
٣ ـ قصة عزير عليه السلام .

٤ ـ اذا قضى امرا .

٥ ـ التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير .

٦ ـ كمال العبودة .

٧ ـ لا تغضب .

٨ ــ ابراز عظمتـــه •

٩ ــ الرؤيـة •

١٠ ــ الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم •

١١ ــ الرؤية •

وقد جاء فى آخر هذه المجموعة ورقة ٢٢٥ ب ما يأتى :

وهذا آخر ما حصل عندى من مسائل الشيخ الامام الحكيم وكتبه الفقير الى رحمة ربه محمد بن هبة الله بن محمد بن أبى جراد فى سادس ربيع الأول من سنة احدى عشرة وستمائة ، وهو يسأل الله المغفرة له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله •

(ح) **القسم الثامن** : من الورقة ٢٢٦ الى ٢٢٨ •

ويشتمل على مسألتين وهما :

١ ــ كان الله ولا شىء ثم أبدى من خلقه ما أبدى •

٢ ــ لذة العبادة من اى شىء تتشعب •

٤٢ ــ المسائل العفنة

لازال هذا الكتاب مخطوطا ويوجد منه ثلاث نسخ واحدة ضمن مجموعة ليبزج والثانية فى اسماعيل صائب والثالثة فى الظاهرية وقد اعتبرها ناسخ مجموعة الظاهرية جزءا من الأكياس والمغترين وقد جاءت كذلك عقب الاكياس والمغترين فى نسخة اسماعيل صائب •

وقد سماها الدكتور على حسن عبد القادر والبروفيسور آربرى المسائل المعفنة •• فى مقدمتها لكتابى الرياضة وأدب النفس •

وجاء الكتور عثمان اسماعيل يحيى فى مقدمته لكتاب ختم الأولياء فلم يقبل التسمية السابقة وقال ان العنوان الصحيح هو المسائل العفة لأن المؤلف يناقش مسائل تعف النفس عنها هكذا قال ، والواقع ان كلا التسميتين غير صحيحا وتدل على أن أيا منهم لم يقرأ النص المكتوب بعناية حتى يتبين له

التسمية الصحيحة وهى المسائل العفنة ، وذلك أن هذا العنوان قد صدر به المؤلف هذه المجموعة من المسائل حيث يقول فى نسختى الظاهرية في واسماعيل صائب (١) : « اماما ذكرنا من المسائل العفنة التى انتشرت على حال الغرة » وفى صدر نسخة ليبزج يقول « أما المسائل العفنة (٢) » وفى ورقة ١٦١ من نفس المخطوط بعد انتهاء مسألة « أنواع العلوم » يقول الناسخ تحت المسائل العفنة » لأنه اعتبر مسألة أنواع العلوم جزءا من المسائل العفنة وكثيرا ما يشير الحكيم الى كتاب العلوم ولعله يقصد به هذا الكتاب الذى نتحدث عنـــه .

وفى هذا الكتاب قد تناول الحكيم مجموعة من القضايا التى يحتال المشتغلون بالفقه علي ايجاد حيل يتخلص بها الناس من التزاماتهم ظاهريا ويرى أن هـذا علم عفن لأنه يؤدى الى ضياع الحقوق على أصحابها وهذه قائمة بالمسائل التى عرض لها الحكيم فى هذا الكتاب :

١ ـ الوالد مطلق اليد فى مال الولد اذا احتاج .

٢ ـ من قاتل دون ما له فقتل فهو شهيد .

٣ ـ اذا ابرأت المرأة زوجها برىء الزوج .

٤ ـ الرجل يكون بينه وبين آخر تعامل فى أنواع التجارات فيموه عليه ويستحله من جميع ما جرى .

٥ ـ ومن ذلك الرجل يوصى الى رجل فى وصيته أن يتصدق بشيء من ماله مسمى .

٦ ـ الاحتيال فى ابطال الشـــفعة .

٧ ـ التحـليل .

٨ ـ الاشربة الخبيثة .

---

(١) ورقة ١١٥
(٢) ورقة ١٤٩

٩ ـ قبول الهدايا فى أوقات التوسط •

١٠ ـ الاقبال على الامر والنهى مقايسة ومفاتشة ومشاكلة •

١١ ـ انهم عمدوا الى مشاهدة الاشياء فسموها قياسا •

٤٣ ـ المسائل المكنونة

مجموعة من الرسائل والمسائل تتناول موضوعات مختلفة من تفسير وحديث وفقه وتوحيد وتصوف ، وان كان الجانب الصوفى يستغرق معظمها وتعالج كثيرا من الافكار التى تناولها الحكيم فى كتبه المختلفة ••• وألح فى التركيز عليها وايضاحها مثل الولاية ، المعرفة ، الصراع بين النفس والقلب وما يتصل بهذه الموضوعات من ايضاح وتفصيل •

وليس هناك رابطة تجمع تلك المسائل فى سياق واحد لأنها لم تكتب على انها كتاب يعالج فكرة واحدة ، بل هى خواطر فاض بها وجدان الحكيم فى معرض الاجابة عن اسئلة كانت توجه اليه من وقت لآخر ، أو علاج لمشكلة فكرية او وجدانية كانت تطرح للمناقشة من تلاميذه ومريديه فى مجالس متعددة ، ويتراوح مقدار هذه الرسائل بين الطول والقصر فقد يستغرق بعضها ما يقرب من عشر ورقات وقد لا يستغرق البعض الآخر أكثر من اسطر تعد على أصابع اليد الواحدة ، وبعض هذه الرسائل له عنوان فى صلب المخطوط وبعضها غفل من العنوان •

ويوجد من هذا الكتاب نسختان كل منهما جزء من مجموع يحوى رسائل او كتبا أخرى للحكيم والنسخة الاولى فى صدر مجموعة ليبزج تستغرق من أول المجموع حتى الورقة ٥٤ ، والعنوان مثبت فى أعلى الورقة الاولى هكذا •• كتاب المسائل المكنونة •

وهو بخط الناسخ نفسه الا انه يوجد مع هذا على ورقة الغلاف عنوان آخر هو « الدر المكنون فى أسئلة ما كان وما يكون » وهو بخط الناسخ الاصلى ايضا • ويبدو أنه وضع هذا العنوان للمجموع كله الذى يحتوى

على عدد من المسائل يربو على المائة والثلاثين وقد تم نسخة في السادس من ربيع الأول عام ٦١١ هـ بيد محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أبي جراد كما هو مدون في الورقة رقم ٢٢٥ آخر المجموع •

اما النسخة الأخرى فتوجد في مكتبة بلدية الإسكندرية في اول مجموع كله للحكيم الترمذي يحتوي على كتابين آخرين هما تحصيل نظائر القرآن والرد على المعطلة ، وقد تم نسخ هذا المجموع في السابع عشر من شهر جمادى الاولى من سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة هجرية ٥٩٣ هـ أي ثمانية عشر عاما قبل المجموع الاول بيد الناسخ نفسه محمد بن هبة الله ابن محمد بن هبة الله بن أبي جراد الذي يبدو أنه كان مولعا بنسخ مؤلفات الحكيم والاهتمام بها •

وفيما يلي قائمة بالمسائل التي احتواها هذا الكتاب ، وبعضها قد استخلص له عنوان من معنى ما اشتملت عليه الرسالة :

١ ـ جهد النفس حجاب المنة وجهد القلب هتك حجاب المنة •

٢ ـ منتحلة علم الفقه ومنتحلة علم الحديث •

٣ ـ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة •

٤ ـ كل نفس بما كسبت رهينة •

٥ ـ سبح اسم ربك •

٦ ـ الخشية من العلم بالله ، والخوف من المشاهدة (الخشية والخوف) •

٧ ـ الاعتبار من النظر الى المقابر •

٨ ـ وجدت الروح منكمنا في جميع الجسد •

٩ ـ الآدمي أمير على الدنيا وقلبه أمير على جوارحه ، والمعرفة أمير على قلبه •

١٠ ـ خلق الآدمي ، وجعل القلب أميرا على الجوارح •

١١ ـ الهوى مهيج للشهوات •

١٢ ـ وضع الله الأشياء التي اختارها في الانسان •

٣٧ ـ ليس شيء فى الدنيا أشهى من الكلام •
٣٨ ـ الفرق بين الهدية والهبة •
٣٩ ـ المعرفة والعلم والعقل والفهم والذهن والحفظ •
٤٠ ـ اصل خروج الآدمى من باب الفرح •
٤١ ـ قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن •
٤٢ ـ لا يبقى فى الجنة من القرآن الا سورة طه ويس •
٤٣ ـ وأن الى ربك المنتهى •
٤٤ ـ عالم الغيب والشهادة •
٤٥ ـ القوة فى العـروق •
٤٦ ـ الرسل اعلام الخلق والحق •
٤٧ ـ الذين اعطوا السراج والقسط •
٤٨ ـ التحيـــات •
٤٩ ـ يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور •
٥٠ ـ نظر الى طائر •
٥١ ـ امر الله تبارك اسمه بالجهاد •
٥٢ ـ ومن احياها فكأنما أحيا الناس جميعا •
٥٣ ـ جملة العبودة •
٥٤ ـ خلق الله على فؤاد الآدمى عينين •
٥٥ ـ ابرز للعباد محبته •
٥٦ ـ اشغال الدنيا يأخذك بعضها من بعض •
٥٧ ـ اول عبادة الرب العلم •
٥٨ ـ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله •
٥٩ ـ مكر النفس •
٦٠ ـ تربية المعـرفة •
٦١ ـ درجـت العرض •
٦٢ ـ حظ النفس من العلوم •
٦٣ ـ رأس مال السفلة •
٦٤ ـ الذكر ودرجاته •
٦٥ ـ شأن العقل والهوى •
٦٦ ـ الطاعم الشاكر •



٤٤ ـ معرفة الاســرار

هناك نسخة مخطــوطة من هذا الكتاب توجــد بمكتبة قســـطموني بتــركيا (١) .

فى هذا الكتاب يتحدث الحكيم عن الكلمــات التى تدور على ألسـنة الصوفية دائما مثل الشكر والصـبر والرضى والورع معطيا لها تفسـيرات ارتضاها وهى لا تخالف فى مجموعها ما جرى عليه شيوخ الصوفية الآخرون .

والذى يلفت الانتباه فى هذا الكتــاب انه صدر بمقدمة طـويلة بعض الشىء عما ألفنا من تقديم الحكيم لرسائله أو كتبه ، كذلك تخلــف في طريقتها عما تعودنا منه مما يوحى بالشك فى أنها من صنع الحكيم ، وأنها قد تكون من عمل الناسخ .

وعلى الرغم من أن القارىء يشـعر أن الحكيم حاول اعطاء توضـيحات للكلمات الصوفية المتداولة على ألسنة الشيوخ الا أن المتفحص يرى أنه عقد فصلا عن الولاية والنبوة والصلة بينهما وذكر أجزاء النبوة الستة والأربعين، وقدم فصلا قصيرا عن كل منهما ، ولو أمكن العثور على نسخة ثانية من هذا الكتاب لكان فى نشره خدمة جليلة للباحثين فى تطور الفكر الصوفى وتبلور مصطلحاته . وفيما يلى قائمة بمحتويات الكتاب :

١ ـ لما خلق الله العقل .

٢ ـ صفة أسراء الله تعالى .

٣ ـ يا داود أنا جعلناك خليفة .

٤ ـ طبقات اهل الارادة .

٥ ـ أقسام التوبة .

٦ ـ بدء الطاعة والمعصية .

٧ ـ علامة اقبال القلب وادباره .

---

(١) طبع الكتاب أخيرا بتحقيق المؤلف .





٨٦ ـ الحــكمة ٠

٨٧ ـ التوفيق ٠

٨٨ ـ العــدل ٠

٨٩ ـ العصــمة ٠

٩٠ ـ الاســتخارة ٠

٩١ ـ التنزيه ٠

٩٢ ـ التعــين ٠

٩٣ ـ الاخــلاص ٠

٩٤ ـ الالهــام ٠

٩٥ ـ الفهــم ٠

٩٦ ـ التبصــرة ٠

٩٧ ـ المعــرفة ٠

٩٨ ـ التواضع ٠

٩٩ ـ الســخاوة ٠

١٠٠ ـ الصــواب

١٠١ ـ النيــة ٠

١٠٢ ـ الورع ٠

١٠٣ ـ الصبر ٠

١٠٤ ـ الشفقة ٠

١٠٥ ـ الشــكر ٠

١٠٦ ـ الرضــا ٠

١٠٧ ـ الخــوف

١٠٨ ـ الاســتقامة ٠

١٠٩ ـ الزهــد ٠

١١٠ ـ الفراســة ٠

١١١ ـ الألفــة ٠


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT




وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT


٤٥ ـ منازل العباد من العبادة

هذا الكتاب لا يزال مخطوطا (١) وتوجد منه نسخ ثلاث ، الأولى فى باريس والثانية فى أسعد أفندى والثالثة فى اسماعيل صائب وعنوانها «منازل القاصدين الى الله» •

وهدف هذا الكتاب هو بيان درجات العباد فى سعيهم الى الله سبحانه وقد قدم الحكيم الكتاب بمقدمة قصيرة يقول فيها : انكم سألتمونى عن وصف منازل العباد من هذا الدين وان اذكر لكم على كل منزلة منها من طريق الكتاب المنزل والخبر المأثور مايكون شاهدا على وصفى » وفى معرض الاجابة عن هذا السؤال أخذ الحكيم اولا فى ذكر المنازل التى ينزلها العباد والصفات التى يجب توافرها فى كل من ينال منزلة من هذه المنازل ، ثم اخذ فى مناقشة هذه الصفات المطلوبة وكيفية تحققها ويؤيد كل ما يعرضه بآيات من الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة • وفى معرض كل ذلك لا يفوته أن يعرض صورا مفصلة لأخلاق أهل كل منزلة وسلوكهم ومناهجهم ومجاهدتهم ورياضتهم

وأول هذه المنازل : منزلة التوبة وتعطى لهؤلاء الذين يستحقون محبة الله لأنهم يتوبون اليه ويتطهرون •• ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين •

والمنزلة الثانية : هى منزلة الزهد فى الدنيا ، وينالها هؤلاء الذين ليس لهم رغبة فى الأمور الدنيوية وهى أعلى درجة من منزلة التوة لأن مستحقيها قد تهيأوا لها بتطهير نفوسهم من الآثام ولا يرون فى الدنيا الا العورات فاحتقروها ، ويرونها سجنا لهم عملا بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » •

المنزلة الثالثة : هى منزلة مجاهدة النفس وتعطى للزهاد الذين ليس لهم رغبة فى أمر من أمور الدنيا ، وهم الذين يقاومون رغبات نفوسهم التى

---

(١) طبع الكتاب أخيرا بتحقيق المؤلف •

تلاحقهم ويعتبرونها عدوا لهم ولا يزالون كذلك حتى يملكوا الزمام لأنفسهم تماما • لأن الرسول صلوات الله عليه يقول : « أعدى اعدائك نفسك التى بين جنبيك » •

المنزلة الرابعة : منزلة محبة الله والقربى ، وينالها هؤلاء الذين قطعوا أنفسهم كلية عن شهوات النفس وذاقوا لذة القرب من الله ورحمته وهم الذين قال الله فيهم « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » •

المنزلة الخامسة : درجة القربى وأهلها هم الذين ينالون درجة القربة العظمى ، وهم الذين التجأوا الى الله من مكر النفس وشهواتها ، فنالوا نعمة الله وفضله بتطهير قلوبهم من هذه الرغبات النفسية وفيهم يقول القرآن الكريم « وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه » •

المنزلة السادسة : منزلة أهل الخشية من الله سبحانه ، وهم الذين يقول القرآن الكريم فيهم « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » •

المنزلة السابعة : منزلة أهل الجباية ، والتجلى والتفويض ، وأصل هذه المنزلة مأخوذ من قوله تعالى « وأفوض أمرى الى الله » وعدد من الاحاديث ومنها الحديث القدسى « ما تقرب الى عبدى بأفضل مما افترضت عليه وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وعينه التى يبصر بها ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ••• » •

وبعد أن عرض الحكيم المنازل السبع والمستحقين لها من العباد اخذ يبين بتفصيل أساس كل منزلة ومستحقيها من الكتاب والسنة النبوية وزاد على ما قدم ايضاحا أكثر وتفصيلا أتم •

٤٦ ـ المنــاجاة

توجد نسخة وحيدة مخطوطة من هذه الرسالة بمكتبة الأزهر بالقاهرة •
وهى عبارة عن مجموعة من الأدعية والتضرعات أتى بها الحكيم بعضها من انشائه وبعضها اقتبسه من كلام الله وحديث رســوله صلى الله عليه وسلم ويمكن أن يقال انها مجموعة من الرقائق والمواعظ التى تطورت فيما بعد حتى اتخذت أخيرا على يد متأخرى الصوفية صورة الأحزاب والأوراد المعروفة والتى تشكل جانبا هاما من الأدب الصوفى •

٤٧ ـ المنهيــات وكل ما جاء من حديث بالنهى

هذا الكتاب لا يزال مخطوطا وتوجد منه نسختان فى باريس واســعد أفندى •

وقد عمد الحكيم فى هذا الكتاب الى جمع كل ما وقع عليه من أحــاديث تنهى عن أمر من الامور وحشدها كلها فى سياق واحد وأحيانا يردى الطرق المتعددة التى جاء بها الحديث ويذكر سند كل طريق بالتفصــيل ، ثم يعقب على الحديث بالشرح والتحليل والاستنتاج ، ويمكن أن يقال ان عمله فى هذا الكتاب كان ذا اتجاهات رئيسية ثلاث اولاها جمع الحديث وايراد ســنده بطرقه المختلفة ، ثانيها التعقيب على الحديث بالشرح والتعليق والبيــان ثالثها استنتاج بعض الاحكام والتعليل للنهى وبيان أن المخــالفة تؤدى الى اضرار تلحق بالمرء ، منها اضرار تقع فى الدنيا ومنها أضرار تناله فى الآخرة ومن خلال أقوال الحكيم يبدو انه كان له بصر بأمور الطب وانتظام دورة الدم فى أجزاء الجسم المختلفة ، ولم أجد أحدا حســبما وصلت اليه معرفتى نهج منهج الحكيم فى جمع أحاديث النهى بهذه الصورة •

٤٨ ــ نوادر الأصول فى معرفة اخبار الرسول

ويسمى سلوة العارفين وبستان الموحدين

اشهر كتب الحكيم الترمذى ، واكثرها تداولا فى القديم والحديث ، وأولها طباعه ، فقد طبع فى اسطنبول سنة ١٢٩٣ هـ بعناية الشيخ مصطفى ابن اسماعيل الدمشقى ، وكتب له شرحا سماه مرقاة الوصول حواشى نوادر الأصول فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

وقد ذكرت كتب التراجم ان علماء نيسابور تلقوا عن الحكيم هذا الكتاب لما رحل اليها فى عام ٢٨٥ هـ وورووده عنه ٠ وقد اشار اليه الحكيم فى بعض كتبه باسم « كتاب الأصول » كما جرت بذلك عادته من اختصار اسماء الكتب حين الاشارة اليها ٠ ويوجد فى مكتبات العالم عدد كبير من مخطوطات هذا الكتاب سواء فى الشرق أو فى الغرب ٠

وقد جمع الحكيم فيه ٢٩١ حديثا سمى كلا منها اصلا ، ثم اخذ فى شرح الحديث بعد روايته ، وفى خلال شرحه يستطرد فى استنباط ما يفهمه من لفظ الحديث ، وقد جمع ألوانا مختلفة من المعارف والآراء التى تعبر عن وجهة نظره ، ويمكن أن أقول ان هذه الأصول التى جمعها الحكيم فى هذا الكتاب هى الاسس التى انطلق منها الى تقرير آرائه وأفكاره فى الولاية والمعرفة والحكمة والنور والسلوك والصراع بين القلب والنفس والتى تناولها بتفصيل فى كتبه ورسائله الاخرى والذى اريد أن اقوله ان هذا الكتاب حوى اصل تفكير الحكيم الترمذى ، وهو فى هذا الكتاب كما فى غيره يتخذ من الاحاديث سندا وأدلة لما يعتقده ويدعو اليه وعلى الأخص النظريات الصوفية التى أسسها ووضح اصولها كالولاية ودرجاتها وختم الاولياء والمعرفة وجنودها ومملكتها ودرجاتها وأنواعها ، والسلوك الانسانى والاخلاق والمعاملات التى يرسم حدودها ويوضح معالمها ، ولهذا كان الكتاب حشدا لطائفة مختلفة من الموضوعات المتعددة الجوانب والاطراف ، ولا يمكن القول بأن

هناك موضوعا واحدا ينتظم أبواب الكتاب كلها كماهى عادته فى كتبه الأخرى، اللهم الا القول بأنه مجموعة من الأحديث النبوية ، وكل حديث يعتبر موضوعا مستقلا بذاته أو أصلا كما سماه وكما يوحى عنوان الكتاب •

هذه الاصول ترسم الطريق السوى الذى يراه الحكيم فى العبادات والمعاملات والسلوك والأخلاق ، وينفذ من خلال ألفاظ الحديث الى ابراز المعانى التى يريدها ويتخذ من لفظ الحديث مادة يؤيد بها ما ذهب اليه •

ومع أن الحكيم يلتزم بايراد سند الأحاديث التى يرويها فى كتبه المختلفة الا أنه لم يلتزم هذا المنهج فى كتابه هذا ، فقد اقتصر على ذكر الصحابى والتابعى الراوى عن الصحابى فى الأعم الأغلب وأحيانا يأتى بتابع التابع ولم يأت بالسند كاملا الا فى الحديث الأول والحديث رقم ٤٤ •

ومن عادة الحكيم ان يشير فى صدر كتبه الى الدافع على التأليف كأن يقول فى أول الكتاب سألتنى عن كذا أو أن اشرح لك كذا ••• الا انه هنا لم يسلك هذا المسلك ، بل بدأ مباشرة برواية الحديث أو الأصل الأول وقد بلغت صفحات الكتاب ٤٣٢ من القطع الكبير ولو طبع طبعا حديثا لاستغرق أكثر من ضعف هذا العدد وقد يصل الى الألف وبلغت صفحات حواشى الكتاب ١٤٢ من القطع الكبير أيضا ومما يستوقف النظر فى هذا الكتاب رأى الحكيم فى رواية الحديث الذى عقد له فصلا سماه « صدق التحديث » رقم ٤٤ ص ٥٩ وفيه يروى حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم بسند متصل على النحو التالى « واذا حدثتم عنى بحديث تعرفونه ولا تنكرونه ، قلته أو لم أقله فصدقوا به ، وانى أقول ما يعرف ولا ينكر ، واذا حدثتم عنى بحديث تنكرونه ولا تعرفونه فكذبوا به فانى لا أقول ما ينكر ولا يعرفه » •

وهذه قائمة بأبواب الكتاب :

١ ــ فى بيان التحصين وكلمة الاستعاذة •

٢ ــ فى بيان كلمة النجوى •





٤٩ — نوادر اصـــول العـــرفان

توجد نسخة مخطوطة من هذا المؤلف فى مكتبة فيينا وهو مجموعة من مقطعات وقصائد شعرية متوسطة الطول تبلغ ثمانية مقطوعات والكتاب باللغة الفارسية ولم يعرف عن الحـــكيم انه قرض الشعر او حتى رواه ســواء فى العربى او الفارسى ، وفى رسائله المتعددة لا تجده يستشهد بالشعر الا مرة او اثنتين فقط والمقطوعات الشــعرية التى جاءت فى هذا المؤلف تتحدث عن الخمر والزهر والربيع والحب على عادة شعراء الفرس وقد يحمل معناها على اغراض صوفية رمزا اليها بهذه الالفــاظ المتداولة ، والحقيقة انّ المرء يتردد كثيرا فى نسبة هذا الكتاب الى الحكيم ٠

٥٠ — الهداية الى معـرفة آداب الولاية

توجد نســخة مخطوطة من هذا الكتاب فى دار الكتب بالقاهـرة ضمن مجموعة الخزانة التيمورية ٠

وقد ذكر هذا الكتاب الدكتور نقــولا هير فى مقدمة كتـــاب « الفرق بين الصدر القلب والفؤاد واللب » ضمن الكتب المنسوبة الى الحكيم بما يشعر انه ليس فى حالة يستطيع الجزم فيها بنسبة الكتاب الى الحكيم او نفى نسبته ، والحق ان الكتاب ليس من تأليف الحكيم وانما هو مجموع اقتباســات من كلام شـــيوخ الصوفية وما يتعلق بأرباب الولاية مأخوذ من كلام الحكيم وسبب هــذا التردد ان الناســـخ وضع فى رأس الصفحة رقم ٩١ عنوان بخط كبيـــر هو « الهداية الى معرفة أرباب الولاية » وليس آداب الولاية كما ذكره الدكتـــور هير ، ثم عاد الناســخ وكرر ذلك فى وسط الصفحة ذاتها بصورة أخرى تقول « تأليف حـكيم الامة ابو عبد الله محمـــد بن على الترمذى رضى الله عنه وأرضـــــاه » ٠

وفى للصفحة ٩٢ عاد فقال فى السطر الخامس والسادس « قال حكيم الامة ابو عبد الله محمد بن على الترمذى رحمه الله » .

والحقيقة ان الكتاب اقتباسات من كلام الحكيم وابى يزيد والجنيد والخراز والكرمانى ، وقد وجد فى ورقة الغلاف هذا العنوان «مجموع رسائل فى التصوف والكلام » والذى أعتقده أن هذا العنوان هو الأنسب ومن هذه الرسائل رسالة الحكيم .

هذا استعراض سريع لكتب الحكيم الموجودة الآن المخطوط منها والمطبوع قد يجد الباحث فيه صورة سريعة لرؤوس الموضوعات التى عالجها الحكيم آمل ان تكون عونا لمن يريد ان يدرس كل كتاب على حدة .



الفصل الرابع

منهج الحكيم فى التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام

يرتكز فكر الحكيم اساسا على فهم القرآن الكريم ، والتعمق في استخلاص اسراره ومعانيه الظاهرة والباطنة .

وقد بدا اهتمامه بالقرآن منذ رحلته الى الحج التى حدثنا عنها فى رسالته « بدون الشأن » والتى يقول فيها « فقدمت مكة فى بقية شعبان فرزق الله المقام بها الى وقت الحج وفتح لى باب الدعاء عند الملتزم فى كل ليلة سحرا ، ووقع على قلبى تصحيح التوبة ، والخروج مما دق وجل ، وحججت فرجعت وقد أصبت قلبى ، وسألته عند الملتزم فى تلك الأوقات أن يصلحنى ، ويزهدنى فى الدنيا ويرزقنى حفظ كتابه ، وكنت لا أهتدى لشىء من الحاجات غير هذا ، فرجعت ، وقد ألقى على حرص التحفظ للقرآن فى طريقى ، فأخذا صدرا منه فى الطريق ، فلما وصلت الى الوطن يسر على ذلك بمنه حتى فرغت منه ، فأفامنى ذلك بالليل فكنت لا أمل من قراءته حتى انه كان ليقيمني ذلك الى الصباح ، ووجدت حلاوته » (١) .

وقد انعكس هذا الفهم على آثار الحكيم كلها فى شتى فروع المعرفة التى ناقشها فى كتبه ورسائله المتعددة .

وبين مؤلفات الحكيم كتب ورسائل تتصل مباشرة بالقرآن الكريم ، وتكشف عن جوانب مهمة من فهمه لكتاب الله عز وجل ، وهذه الكتب هى :

١ ـ كتاب الأمثال من الكتاب والسنة مخطوط بباريس وأسعد أفندى .

٢ ـ كتاب تحصيل نظائر القرآن مخطوط بمكتبة بلدية الاسكندرية .

---

(١) بدو الشأن مخطوط اسماعيل صائب ورقة ٢١٠ .

٣ ـ تفسير آية لا شرقية ولا غربية ، وقد تناول تفسيرها فى اكثر من موضع ، ويوجد كتاب فى تركيا يحمل هذا العنوان وقد بينا انه ليس له •

٤ ـ طائفة كبيرة من المسائل يتناول كل منها تفسير آية من القرآن الكريم ومعظمها موجود ضمن مجموعة ليبزج •

٥ ـ تفسير القرآن الكريم ، ذكر الهجويرى (١) ، انه بدأ فى اخر حياته ، ولكنه لم يتمه ولم يعثر على اثر لهذا التفسير حتى الآن •

ولم يلتزم الحكيم منهجا واحدا فى تفسير القرآن الكريم بل يجد الباحث له اكثر من منهج وان كان الاتجاه الصوفى يغلب على اكثر ما كتبه فى حقل التفسير ، فهناك التفسير الظاهرى الذى جرى عليه أغلب مفسرى القرآن نجده فى كثير من الآيات التى تناولها ، وهناك التفسير الذى يعتمد على التركيز على المعنى الباطن لكلمات القرآن الكريم معتمدا على ان لكل كلمة من القرآن ظاهرا وباطنا ، وهناك التفسير القائم على استنباط اسرار الحروف التى تتألف منها الكلمات •

هذه هى الاتجاهات العامة التى تجدها مبثوثة فى رسائله وكتبه فى التفسير وهناك اتجاهات خاصة قد نجد معها أحد هذه الاتجاهات الثلاث وخاصة الاتجاه الثانى والثالث • هذه الاتجاهات الخاصة قد يوجهها الهدف الرئيسى الذى يقصده من الكتاب ، ففى كتابه المسمى تحصيل نظائر القرآن عمد الى طائفة من الألفاظ التى تداولها القرآن الكريم اكثر من مرة متناولا المعانى المختلفة التى استعملت فيها هذه الكلمة مشيرا الى الرابطة اللغوية بين المعنى الأصلى للكلمة والمعنى الفرعى الذى استعملت فيه تلك الكلمة ، وقد ظننت أول الأمر أن هذا المنهج من ابتكار الحكيم وانشائه حتى وجدت فى السطور الأولى من مقدمة الكتاب ما يفهم منه ان هناك كتابا آخر نهج

---

(١) ترجمة كشف المحجوب لنيكلسون

هذا النهج اطلع عليه الحكيم ثم نسج على منواله وبعد البحث تبين ان هناك كتابا ألفه مقاتل بن سليمان سماه الوجوه والنظائر وسلك فيه المسلك الذى سلكه الحكيم حتى انه بدأ بالكلمة التى بدأ بها الحكيم ، وهى « الهدى » وتوجد نسخة مخطوط من كتاب مقاتل فى مكتبة تشستر بيتى بايرلندا • ثم سار على منواله من بعده كل من ابن القيم والدامغانى •

وقد تناول الحكيم فى كتابه هذا ثمانين كلمة قرآنية بين المعانى المختلفة التى استعملت فيها كل كلمة ، ويلاحظ ان الحكيم فى استعراضه للكلمات التى تناولها يستطرد فيذكر معانى الكلمات والمقصود منها وخاصة بالنسبة للفهم الصوفى ، وأحيانا يعطى تفسيرات ذات معان بعيدة كما فعل فى حديثه عن الحكمة والوحى والذكر وهذه قائمة بالكلمات التى جاءت فى الكتاب :

١ ـ الهدى ولها ثمانية عشر وجها •
٢ ـ الكفر •
٣ ـ الشرك •
٤ ـ السوا •
٥ ـ المرض •
٦ ـ الفساد •
٧ ـ المشى •
٨ ـ اللباس •
٩ ـ السوء •
١٠ ـ الخزى •
١١ ـ باءوا •
١٢ ـ الرحمة •
١٣ ـ الفرقان •
١٤ ـ الذكر •


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT



٤١ ـ التأويل •

٤٢ ـ الاستغفار •

٤٣ ـ الدين •

٤٤ ـ الاحساس •

٤٥ ـ الاسلام •

٤٦ ـ الايمان •

٤٧ ـ الشكر •

٤٨ ـ الفضل •

٤٩ ـ الصبر •

٥٠ ـ البأساء •

٥١ ـ الضراء

٥٢ ـ الوكيل •

٥٣ ـ المحصنات •

٥٤ ـ الشهيد •

٥٥ ـ الحرج •

٥٦ ـ الردى •

٥٧ ـ شيعا •

٥٨ ـ متاع •

٥٩ ـ الضحى •

٦٠ ـ الخاسرين •

٦١ ـ الاستطاعة •

٦٢ ـ فتولى عنهم •

٦٣ ـ الروح •

٦٤ ـ الاحزاب •

٦٥ ـ التقوى •

٦٦ ـ الصيف •





٦٧ ـ الحشـــر •

٦٨ ـ الرجـــــاء •

٦٩ ـ لا يرجون لقـــاءنا •

٧٠ ـ الوحى •

٧١ ـ الجبـــار •

٧٢ ـ الســـوى •

٧٣ ـ اللغـــو •

٧٤ ـ ظـــــل •

٧٥ ـ الحــق •

٧٦ ـ بغير حســـاب •

٧٧ ـ المـــاء •

٧٨ ـ كبيـــــر •

٧٩ ـ يوزعــون •

٨٠ ـ الســبيل •

اما كتاب الامثـــال فهو منهج فريد فى اســـتعراضه لظاهرة خاصة فى التعبير عن المعانى تعمد الى ضرب الامثال للايضاح والبيان وقد بين الحكيم فى مقدمة الكتاب ان الله ضرب الامثـــال للعباد لحاجتهم اليها ليعلقوا بهـا ويدركوا ما غاب عن اسماعهم وابصارهم بقياسه على المشاهد المرئى ، والذى يوحى به عنوان الكتاب انه اقتصر على الامثال التى وردت فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، غير اننا لا نكاد نمضى بضع صفحات حتى نجده قد أضاف الامثال الواردة على ألسنة الحكماء والعلماء • وهذا الجزء الأخير قـد استغرق أكثر صفحات الكتاب ، وقد تناول فيه المعانى التى تجذب انتباهـه كواحد من شيوخ الصوفية الذين يرسمون الطريق لمن يأتى بعدهم من السالكين والسائرين فى الطريق •

أما الامثـــال القرآنية التى جاءت فى الكتـــاب فقد بلغت حوالى ثلاثة

وعشرين مثــــلا وهى : مثل المنافقين ، مثل اليهــود مع نبينا صــــلى الله عليه وســـــلم ٠

مثل المنافقين بتكذيب القرآن ، مثل محمد ودعوته مع الكافر كمثل الذى ينعق بما لا يسمع دعاء ولا نداء ، مثل المنفق ماله فى طاعة الله ، مثل المرائى والمشرك مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر والمقصـود هنا اليهود ، مثل الذى اتيناه آياتنا فانسلخ منها كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ، مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ، مثل الحق والباطل « أنزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها » ٠٠

مثل دعاء الكافر كباسـط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ، مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة ٠

مثل أعمال الكفار كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف ٠

مثل الوثن كمثل عبد مملوك لا يقدر على شىء ٠

مثل ناقض العهد كالتى نقضت غزلها من بعد قوة ٠

مثل أصنام أهل مكة « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له » ٠

مثل قلب المؤمن وأعماله ٠٠ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، مثل اعمال الكفار كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شــــيئا

مثل آخر للكافر : مثل العنكبوت اتخذت بيتا ٠

مثل آخر للشرك : ضرب لكـــم مثلا من أنفسكم هل لكـم مما ملكت ايمانــــكم ٠

مثل اليهود مثل الحمر « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمـــار يحمل اســـفارا » ٠

ويوجد فى مجموع كاكتنا كتاب بعنوان « تبيان الامثـــال » تحدث فى مقدمته عن الغاية من ضرب الامثال كما فعل هنا مع اختلاف طفيف فى الكلمات لا فى الافكار ثم أتبعه بذكر الامثال التى جاءت هنا والحقيقة انه نســخة اخرى من الأمثال مع اختلاف فى بعض التعبيرات فقط .

اما الكتاب المسمى تفسير آية لا شرقية ولا غـربية مع تأويل أربعين حـديثا الذى ذكره الدكتور عثمـــان يحيى فليس فى الحقيقـــة من كتب الحكيم ، والسبب فى ذلك ان مؤلف الكتـــاب صدره برأى الحـــكيم فى شرح الآية المذكورة ، فتوهم من قرأ بعض الورقة الاولى ان الكتاب له ، وليس كذلك ، وقد عقب مؤلف الكتاب بايراد اربعين حديثا وتناول شرحها متبعـا الطريقة التى سار عليها الحكيم فى شرح الآية ، وهى الطريقة التى تقـــوم على استخلاص اسرار ومعان من الحروف الا أن صاحب الكتاب قد اغرق فى ذلك اغراقا شديدا .

ولم تأت الاحاديث مرتبة حسب ارقامها ، فالحديث السادس عشر يأتى بعد الثالث ، ثم الثانى والعشرين ، ثم الثانى عشر ، وهذا الترتيب يعطى فكرة واضحة عن مدى الاضطراب فى هذا المخطوط .

وفى نهاية الكتاب ورقة ١٣٣ بعد أن ينتهى من شرح الحديث الاربعين يقول ناسخه فى الهامش : هذا ما كتبنا من شرح الحديث لابراهيم بن محمد الطاوس انتسابا والعرديني ولادا والذى ألفه بعد الانتقال من بلاد خراسان الى مدينة همـــزان .

والذى يبدو أن هذا الكتـــاب من تأليف ابراهيم الطاوس الذى ذكـره الناسخ فى الورقة ١٣٣ ويرجح هذا انه فى الورقة التـــالية ١٣٤ يأخذ فى الاشارة الى كتاب آخر يبين فيه معنى التقوى والوسيلة ودرجاتهما وشرائف اسرار مباديهما وغاياتهما ، وبيان ترتيب الجهاد ، ثم يشير الى كتاب آخر تحدث فيه عن بيان مراتب الايمان وباطنه وظاهره ، واصل شجرته وشـعبه وعروقه ويسميه « تحرير البيان فى تقرير شعب الايمان ورتب الاحسان » .

وقد تناول الحكيم فى أماكن متفرقة من كتبه ورسائله طائفة من آيات القرآن الكريم ، بالشرح والتفسير بلغت أربعا وأربعين آية ، وكانت آية النور « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ٠ المصباح فى زجاجة ٠ الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار » ٠٠ أوفرها حظا وأوضحها فى الكشف عن منهج الحكيم فى التفسير وفهم القرآن الكريم ، وقد اعتمد بعض المفسرين الكبار رأى الحكيم في تفسير هذه الآية ونقلوا عنه منهم القرطبى من قدامى المفسرين فى تفسيره المشهور ، والشوكانى فى المحدثين فى تفسيره « كشف القدير » ٠

ومنهج الحكيم فى تفسير القرآن الكريم ذو اتجاهات ثلاث :

اولها المنهج الظاهرى فى فهم الآيات والذى جرى عليه جمهور مفسرى القرآن الكريم على اختلاف العصور ٠

ثانيها : التفسير الصوفى الذى يرى ان للقرآن ظاهرا او باطنا ٠

وثالثها : استخلاص معانى واشارات خاصة من الحروف التى تتكون منها الكلمات ويرتبط هذا بوجهة نظره فى المعرفة حيث يرى ان الحروف اصل العلوم كلها من الأسماء والصفات ٠

وهذا الاتجاه الثالث يرتبط ارتباطا وثيقا بالاتجاه الثانى ، وكان من الممكن ان نقف على منهج كامل للحكيم فى التفسير لو اننا اهتدينا الى التفسير الذى قال الهجويرى ان الحكيم بدأه فى آخر حياته ولكننا لم نقف على أثر له حتى الآن ٠

ويجب الا يفوتنا الاشارة هنا الى أن فهم الحكيم لكثير من الأصول الصوفية وعرضه لها فى اسلوبه الخاص انما يستمد اساسا من فهمه للقرآن الكريم والسنة المطهرة ،فهو وان لم يكتب تفسيرا للآيات فى عرضه لهذه الاصول الا أن استلهامه لمعانيها كما فهمها كان واضح الاثر فى تلوين تفكيره وصبغه

بالصيغة التى تطامع الباحث من خلال دراسته بكتبه ورسائله :

ويجدر بنا قبل ان ندع الحديث عن منهج الحكيم فى التفسير أن نقدم نموذجا من تفسيره ، وهو تفسير الآية الكريمة « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح • المصباح فى زجاجة • الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار • نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء » قد كثرت التفاسير لهذه الآية من وجوه شتى كل حسن ، ولكن التفسير ما فسره الحكماء من الحكمة العليا التى خرجت من خزائن المعرفة ونطقت بها السن أهل العقول من بحور الالهام حتى سالت منها اودية ملأت الافق اما قوله عز وجل « الله نور السموات والأرض » فان الانوار كلها تسعة ، وهن كلهن من نور الله ، فأما النور الأول فنور الشمس ولباسه الضوء ، واما النور الثانى فنور القمر . وليس عليه لباس ، وانما معنا فى ذلك لباس الباطن لا لباس الظاهر ، وأما لباس الظاهر فان لكل واحد منهما لباسا ، فلباس الشمس من العرش ، ولباس القمر من الكرسى ، هذا فى المجاز وفى التحقيق لا يقال لما ذكرنا لباس، انما ذلك كسوة ، والكسوى سوى اللباس ، الكسوة بها توارى العورة ،واللباس ما يلبس فوق الثياب ، ذلك للنفس وهذا للعين ، وشتان ما بينهما ، ونكتة اخرى أن الكسوة لحاجة النفس ، واللباس فرح القلب ، وفيه ما لا يمكن الفحص عنه ، ولو قصدت ذلك طال الكتاب ، رجعنا الى ما كنا فيه ، واما النور الثالث فنور الكواكب ، وأما النور الرابع فنور النهار ، وأما النور الخامس فنور البرق ، وأما النور السادس فنور النار ، وأما النور السابع فنور العين ، وأما النور الثامن فنور الجواهر ، وأما النور التاسع فهو رأس الأنوار وملكها، وذلك أنه خرج من الوحدانية ، وعليه لباس الربوبية ، يدل على الألوهية ، ويشير الى الفردية،ذلك قوله « أفمن كان على بينة من ربه » ، فهو نور المعرفة ويتلوه شاهد منه فهو نور الشواهد والعلائم الذى معه يدل على الله ويشير اليه ، ويؤدى عنه بالصفات والذات والأسماء الدالات ، وانما صار أبهى الأنوار واعلاها واشرفها ، وكلهن من رب واحد لأن تلك انوار الظاهر ، وهنا نور الباطن ،

فبنور الظاهر ترى الظاهر ، وبنور الباطن ترى الباطن لو أنك اردت ان تنظر الى ما غاب عنك بنور بصرك لم نطق ذلك أبدا ، ونكتة أخرى أن بنور الباطن ترى الظاهر والباطن كلاهما ، وبنور الظاهر لا تطاق الرؤية الا للظاهر فجميع الانوار التى ذكرنا بدت من ملكه وقدرته ، والنور الاشرف وهو نور المعرفة انما بدا من الوحدانية ، فتلك دالة على الملك والملكوت لانها بدت منها ومن نوريته خرجت هذه الأنوار كلها ، فوصف نوريته الذى بدا من الملك لاهل السموات وأهل الأرض ، ثم عطف على النور الاعلى والاشرف ، وهو نور المعرفة الذى بدا من الوحدانية فذكره ، وضرب له مثلا ليفهمه خلقه وليعرفوا كرامتهم التى أكرمهم الله بها من بين خلقه وليشكروه على صنعه بهم ونظره لهم وعطفه عليهم فى سابق علمه بهم حيث لا أرض ولا سماء ولا عرش ولا كرسى ولا قدر ولا قضاء ولا شىء ولا مقادير ، نظر اليهم فى هويته وفرديته وديموميته وقدمه فاجتباهم وهداهم واختارهم لنفسه وجعل أسماءهم عنده فى سابق علمه ليوم خروجهم وربتهم بين يديه فى غيبه المكنون ينظر اليهم وكنفه بالمحبة عليهم ، فيباهى بهم خلقه وخليقته حتى يمجدونه ويثنون عليه ويركعون ويسجدون له ، وحيث يسلون سيوفهم النورانية من اغمادها مموهة بماء المحبة محددة بالمعرفة ، مصقلة بالاخلاص فيهزونها بالشوق بين يدى الجليل على بساط الفرح فتلمع سيوفهم وتشرق منها انوار فتحرق الحجب هيبته ، ويحير الملائكة سلطانه ، وتحرق الشرك والكفر نيرانه ، ويرتعد من الشوق الى صاحبها عرش الجليل ، وتنبع زهر جنان الفراديس من طيبه ، فياله من عز (منزلة) وياله من شرف لو كنت تعقل .

رجعنا الى ما كنا فيه فقال : « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . المصباح فى زجاجة . الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة » . يقول يوقد القنديل من دهن شجرة مباركة وهى الزيتونة « لا شرقية ولا غربية » يقول : ليست الشجرة بشرقية ولا غربية « يكاد زيتها يضىء » يقول : يضىء القنديل بغير نار « ولو لم تمسسه نار » يقول : يضىء ضياء لو لم يكن « نور على نور»

يقول : هو نور يعني الزيتون على نور يقول : على الزجاجة : « يهدى الله لنوره من يشاء » واما المثل فانه يقول : كأن بيتا له مشكاة وهى الكوة ، وفيها قنديل معلق ، قد صب فيه ماء وفوقه دهن الزيت الى أن جاوز البارق وصارت الفتيلة فيها مصبوغة ، والقنديل يضيء أهل البيت بضـوء الدهن الذى فيه وهو دهـن الزيتون من غير نار كأنه كوكب درى فى شـدة ضوئه ودريته ، واما تفسير مثل القنديل فان المشـكاه الكوة ، والبيت والصدر ، والمصـباح السراج ، والمصباح الآخر الفتيلة ، والزجاجة بارق القنديل ، والزجاجة الأخرى نفس القنديل ، ووقوده من دهن زيت لا شرقية ولا غربية بلا نار ، وأما معنى مثل القنديل فان المشكاة وهى الكوة هم الفم والبيت الذى فيه الكوة هو الصدر والمصباح المنسوب الى السراج الاقرار ، والمصباح الآخر المنسوب الى الفتيلة اللسان ، والزجاجة المنسوبة الى الفايزق الخلق ، والزجاجة المنسوبة الى نفس القنديل القلب ، واما الوقود الذى ذكر انه من الزيتون هو المعرفة ، واما الذى هو تحت الدهن فهو ماء الرحمة ، واما تفسير القلب حيث سماه بالزجاجة من بين جميع الاشياء والحواجز فانما شبه القلب بالزجاجة لأن الزجاجة جوهرة أصلها من النور واستعمالها بالنور ، وهى النار ، فلما اجتمعا ودخل سلطان النار فيها ازدادت نورا وضياء • ويبست من سلطان حراريتهما حرارة النـار وحرارة النور فضعفت ورخوت فمهما اصابتها يد الامس (الآدميين) انكسرت من غلبة سلطان النور وحرارته عليها ، ولذلك قال حكيم من الحكماء انما شبه الله تعالى قلب المؤمن بالزجاجة لأنها سريعة الانكسار بطيئة الانجبار ، اذا انكسرت لا تقبل الجبر ولا تصلح حتى لا تصيبها النار فسماه لضعفه وسرعة انكساره وشدة نوره وضوئه بالزجاجة التى وصف •

واما تفسير القلب حيث شبهه بنوره وضوئه ودريته بغير نار بالكوكب من بين الأشياء النورانية (الدريات) وانما شبهه بالكوكب لأن الكوكب أصله من النور ولباسه النور ، وهو معلق من السماء يضيء لأهل الارض من مسيرة خمسمائة عام واكثر بغير نار بالنور الذى هو جوهرة والنور الذى هو لباسه ، فشبه قلب المؤمن بضوئه ونوره وضوء المعرفة التى فيه من الأرض لأهل السماء

بغير نار بالكوكب الذى يضىء لأهل الأرض من السماء بغير نار ، فقال كأنها كوكب درى ، وكما أن القنـــديل يعلق من الهواء بحبـــل ، والكوكب معلق من السماء ، كذلك القلب معلق من السماء ، وسماؤه العرش ، وحبله الايمـان وهو الاقـــرار به ٠

واما تفسير قوله : « توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتهايضىء ولو لم تمسسه نار» قال:أما شجرة الزيتون فان أصلهاومنبتها من شجرة طوبى التى هى الجنة أهداها الله تعالى لآدم عليه السلام يوم تاب عليه وزوده بها وسماها باسم سوى اسم طوبى ، وهو الزيتون ، ولكنه بلطفه وحكمته غير حروفهـا ، وأبدل كل حرف منها بحرف آخر ، وختمها بحـرف زائد ليس فيها وهو النون من الزيتون ، وذلك ان طوبى أربعة احرف طاء وواو وباء وياء وزيتون أربعة أحرف أيضا زاى وياء وتاء وواو ، وزيادة حرف فى آخره وهو النون ، واما تفسير الزيتونة فانها فى الحروف خمسة احرف كما ذكرنا ، وهى الزاى والياء والتاء والواو والنون وكل حرف منه يدل على فعله ، ومافى حشوه ، فالزاى زاى الزاد ، والياء ياء اليوم ، والتاء تاء التوبة ، والواو واو السمة حيث وسم الله تعالى شجرة طوبى حين غرسها ، ولها قصة نذكـرها فى بابها ان شاء الله ، والنون نون النور فاذا جمعت بين حروفها المتفرقة دلك على ان الله جل وعز زود آدم عليه السلام بها يوم تاب عليه ، والنون عـــلامة النور فى الزيتونة ودلالة على ان فيها نورا يضىء القنديل بنوره من غير نار كما قال: « يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار » ، ها هنا تم الكلام ثمأستأنف الكلام فقال « نور على نور ٠٠ » أى لأن الزيتون نور على النور والزجاجة وهى القلب ، والزيتونة المعـرفة » يقول : كما أن دهن القنديل من شـجرة الزيتونه كذلك دهن القلب من شجرة التوحيد ، وشجرة التوحيد هى التى ذكرها الله تعالى فى القرآن « و مثل كلمة طيبة ، كشجرة طيبة » ٠ وهى التوحيد أصـلها ثابت فى قلب المؤمن وفرعها فى السـماء وهو العرش « تؤتى أكلهـــا » يعنى ثمرها كل حين كل ساعة باذن ربها ، نقول لا تثمر الا باذن ربها ٠

واما تفسير قوله مباركة فان قصتها فى ذكر قصة طوبى ، وسنذكره فى موضعه ان شاء الله مع سمتها التى ذكرنا .

وأما تفسير لا شرقية ولا غربية فذلك أن الله عز جل حيث أهداها الى آدم يوم اهداها غرسها فى قلعة من الأرض ولم يكن يومئذ حيطان توارى عنها الشمس ولا ظل وكانت الدنيا فيافى وبرارى اهدى اليه حبة من حبات ثمر شجرة طوبى حين تاب عليه وقيل له يا آدم : ان فيك داعية تدعوك الى جوهرها ولا بد لك من اتباعها وهى جوهرة الثواب وهى التى دعتك الى أن اخرجتك من جوارى واسكنتك جوهرتها وهى الأرض ، وهى كما دعتك ان ترجع الى جوارى ودارى لأنها تحب جوهرتها وتطمئن اليها وهى الأرض ، وتنسيك الآخرة فرحمتك يا آدم وزودتك هذه الحبة لأنها من الجنة لتكون داعية الى جوهرها وهى الجنة ، كما ان جوهرة التراب تدعوك اليها وهى الأرض فخذ هذه يا آدم واغرسها فغرسها آدم فلما نبتت واستغلظت واخرجت شطأها فازدهرت واستوت على ساقها اعجب آدم عليه السلام نباتها وكانت اذا طلعت الشمس طلعت عليها واذا غربت غربت عنها فأينعت وازدهرت وأورقت وأخضرت وتسنبلت وأثمرت وأخرجت على كل ورقة منها سمة منقوشة بالسوية « لا اله الا الله » فلما نظر اليها أعجب بها وقال ليتنى أعرف اسمها ، فقيل له : يا آدم هذه شجرة الزيتون ، قال يارب ولم سميتها شجرة الزيتون ، وهى من شجرة طوبى ، قال : لانى زودتك بها يوم تبت عليك فالزاى زاى الزاد والياء ياء اليوم ، والتاء تاء التوبة ، قال : يارب فما الواو الذى فيه قال : ذلك علامة السمة التى وسمت بها امها ، وهى طوبى فأخرجت هذه تلك السمة قال : وما سمتها ، قال سمة طوبى أنى انا الله ، وسمة هذه هذا المنقوش على اوراقها وهو لا اله الا الله قال : فما هذه النون فى عقبها ؟ قال : ذلك علامة النور الذى وضعت فيها ، فان فيها نورا يضىء منها ، وهو الذى قال : يكاد زيتها يضىء ، ولو لم تمسسه نار . رجعنا الى ما كنا فيه فشبه دهن شجرة القلب وهى المعرفة بدهن شجرة الزيتونة التى لا شرقية ولا غربية ،

وهى التى غرسها آدم عليه السلام يومئذ ، يقول :

«كما أن الزيتونة اذا كانت بتلك الحال يكون اجود لثمرها واحسن كذلك يكون ثمرة شجرة المعرفة أحسن وأجود اذا كانت لا شرقية ولا غربية فشمس الزيتونة شمسنا هذه وشمس شجرة المعرفة نظر الله الجميل اليها كل يوم بكرة وأصيلا ، وليس فيما بينه وبينها شيىء يمنعه عن النظر اليها ، ذلك أنه اذا كان بين نظره وبين الشجرة هوى أو ذنب أو شىء لم يقع النظر على الشجرة ، كما انه اذا كان بين الشجرة وبين الشمس حائط او ستر لم يقع عليها الشمس ، وبقيت تحت ظل الحائط فسقمت وذبلت وتناثرت أوراقها واصفرت وتغيرت عن حالها وما اخرجت من الثمار لخرجت نكدا لا مذاقة لها وخيف عليها اليبس ، ولذلك قيل ان الزيتون لا يستقر فى بطن المنافق حتى يتقىء ولا يطيق أكله الا مؤمن طيب لأنه من طوبى وطوبى من الجنة ولا يستقر ثمر الجنة فى بطن المنافق (١) .

وقد نقل رأى الحكيم فى تفسير هذه الآية بعض مشاهير المفسرين مثل القرطبى فى تفسيره ، والشوكانى فى كتابه .. فتح القدير

(ب) المحدث :

ظهرت عناية الحكيم الترمذى بالحديث منذ صباه الباكر ، فقد كان أبوه محدثا ، وروى عنه احاديث كثيرة فى كتبه المختلفة ، وقد كانت أمه كذلك ذات اهتمام بالحديث ، وروى عنها حديثا فى كتابه الرد على المعطلة (٢) وكذلك كان جده ولعله جده لأمه ، هذا الجو الأسرى العام الذى احاط بالحكيم منذ صغره لفت نظره منذ الصبى الى طلب الحديث رواية ودراية ،

---

(١) راجع كتاب غور الامور مخطوط اسعد أفندى رقم ١٣١٢ من ورقة ١٠٢٣ حتى ورقة ٢٦ ، وراجع كتاب الاعضاء والنفس مخطوط اسعد رقم ١٤٧٩ من ورقة ١٤٧ أ حتى ورقة ١٤٩ أ وكذلك مخطوط باريس رقم ٥٠١٨ ورقات .
(٢) مخطوط الاسكندرية ورقة ٨٨ ب .

وقد أخـذ عن كثير من شيوخ المحدثين فى عصره ، وقد تبين من تتبـــع شيوخه من المحدثين انهم بلغوا السـبعين ومائة ، وان دل ذلك على شيئ فانما يدل على مدى العناية اولاهتمام اللذين اولاهما الحكيم بعلم الحـديث ، وليس عجيبا بعد ذلك ان يلقب بالمحدث فقد اضفى عليه ذلك الوصـف كثير من الذين ترجموا له ويصفه الذهبى فيما يصفه بقوله « الحافظ » (١) وقال عنه ابو نعيم : كتب الحديث مستقيم الطريقة ، يرد على المرجئة وغيرها من المخـالفين • تابع للآثار (٢) ويقول عنه السلمى : كتب الحـديث الكثير ورواه (٣) •

وقال عنه ابن السبكى : المحدث •• سمع الكثير من الحديث بخراسان والعراق (٤) وقد نقل ابن حجر ما قاله عنه ابن النجار فى ذيل تاريخ بغداد فقال : كان اماما من ائمة المسلمين ، له المصـنفات الكبار فى أصـول الدين ومعانى الحديث وقد لقى الأئمة الكبار وأخذ عنهم ، وفى شيوخه كثرة (٥) •

وقال عنه شارح الرسالة القشيرية انه من أقران البخارى وفى شيوخه كثرة (٦) وقد أخذ عنه الحديث جماعة من علماء خراسان رووا عنه كتـابه المشهور •• نوادر الاصول فى معرفة اخبار الرسول

وقد انعكس المام الحكيم الشامل بالحديث رواية ودراية على طـريقة تفكيره وهيأ له اطلاعه الواسع على الحديث مادة غزيرة يشـرح بها آراءه ، ويقرر افكاره فى التصوف ، ولا يخلو كتاب من كتب الحكيم من مجموعة من الاحاديث مروية بأسانيدها بل لا تخلو صفحة مما كتب من حديث او اكثـر

---

(١) تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ١٩٧ •
(٢) الاولياء جـ ١٠ ص ٢٣٢ طبع الخانجى •
(٣) طبقات الصوفية ص ٢١٧ تحقيق شريبة •
(٤) طبقات الشافعية جـ ٢ ص ٢٠ الطبعة الاولى •
(٥) لسان الميزان جـ ٥ ص ٣٠٨ طبع حيدر آباد •
(٦) شرح الرسالة القشيرية وشرحها المسمى نتائج الأفكار القدسـية جـ ٢ ص ١٦٤

يرويه فى تأييد او شرح الفكرة التى يتناولها ويحاول تجليتها ، وبالاضافة الى هـذا فقد ترك كتبا تقوم اساسـا على الحديث جمعـا ورواية او رواية ودراسة وهذه هى الكتب التى خصصت باكملها للحديث او كانت دراسـة لأحد موضوعاته :

١ ـ المنهيات وكل ما جاء من حديث بالنهى مخطوط ٠

٢ ـ نوادر الاصول فى معرفة أخبار الرسول مطبوع

٣ ـ الفرق بين الآيات والكرامات مخطوط

٤ ـ الأمثـال من السنة جزء من كتاب الأمثـال من القرآن والسنة (مخطوط) ٠

والمستعرض لآثار الحكيم فى الحديث يرى انه لم يسلك الطريق التى تعارف عليها المحـدثون من قبل والتى تقوم على جمع الاحاديث وانتخابهـا وتبويبها ، بل اتجه اتجاها اخر نابع من منهجه العام الذى أخذ به فى تآليفه القرآنية ، ذلك أنه كان يعمد الى موضوع من الموضوعات فيستوعب الاحاديث التى جاءت فيه ، ويحشدها جميعا فى كتاب واحد حتى لا يدع مجالا للشـك فى صحة ما يدعو اليه ، واحيانا يكون عمله قاصرا على جمع الاحاديث فقـط من غير ان يتبعها بشرح واستنتاج كفعله فى كتاب الرد على المعطلة ، الذى حشد فيه كل ما وقع عليه من احاديث ترد ما ذهب اليه المعتـزلة من قولهم بنفى الصفات وتؤيد وجهة نظر أهل السـنة الذين يثبتون الصـفات لله سبحانه ، وواضح أن موضوع الكتاب داخل فى علم الكلام وهو اثبات الصفات او نفيها ، ولكن الجهد الذى بذل فى جمع الاحاديث وروايتها بأسانيدها هو جهـد محدث ٠

اما المجموع الثانى فهو ، كتاب المنهيات وكل ما جاء من حديث بالنهى والذى يوحى به عنوان الكتاب أن الحكيم عمد الى طائفة من الاحـاديث التى تناولت امرا منهيا عنه وحشدها جميعا فى سياق واحد ، الا أنه اتجه هنـا الى احصاء الأمور المنهى عنها مبينا اسباب النهى كاشـفا عن الاضرار التى

تلحق بالشخص اذا ما خولفت هـذه المنهيات ، وعمله هنـا على العكس من المجمـوع الأول ، فهنـاك ترك الاحاديث تعطى القارىء ما يريد المؤلف أن يقوله بدون تدخل منه بشرح أو استنتاج ، وهنا يتدخل شارحا موجها معللا لماذا كان النهى عن أمر من الامور •

اما المجموع الثالث فقد طبع فى تركيا منذ حوالى تسعين عاما وبالتحديد سنة ١٢٩٣ هـ وقد عمد الحـكيم فى هذا الكتاب الى جمع مائتين وواحـد وتسعين حديثا اعتبر كلا منها أصلا من الأصول التى يحتاج اليها المسلم فى سلوكه وسعيه ومعاملاته وعباداته ، وهو هنا يأتى بالحـديث ثم يأخذ فى شرحه شرحا وافيا مستفيضا يستخلص منه ما يراه من معان وأسرار ، وفى شرحه هذا يخوض فى كل المعارف الدينية الظاهرة والباطنة • ويكشـف عن أسرار النفس والقلب وجوهر العبادة والسلوك ، وينتقل بين أنواع العلوم من فقه الى تفسير الى توحيد كشف عن خبايا النفس وأسرار القلوب ، وأنواع المعارف والعطايا الالهية ، والاتجاه الصوفى فى كل هذه المجالات هو الميـزان الذى يزن به الامور ، ويحكم به على سـير القلوب وسيرها ، ومن خـلال عرضه لهذه الأصول قد ألم بكل الأفكار الصوفية التى أخذ على عاتقه تجليتها والأبانة عن مراميها مثل الولاية والاولياء وطبقاتهم والوحى والحديث والالهام والفراسة وما الى ذلك مما لا يسمح المجال هنا بحصره •

والحكيم رأى فى قبول الحديث ورفضه جاء به فى كتابه نوادر الاصول فقد عقد فصلا عن صدق الحديث افتتحه بحديث يرويه عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا حدثتم عنى بحديث تعرفونه ولا تنكرونه قلته اولم أقله فصدقوا به ، وأنى أقول ما يعرف ولا ينكر ، واذا حدثتم عنى بحديث تنكرونه ولا تعرفونه ، فكـذبوا به فانى لا أقول ما ينكر ولا يعـرف » وفى اتيان الحكيم لهذا الحديث فى صدر الأصـل ٤٤ ما يدل على رأيه فى تقييم الأحاديث ودوارنها بين القبول والرفض ، فهو يروى ان الحديث الذى يقبله

العقل ويستسيغه تصح نسبته الى النبى صلى الله عليه وسلم قاله او لم يقله وأما ما برفضه العقل ويأباه فلا يقبل نسبته الى النبي صلى الله عليه وسلم المبد. الذى قرره الحكيم فى مجموعه مقبول « الا أن المشكل فيه قوله « قلته أو الفقهاء يستغلون معارفهم الفقهية لنيل مغنم دنيوى ، أو الحصول على كسب ويبين الحكيم هذا فيقول :

« أن الرسول وان لم يقل لفظ الحديث المروى الا أن أصله ومعناه وارد عنه قطعا ، ما دام ليس فيه ما يصادم العقل ، وقد جعل المقياس فى ذلك اطمئنان القلب لما يروى وعدم اطمئنانه ٠

ثم أخذ فى تطبيق هذا المبدأ بان أورد عددا من الأحاديث المقبولة لتلقى القلب لها بالقبول ، وعددا من الاحاديث المرفوضة لموقف القلب منها ٠٠ موقف الرفض والانكار (١) وقد يقوى وجهة نظر الحكيم هنا الحديث المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى يقول فيه :

« استفت قلبك وان افتاك الناس وأفتوك » ٠

(ج) الفقيه :

لم ينتسب الحكيم الى مذهب من مذاهب الفقه الاسلامى المشهورة وان كان ابن السبكى فى كتابه طبقات الشافعية قد عده من علماء الشافعية ولكن المتتبع لكتابات الحكيم فى حقل الفقه لا يجد فيها أشارة من قريب او من بعيد الى انتسابه لهذا المذهب او ذاك وتجد فى بعض رسائله نقدا لاذعا لطائفة من الفقهاء يستغلون معارفهم الفقهية لنيل مغنم دنيوى ، او الحصول على كسب مادى وهذا النقد نابع من اتجاهه العام الذى يرى ان المعرفة لا بد ان تنعكس آثارها على منهج العالم وسلوكه ، والعلم النافع هو الذى يهدى صاحبه الى الطريق الموصل الى الله سبحانه ومعرفته ، وقد عاب الحكيم أصنافا من العلماء

---

(١) نوادر الأصول الاصل ٤٤ ص ٥٩ ٠

يفنون حياتهم فى دراسة خلافات الناس ومشاكلهم لان ذلك يشغلهم عن الهدف الأول للمعرفة وينعكس أثر هذه المشاكل على سلوك الدارسين لها حتى انهم لا يجدون لأنفسهم فرصة للتدبر والتمعن فى آيات الله والاهتداء بهدى النبى صلى الله عليه وسلم خلال اقواله وأفعاله لذلك تظلم قلوبهم وتقسوا فلا تستشعر برد الهوى • ولا تبصر ضياء المعرفة وقد ذكر الحكيم أصحاب أبى حنيفة كأمثلة لهؤلاء الصنف من العلماء الذين يضيعون اعمارهم فيما لا ينفع من العلم ولا يهدى صاحبه الى الحق ، وقد ذكر طائفة من المسائل التى تبين عن هذا المذهب المزموم ، وتعتبر استغلالا سيئا للعلم ، وسماها المسائل العفنة ، حشد فيها طائفة من الامور التى يلجأ الفقهاء فيها الى استعمال الحيل الخروج ظاهريا من الالتزامات المترتبة على هذه الاحكام سواء كانت التزامات ادبية او مادية ، ويقصد بعرضها مجتمعة ان يعطى امثلة لسوء استغلال المعرفة بالاحكام الفقهية •

وقد كتب الحكيم عددا من الكتب والرسائل تتصل مباشرة بموضوعات فقهية الا أن الملاحظ عليها عامة أنه يعنى أولا : بابراز الآثار والأهداف الروحية التى تعود على المرء من القيام بألوان العبادات المختلفة بصرف النظر عن التفريعات التى أولاها الفقهاء عناية خاصة •

وثانيا : يحاول ان يكشف عن العلل التى من أجلها جاءت العبادات على الصورة المعروفة •

وثالثا : يبنى أغلب هذه التعليلات على ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم من احاديث تتعلق بالموضوع الذى يناقشه •

رابعا : يتحدث عن الآفات التى تعطل هذه العبادات عن تحقيق الأهداف الروحية المقصودة والآثار النفسية المترتبة عليها •

وليس عسيرا على الدارس ان يلمس سيادة التفكير الصوفى على هذا الجانب من كتابات الحكيم كما هو الحال بالنسبة للجوانب الأخرى والحكيم يرى ان هناك فرقا بين العلم والفقه وبين العالم والفقيه •

« فالفقـــه هو معرفة الشيء بمعناه الدال على غيره والعـــلم هو تجلي الاشياء له بنفســها ولذلك يوصف الله تعالى بالعلم ولم يوصف بالفقه (١) والذى يفهم مراد الله فى الأشياء حسب ما يمنحه من توفيق فى تعظيم أمره سبحانه واجتناب نهيه هو الفقيه فى اصول الدين وفروعه ٠

والفقه فى الحقيقة هو فقه القلب ٠ كما قال النبى صلى الله عليه وسلم « رب حامل فقه لا فقه له ورب حامل فقه الى من هو .فقه منه » ٠

والفقه فى الدين هو النور الذى يقذفه الله تعالى به فى قلب عبده المؤمن مثل السراج يبصر به ، والفقيه الذى نور الله قلبه بنور البصر هو الذى .شار اليه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : « اذا أراد الله بعبد خيرا فقهه فى الدين وبصره عيوب نفســه وبصره بداء الدنيا ودوائها » ، واســتنباط الفقيه فى الاحكام هو استنباط المسائل على موافقة السنة واقامة الشريعة واســتنباط للفقيه فى باطن العلم هو استنباط الخواطر على موافقة الحقيقة ، ومشــاهدة الربوبية ، ويتضح الفرق بينهما فى استنباط معنى فى الباطن والظاهر لآية ما يوجب ظاهرها حكما ويكون تحت ظاهرها من العبارة التى فى باطنهـــا اشارة وعلم فيستنبط الفقيه ما يوافق حجة الله تعالى ، ويستنبط الحـــكيم ما يوافق مراد الله تعالى ، ويهدى الى محجته (٢) ٠

ولهذا يرى الحكيم .ن ادراك علل العبادات انما يـ.تى م نطريق الحكمة التى يمنحها الله عباده (٣)

ومؤلفات الحكيم فى الفقه وفلسفته واصول احكامه هى :

١ ـ اثبـــات العلل فى الامر والنهى مخطوط ولى الدين وخراجى اوغلو وبرلين ٠

---

(١) مخطوط ليبزج ورقـــة ٦٦ ٠
(٢) بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩
(٣) اثبات العلل مخطوط ولى الدين ورقة ٣٨ ٠

٢ ـ الحج واسراره مخطوط باريس •

٣ ـ سبب التكبير للصلاة مخطوط خراجي اوغلو •

٤ ـ شرح الصلاة ومقاصدها طبع سنة ١٩٦٥ القاهرة بتحقيق وعناية الأستاذ حسنى زيدان وتوجد منه نسختان مخطوطتان بباريس واسعد افنـدى •

٥ ـ كيفية الوضوء والسواك والصلاة او علل الشريعة وهو مخطوط وتوجد منه نسختان احداهما فى ولى الدين والأخرى فى القاهرة •

٦ ـ المسائل العفنة مخطوط ، وتوجد منه ثلاث نسخ واحدة بالظاهرية والثانية فى ليبزج ، والثالثة فى اسماعيل صائب •

وقد سماها الدكتور على حسن عبد القادر والبروفيسور آبريرى : المسائل الغضة ، وجاء الدكتور عثمان اسماعيل يحيى فى مقدمة كتاب ختم الاولياء فسماها المسائل « العفة » وليست واحدة من كلتا التسميتين صحيحة، والصحيح العنوان الذى اثبتناه وقد جاء صراحة فى الورقة الأولى من المخطوط •

(و) ـ المتكلم :

لم يكتب الترمذى الحكيم كتابا مستقلا فى مباحث علم الكلام كما فعل فى غيره من فروع المعرفة فى عصره اللهم الا رسالة مقتضبة فى موضوع الامامة سماها « الرد على الرافضة » (١) يناقش فيها فكرة الخلافة ويرد على الرافضة رفضهم لامامة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما •

اما كتابة الرد على المعطلة (٢) الذى أشرنا اليه فى تناولنا لمنهجه كمحدث فهو وان كان يتناول موضوعا من موضوعات الكلام وهو اثبات

---

(١) مخطوط ولى الدين •
(٢) مخطوط بلدية الاسكندرية •

الصفات لله سبحانه كما يرى أهل السنة ويرد وجهة نظر المعتزلة فى نفى الصفات ، ويسميهم معطلة كما يبدو من عنوان الكتاب المذكور . نقول على الرغم من ذلك فان الحكيم تناوله من وجهة نظره كمحدث وكان عمله فيه عملا يستهدف اولا وقبل كل شىء جمع الأحاديث التى تقصد وجهة النظر السنية المثبتة للصفات الى الله سبحانه ومن هنا يمكن القول بأن الحكيم كان يعتنق مذهب أهل السنة فى علم الكلام وان لم يخض فى مباحثه كما خاضوا .

وقد اكثر الحكيم فى كتاباته من الكلام على التوحيد والموحدين الا أنه لم يبحث هنا مباحث علماء الكلام وانما كان حديثه عن التوحيد الذى يرضاه الصوفية ويعتقدون انه التنزيه الحق الذى يليق بالخالق سبحانه ويصح به توحيد الموحد وذلك اذا لم ير مع الله شيئا سواه وهذا الاتجاه قد يعبر عنه احيانا بالفناء ، وهو الذى قاد بعد ذلك الى فكرة الاتحاد عند متأخرى الصوفية وان كان الحكيم لم يتناول فكرة الاتحاد بالبحث أو المناقشة الا أن ما قاله عن التوحيد يعتبر مقدمات لها وخطوات فى سبيلها .

وقد تناول الحكيم الى جانب ما سبق امورا مفردة اخرى تعتبر من مباحث علم الكلام وأشار اليها فى كتاباته اشارات محددة تنبىء عن رأيه بوضوح وجلاء وهذه الامور هى :

(١) رؤية الله سبحانه .

(٢) الايمان هل هو مكتسب أو موهوب وهل يزيد وينقص وهل الاسلام والايمان اسمان لأمر واحد او لشيئين مختلفين ؟

(٣) الجنة والنار هل تفنيان ، والفرق بين الهلاك والفناء .

(٤) الخير والشر ونسبتهما لله او للعبد ..

وقد عرض الكرامات والمعجزات فى كتابه « الفرق بين الآيات والكرامات » وغيره خاصة « كتاب ختم الاولياء » الا انه فى بحثه لهذا الموضوع لم يتناوله من وجهة نظره كباحث فى علم الكلام وانما كان بحثه له بحثا صوفيا خالصا .

ومع انه عرض للأمور التى أشرنا اليها عرضا مختصرا نوعا ما الا أنه يبدو فى بحثه لها نظرات طريفة لم تعهد على ألسنة المتكلمين بالصورة التى عرضها ، ففى مناقشته «للايمان هل مكتسب أم موهوب» يقول : « انه مكتسب لأنه فعل العبد ولولا ذلك لم يستحق الثواب ، اما ما نال العبد به الايمان ، وهو العقل فانه عنة من الله سبحانه لعبده وقبول العبد ، وطمأنينة نفسه الى ما جاء به العمل واورده على قلبه ، فانه مكتسب ، ويستحق به الثواب » (١) .

ويرى أن الجنة والنار وعاءان للرحمة والعقاب يتجددان فى جديد كامل يوم لتجدد حركات العباد ومقاصدهم ويتلونان بألوان النعمة والعذاب ، ولهذا لا يجوز عليهما الفناء وليس ذلك معارضا لقوله تعالى « كل شىء هالك الا وجهه » (٢) لأن الهلاك غير الفناء ، فهما يهلكان ولا يفنيان » (٣) .

والخير والشر من الله ربوبية ومن الخلق حركات والله تعالى غير منقطع ربوبيته والعباد غير منقطع حركاتهم ماداموا أحياء ، والله تعالى غير مطلوبه بالربوبية ، والعبيد مطلوبون بحركاتهم » (٤) .

رؤية الله :

ويرى الحكيم ان الله تعالى يرى فى الآخرة وقد تناول هذه القضية فى ثلاث اماكن من كتاباته فى مجموع ليبزج الأول فى معرض تفسيره لقوله تعالى « لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » (٥) وهو هنا يفرق بين الرؤية والادراك ذلك أن الادراك يقتضى الاحاطة والله سبحانه

---

(١) مخطوط ليبزج ورقة ١٦٦
(٢) القصص ٢٨ اية ٨٨
(٣) مخطوط ليبزج ورقة ١٧٨
(٤) مخطوط ليبزج ورقة ١٧٨ .
(٥) الأنعام ٥ آية ١٠٣ .

لايدرك ادراك احاطة لافى الدنيا ولا فى الآخرة ولكنه سبحانه يدرك كل شيء ولهذا نفت الآية الادراك ولم تنف الرؤية وهو هنا على مانعى الرؤية فى الآخرة وأما الرؤية فى الدنيا فلا تكون ولهذا قال موسى عليه السلام لما سأل الرؤية « رب أرنى أنظر ؟ اليك قال لن ترانى ،ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا أول المؤمنين » .

أما الرؤية فى الآخرة فهى ممكنة وحاصلة للمؤمنين بمقتضى الآيات والأحاديث النبوية الأخرى (١) .

وفى الموضع الثانى أجاب الحكيم صراحة وباختصار على سؤال وجه اليه :

أيرى فى الآخرة ؟ قال : نعم ، قال : كيف يرى ؟ قال : كما يعرف هاهنا ، قال : وكيف يعرف هاهنا ؟ قال : كما يروى هناك (٢) .

وفى الموضع الثالث ناقش الحكيم فكرة الرؤية مناقشة واسعة شاملة تناول فيه الفكرة من كل جوانبها وعرض أدلة المانعين للرؤية واخذ فى بيان خطئها وفى هذا الفصل يقول الحكيم : « عمل العين فى أربعة اشياء : رؤية ونظر ، ومعاينة ، وبصر ، فالرؤية انفراج ما بينك وبين الشيء المرئى ، والنظر هو رميك بناظريك الى الشيء ، والبصر هو اثبات النور الذى هو فى العين على الدوام نظرا حتى تدرك الشيء الذى نظرت اليه ، ألا ترى أنك تقول : نظرت الى كذا فلم ابصره اى ما ادركت بهذا النور الذى به رميت من عينى ، فأما المعاينة فهو ما ملكته العين علما بالرؤية والحمد لله رب العالمين ، ثم روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله : « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : رب أرنى انظر اليك ، قال الله تعالى : يا موسى انه لن يرانى حى

---

(١) انظر مخطوط ليبزج ورقة ٢١ ب ، ٢٢ أ .
(٢) مخطوط ليبزج ورقة ٢١٥ ب .

الا مات ، ولا يابس الا تدهده ، ولا رطب الا تفرق انما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى اجسادهم ، ثم يقول : فقد أعلمك عدم الرؤية في دار الفناء وألقى عذره الى موسى حيث قال : انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ، فحل بموسى من الصعق ما حل وبالجبل بالدك ماحل يعلمه انه لا يطيق احتماله ... فلا الجبل احتمل تجليه ولا موسى عليه السلام ، ولذلك قال : تبت اليك لأنه سأل ذلك في دار فانية خربة قد تقذرت بالشرك والمعاصي ، ذهبت رؤيته في ذاك الوقت شغوفه به ووله عقله ، فلطف الله له أن ألقى اليه عذره في ترك اجابته وألجأه الى التوبة اذ تبين له ثم فزع الى التنزيه له والى التوبة .

« وقد أبت هذه الطبقة الغالبة المعطلة احتمال هذه الخطة من جود ربنا سبحانه وتعالى وكرمه ، فقالوا : ان هذه الخطة صفة من صفاته أن لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة ، واحتجوا بقوله تعالى : لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار (وهو اللطيف الخبير) ، وزعموا ان هذه صفة من صفاته فلا تنسخ ولا تتغير صفته فيكون في الدنيا بخلاف الآخرة ، فلما قيل لهم فمن عطل صفة من صفاته . أليس قد انقطع نظام توحيده لأن العباد وحدوه بجميع صفاته ، فاذا عطلت صفته فقد خرجت من توحيده ، أفتزعمون أنه حين سأل الرؤية قطع النظام وعطل صفة من صفاته ففزعوا من هذا القول ،والتجأوا الى .ن موسى عليه السلام لم يسأل رؤية العين وانما سأل شهادة القلب ، قيل لهم : فانما قال موسى عليه السلام رب أرني أنظر اليك ولم يقل أر قلبي ينظر اليك، فان كان هذا السؤال للقلب فلم تجلى للجبل ، فانكروا هذا وقالوا : انما جعل في الجبل آية من آياته فتجلت الآية للجبل . فسبحان الله ما أجرأهم على الله ، يقول تبارك اسمه : فلما تجلى ربه للجبل .. وأنت تقول : انما تجلت آية من آيات الله كفى بهذا دليلا على مكابرته وبدعته وخلافه .

قال : وحدثنا عن الآية التي احتججت بها قوله « لا تدركه الأبصار » وزعمت ان هذه صفة من صفاته ، هل غفلت أي شيء واين هو من ذاك انما

قال ، لا تدركه فتم الكلام ثم قال : هو ، وهو اسم لا صفة له ، ومن الهوية خرجت الصفات ،والىهو اشارة القلب الى المعروف الموصوف ألا ترى الى قوله هو ، ثم قال : الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ثم قال : هو الرحمن الرحيم ، ثمقال : هو الله الذى لا اله الا هو ثم قال : الملك القدوس الى قوله يشركون ، ثم قال : هو ، ثم قال : الخالق البارىء المصور فهو اصل الاسماء واليه تشير القلوب ، لأنه الذى لا يدرى كيف ، وكذلك الله تبارك اسمه لأنه الباطن وصف نفسه وسمى صفاته لدرك العباد ، وأما هو فلا يدرك منه معنى ولا صفة ، ولا تدرك الأبصار ذلك المعنى والاشارة ، فأين هذا من التجلى ، والتجلى صفة من صفاته بجلال وعظمة وبهاء ، وما أحسب ان الله صرف قلوبهم عن هذا الا أنه خيبهم ؟ ذلك فى دار البقاء وأشقاهم .

ونظرنا الى ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدنا انها متواترة فحق على كل ذى لب ان ينقاد له ولا يكذب ائمته فيكون فى ذلك ابطال الاسناد فانك اذا كذبت شاهدا فى شهادته لم يسعك أن تصدقه فى شهادة اخرى وقد سقطت شهادته وذهبت عدالته ويحق عليه ان لا يجترىء فى تأويلها ، ولا يجترىء على الله تبارك اسمه فى تأويلها تأويلا يضحك الشيطان فى قفاه فيقول اذا روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأمر الله تعالى بالحجب ان تكشف لأهل الجنة فيتجلى لهم ، وهو الزيادة فيقول : ينظر الى دلالته ، واذا قيل له فيما روى فى الحديث من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارزقنى لذة النظر الى وجهك الكريم ، فيقول : ينظر الى ما يتوجه به من الأعمال الى الله والنظر الى جاهه ، قاتله الله ما أصفق وجهه ، ولا يستحى من الله ولا من المسلمين فى مثل هذا التأويل، فهو كهيئة العابث اللاعب بحقوق الله تعالى المستهزىء بأمر الله عز وجل ، لم آمن ان يكون فى قلبه بدعة نفاق عظيم ، وقد اتفقت على حديث الرؤية عدة من الصحابة كلهم أئمة رضى الله عنهم منهم عمر بن الخطاب ، وصهيب ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وجرير بن عبد الله البجلى ، وأبو سعيد الخدرى ، وجابر بن عبد الله ، ومعاذ بن جبل ، وثوبان ، وحذيفة وأنس ابن مالك وأبو أمامة وزيد بن ثابت وعمار بن ياسر وأبو موسى

الاشعرى وعمـارة بن روبية وابو هريرة وبريدة الاسـلمى وابو برزة وعبد الله ابن جرير الزبيدى ، فهؤلاء كلهم احد وعشرون نقيبا رووا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اثبات الرؤية فى القيـامة وفى الجنة فمن رد هذا فانمـا يقصد تكذيب الأئمة ومن تأولها بهذه التأويلات فهو قاصد لتكذيبهم ولكنه متجمل منافق الأترى أنه يعطل فى اخر أمره ، والعجب من يتلو فى الكتاب من قوله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » يقول ناظرة الى ثوابه وناظرة الى علاماته وناظرة الى مشاهدته بقلوبها فيقال له : صرح الكتاب باسم الرب يقول الى ربها فكيف يجـوز أن يقول ، تأويل الرب ثواب الرب وتأويل الرب علامات الرب ، فهلا قال : الى ثواب ربها ناظرة والى علامات ربها ناظرة، فأية مكابرة اعظم من هذا،وقول الآخر ينظر الىمشاهدته بقلبه، فانما قال وجوه، ثم قال الى ربها فاثبت ، ولم يقل الى مشاهدة ربها ناظرة يعلمك بقوله : الى ربها اى الى رب الوجوه ليعلمك ان النظيـــر للوجه ، وحظ النظر من الوجـه للعين لا للفم والأنف والأذن ، فقوله « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة »أن النظر للوجوه فلا يشك ذو عقل ان النظر للعين من بين سـائر الوجوه ، وانما أثبت فى هذه الآية النظر للوجه لا للقلب ثم قال : الى ربها أى الى الرب تعالى، فكيف يجوز لقائل بعد هذا أن يقول بمشاهدة القلب لولا عمى القلب عن خطاب الله تعالى ، وقال ابن البلخى فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم ستـرون ربكم يوم القيامة لا تضامون فى رؤيته كما لا تضـــامون فى رؤية الشمس فى يوم صحو ليس بذى سحاب ، ورؤية القمر هذه رؤية القلب علم يقين فهذه مكابرة لأن الرسـول صلى الله عليه يقول : ســترون ربكم وهو يقول هذا علم يقين ، وزعم ان القمـر مدور محدود فهو يرى كما يرى القمـر مدور ، وهل يجوز هذا على الله تعالى ، وقال ان العين تدرك الالوان وان ربنا سبحانه وتعالى ليس بذى لون فتدركه العين ، فيقـــال له انك زورت هـذه الأشياء فى نفسك فلم يكن عندك من يرد عليك بالحق فيسكتك ، وهكذا يكون علم النفس خصومات ومجادلة وتأويلات منكرة منكوسة •

فأما : ان الشـمس والقمر مدوران محـــدودان يوهم بذلك أنه يرى

كمايرى القمر والشمس ثم ينفيه ؟ فمعاذا بالله أن يكون تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تأولت ، ولكنه صلى الله عليه وسلم انما جاء بذكر الشمس والقمر انه اذا كان فى يوم صحو لا سحاب فيه وليلة مقمرة لا سحاب فيها فلا ضيم على الناظر اليها وهو النقصان لانه لا يحول بينه وبينها شىء حتى تضام فى رؤية ضوئهما ، فكذلك نرى ربنا سبحانه رؤية لا يحجبنا عنه شىء والكفار محجوبون ، وهو قوله : « كلا انهم عن ربهم يومئذ المحجوبون » فان كان الكافر محجوبا عنه والمؤمن محجوبا عنه فما فضل المؤمن عليهم يومئذ ، وما هذا الذكر الذى ذكره فى التنزيل ، فلم يذكر النبى صلى الله عليه وسلم الشمس والقمر عند رؤيته يريد به التدوير والحد ، انما اراد رفع الحجاب ورؤية المؤمنين لا يحول بينهم وبينه شىء من الحجاب ، كما حال السحاب هاهنا ألاترى أنه ذكر الصحو السحاب هاهنا، فمثل هذا الادخال هو كالهرب من الحق ، وأما قوله : ان العين حظها الألوان ، وربنا سبحانه وتعالى ليس بذى لون فتدركه العين فقد أحال القول فى شأن الالوان ، لأن الالوان انما هى خمسة بياض وسواد وحمرة وصفرة وخضرة فهذه خمسة ليس لها سادس ، والزرقة والشبهة والغبرة وما اشبهه ليس بلون انما هى مزاج مأخوذ من لون بعضا ومن لون آخر بعضا فأما الألوان الأصلية فهى خمسة وربنا سبحانه غير موصوف بهذه الالوان وهو موصوف بالنور والنور ليس بلون والعيون لها حظ من النور ، والله سبحانه نور الأنوار قال الله تعالى : « الله نور السموات والأرض » فاذا كان يوم القيامة « اشرقت الأرض بنور ربها »، والأرض تبدل ، ووجدنا معنى التبديل فى هذه الكلمةحيث قالجل وعز وأشرقت الأرض بنور ربها ،والأرض تبدل بأرض طاهرة، ولميسفك عليها دم حرام ولا نجست بالمعاصى حتى يشرق نور الله عز وجل علي تلك الأرض الطاهرة ، فأيما مؤمن توفاه الله عز وجل طيبا فبذلك النور يأمن ويطمئن وهو قوله تعالى : الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم » وأيما موحد لقى الله تعالى غير طيب ثابت نازع ؟ فاذا رأى اشراق ذلك النور ركبته الاهوال فلسنا من تدوير الشمس والقمر فى شىء ولا فى

ادراك العيون الالوان انما يرى العباد يومئذ عظمته وجلاله وعزه وبهاه ونوره وجماله لا يحول بينهم وبين رؤيته حجاب ولا شيء كما لم يحل بين الناظرين الى الشمس في يوم صحو شيء من سحاب أو غيم فيصيبهم الضيم وهو النقصان في الرؤية ، فاذا عاين الموحدون عظمته وعزه وجلاله وبهاه ونوره وجماله نالهم بره وعطفه وكرمه وجوده ومجده وقد كانوا يدعونه ايام الحياة بهذه الاسماء ويصفونه بهذه الصفات يا عظيم يا عزيز يا كريم يا ذا الجلال والجمال والنور والبهاء يا بر يا عظيم يا كريم يا حليم يا كبير يا رحيم صيروا لهم غيانا ومشاهدة ليتباشروا بمعبودهم الذى عبدوه في الغيب ، وآمنوا به وقد اثنى عليهم في تنزيله فنوه بأسمائهم فقال : « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة » فعظم شأن هذا الايمان بالغيب وشكرهم في الموقف وفي دار السلام فتجلى لقلوب الأولياء الأصفياء في دار الدنيا للنجوى والصفاء وتدبير الربوبية وتجلى لأعين الموحدين في الموقف تجلى العظمة والسلطان والهيبة والملك (للمجازاة للجزاء) وتجلى لأعين أهل الجنان في دار الزيارة على الوداد والقربة والبشر والعطف والأنس والأفراح والبهجة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بين اهل الجنة وبين ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنان عدن (١) .

ويبدو من هذا الفصل الطويل رأى الترمذى الحكيم بوضوح وجلاء في امكان رؤية الله سبحانه المؤمنين في الجنة وان هذه الرؤية جاءت بها الآثار وأخذت من آيات القرآن الكريم التى استشهد بها .

زيادة الايمان ونقصانه :

ناقش الحكيم فكرة زيادة الايمان ونقصانه وكذلك فكرة ان الاسلام والايمان واحد أو امران مختلفان ، والذى يؤخذ من مناقشته للفكرة الأولى أنه

---

(١) مخطوط ليبزج الاوراق ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٢٢ .

يرى أننا حينما ننظر الى الايمان باعتبار حقيقته وذاته فهو لا يزيد ولا ينقص واما اذا نظرنا الى تأثيره وأثره فأنه يجرى عليه حينئذ الزيادة والنقصان بسبب ما يعترى قلب المرء من أغراض واهواء تحجب .شعة الايمان ان تنطلق فتوجه سلوك الانسان وتصرفه ، ويضرب لذلك مثلا موضحا بالشمس وشعاعها فيقول : دخلت بين متنازعين ، يقول احدهما ان الايمان يزيد وينقص ويقول الآخر : انه لا يزيد ولا ينقص • فأشرت الى عين الشمس فقلت : ما هذه ؟ قال : هذه شمس •

فقلت : تنقص أم تزيد ؟

قال : لا

ثم أشرت الى اشراقها على الأرض • فقلت : ما هذا ؟

قال : هذه شمس •

قلت : تزيد وتنقص ؟

فتحير •

قلت : أليس اذا كان بينها وبين الأرض غيم أو سحابة رقيقة نقص من اشراقها فاذا ذهب الغيم زاد فى اشراقها •

قال : نعم

قلت : أفلست تسميه شمسا ؟ وهو يزيد وينقص ، وتلك العين تسميها شمسا وهى لا تزيد ولا تنقص ؟ •

قال : نعم

قلت : أفليس بقدر ما تنقص يدخل النقص فى جميع بنى آدم والزروع والثمار ، واذا زاد اشراقه عملت حرارته فى زروعهم وثمارهم ؟

قال : نعم

قلت : فكذلك الايمان بمنزلة الشمس التى قد برزت لك على قلبك من النور ، وأشرق على صدرك ، فاذا حال بينها وبين القلب غيوم الشهوات والهوى نقص الاشراق ، فدخل الوهن فى القلب وفى النفس ، وتعطل عن



العمل ، واذا ذهب الهوى والشهوة زاد فى اشراقه واستقر القلب وقويت النفس للعبودة فمن الاشراق يزداد وينقص ، فاى تنازع بقى هاهنا ؟

فمن قال : يزيد وينقص بهذا المعنى ، وهذا مصيب فى قوله .

ومن قال : لا يزيد ولا ينقص لأنه متى نقص دخل الشك . فأما الزيادة التى ذكر الله تعالى فى تنزيله يزيده نورا الى نور فيزداد قلبه بذلك النور الزائد ؟ ايمانا اى استقرارا وثباتا (١) .

وأما بالنسبة لكون الاسلام والايمان أمرا واحدا او امرين متباينين فانه يرى انهما نوعان فى عقد واحد لأن الايمان يعنى الاستقرار والطمأنينة ، والاسلام يعنى التسليم لأمر الله ونهيه ، فعقد الاسلام والايمان وقبولهما واحد . ولكنه عقد وقبول لنوعين وقد وضح هذا وفصله بقوله : ووجدتهما : « يعنى الشخصين المتنازعين » مختلفين ، فقال احدهما : الايمان والاسلام واحد ، وقال الآخر : شيئان متباينان . فقلت لهما : انى وجدتهما اسمين معناهما واحد لا يزيد احدهما على الآخر وان دقت تلك الزيادة ولو كان كما زعمت لكان فضلا وهذيانا ..

فمن اختار الله تعالى واجتباه فمبتدأ أمره أن يطهر قلبه بماء الرحمة حتى يدعه كالشىء المغسول ، ثم احياه بنور الحياة وذلك قوله « أو من كان ميتا فأحييناه » ، فانما كانت بضعة من لحم (يعنى القلب) لها عينان لاتبصران وأذنان لا تسمعان فلما طهره طهره بماء الرحمة صلح لنور الحياة فلما جاء نور الحياة حيى قلبه بالله ثم جاء نور الهداية فهداه وذلك قوله : « وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس » فذلك نور المعرفة ، ثم جاء نور العقل فبذور العقل عقل نور المعرفة عن النكرة ، فاستقر لأنه زينة ، ثم جاء نور الحب فقيده فعندها صار محكما فاعترف بلسانه ، بلا اله الا الله مع أنوار المعرفة التى

---

(١) ما الايمان والاسلام والاحسان مخطوط ليبزج ورقة ٩١ .

فى باطنه وعقـــد قلبه على أنه ربه ، وهو له عبد فحشـو هذا العقد انه ربه يملكه ويحكم فى أموره ما يشـاء ، وأنه له عبد ينتهى الى جميع ما يأمره ، ويرضى بجميع ما يحكم به عليه انقيادا ، فاستحق ما هاهنا اسمين : مؤمنا ، ومسلما ، فاما اسم المؤمن فلأنه استقر واطمأن عن التردد والجولان لطلب ربه ، واسمه المسلم لأنه سلم نفسه اليه فى جميع ما يأمره فمن قال من المتقدمين الايمان والاسلام واحد فانما قاله : لأن ذلك منه في عقد واحد ، فأما ان يكون نوعا واحدا ملا ، وكيف يكون الاستقرار والطمأنينة والتســليم لأمره ونهيه نوعا واحـــدا ؟ •

ومن قال ها هنا : واحد ، وخفى عليه هذه الصفة ، فقد غلط فيه فالعقد واحد والقبول واحـد ، ولكنه عقد وقبول لنوعين ، ثم اقتضى العبد من يوم آمن وأسلم فى جميـــع عمره ان يفى بهذا العقد والقبول ، ووضع بين يديه العبودية نوعين : امر يحـــكم به عليه ربه ، وأمر يأمره به ربه ، فأما الذى يحكم به عليه فالأحوال من الفقر والغنى ، والعز والذل ، والصحة والمرض وكل محبوب ومكروه ، فاقتضاه الوفاء بذلك أن يطمئن قلبه ونفســه الى ما حكم به عليه كما اطمأن اليه ربا •

واما الذى يأمره به فالفرائض وترك المحارم ، فاقتضاه الوفاء بذلك ان يسلم فى كل أمر أمره ونهى نهاه نفسا ، فيأتمر بأموره ، وينتهى عن محارمه فاذا وفى بالايمان وبالاسلام نجا من الوزن والحساب (١) •

---

(١) ما الايمان والاسلام ولاحسان ورقة ٩١ ـ ٩٢ مخطوط ليبزج •



القسم الثاني

الحكيم الصوفي :

السمة الصوفية فى فكر الحكيم وآثاره هى السمة الغالبة المسيطرة ، والتى تلون حتى آثاره الأخرى فى فروع المعرفة التى تناولها وعرضنا لها ، ويمكن أن نعتبرها جميعها بمثابة مقدمات ووسائل مهدت الطريق أمامه ليصل الى المعرفة الصوفية التى هيىء لها وعمل من أجلها وكأنه بذلك يعطينا المثل العملى ويطبق واقعا مادعا اليه فى رسائله وكتبه من ان العارف لا بد أن يكون محيطا بعلم الظاهر متبحرا فيه وبغير ذلك لا يركن الى علمه ولا يوثق فى معرفته ولا تقبل دعواه .

وقد تناولت المعارف الصوفية عند الحكيم الافكار الآتية :

(ا) نظرية الولاية مراتبها وخصائصها .

(ب) نظرية المعرفة ووسائلها وثمرتها .

(جـ) مقامات الباطن وفكرة النور .

(د) الصراع بين القلب والنفس .

(هـ) مناهج السلوك .

وسنطالع فى الصفحات القادمة رأى الحكيم ونظراته بالنسبة للموضوعات التى أشرنا اليها وسار فيها فكره .


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT




الفصل الأول

الولاية والاولياء

لعل من المستحسن أن نعرف مدلولات كلمتى ولاية وولى فى اللغة ونلم بالاستعمالات التى جاءتنا لها قبل أن نأخذ المعنى المتعارف عليه عند الصوفية الآن ..

جاء الولى فى اللغة بمعنى القريب والمحب والصديق والنصير والمولى : والمالك والعبد والمعتق والصاحب والجار والحليف والمنعم والمنعم عليه .

قال فى اللسان فى مادة ولى : فى أسماء الله تعالى الولى هو الناصر ، وقيل المتولى لأمور العالم والخلائق القائم بها ومن أسمائه عز وجل الولى : وهو المالك ؟ مالك الأشياء جميعها المتصرف فيها .

قال ابن الاثير وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل وما لم يجتمع ذلك فيها لم ينطلق عليه اسم الولى .

وقال ابن سيده : ولى الشىء وولى عليه ولاية وولاية ، وقيل الولاية ((بالكسر) الخطة كالامارة ، والولاية (بالفتح) المصدر .

وقال ابن السكيت : الولاية (بالكسر) السلطان والولاية والولاية النصرة يقال نعم على ولاية أى مجتمعون فى النصرة .

وقال سيبويه : الولاية (بالفتح) المصدر ، والولاية (بالكسر) الاسم مثل الاسم مثل الامارة والنقابة لأنه اسم لما توليته وقمت به فاذا ارادوا المصدر فتحوا .

الولى ــ ولى اليتيم الذى يلى أمره ويقوم بكفايته ، وولى المرأة الذى يلى عقد النكاح عليها ، ولا يدعها تستبد بعقد النكاح دونه .

قال الفراء : الولى والمولى واحد فى كلام العرب .

الولى : الحليف القريب والمعتق والناصر ، والمولى ، الولى الذى يلى عليك أمرك (١) .

وفى معجم مقاييس اللغة : ولى : الواو واللام والياء اصل صحيح يدل على قربه من ذلك الولى : القرب ، يقال تباعد بعد ولى أى قرب وجلس مما يلينى اى يقاربنى ، والولى المطر يجيء بعد الوسمى ، سمى بذلك لأنه يلى الوسمى .

ومن الباب المولى : المعتق والمعتق والصاحب والحليف وابن العم والناصر والجار ، كل هؤلاء من الولى وهو القرب ، وكل من ولى أمر آخر فهو وليه فلان وألى بكذا أى احرى به وأجدر ، فأما قولهم فى الشتم أولى لك فحدثنى على بن عمر قال : سمعت ثعلبا يقول :

فأولى ثم أولى ثم أولى وهو للدر يحلب من مرد

وقال الأصمعى معناه قاربه ما يهلكه أى نزل به وأنشد :

فعادى بين هاديتين منها وأولى أن يزيد على ثلاث (٢)

وباستعراض المعانى الكثيرة التى استعملت فيها اشتقاقات هذه المادة يبدو جليا أن معنى القرب هو المعنى الأولى الذى يبدو قاسما مشتركا مع جميع المعانى الأخرى التى استعملت لها المادة الأصلية ومشتقاتها وهذه المعانى هى : النناصر والجوار والحلف والملك والحب والصداقة والعتق والكفالة والقوامة ، والكلمة قديمة الاستعمال قدم اللغة نفسها .

استعمال القرآن الكريم لمادة ولى : ولما جاء الاسلام جرت الكلمة على لسان الوحى ، وتكرر ورودها فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة

---

(١) ابن منظور الافريقى لسان العرب جـ ١٥ ص ٤٠٦ طبع بولاق .
(٢) مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق عبد السلام هارون جـ ٦ ص ١٤١ طبع القاهرة ١٣٧١ هـ .

الا أنها اتخذت اتجاها جديدا فى الاستعمال وان كان لم يخرج عن دائرة الاشتقاق الملحوظ فى معناها العام من قبل ٠

وقد وردت كلمة ولى فى القرآن الكريم أربعا وأربعين مرة فى أوضاع اعرابية مختلفة ، وجاءت كلمة أولياء اثنتين وأربعين مرة ، وجاءت كلمة ولاية مرتين فقط وجاءت كلمة موالى ثلاث مرات فقط ، ومن استقراء استعمال القرآن الكريم لهذه الالفاظ ولى ، أولياء ، مولى ، ولاية ، نجد أن أظهر المعانى التى استعملت لها من التناصر الا آية واحدة فان معنى القرابة أكثر وضوحا فيها من غيرها وهى « وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا »(١) فالواضح أن المقصود بالموالى هم الاقارب وان كان معنى التناصر ايضا ولكن تبعا ٠

تطور استعمال كلمتى ولى وولاية :

حينما تستعمل كلمة ولى أو مولى فى القرآن الكريم يكون مقصودا بها الله سبحانه فان المعنى المقصود دائما من كل من الكلمتين الناصر المعين المؤيد وبدهى أنه قريب ، واما ان كان مرادا بها العباد ففى هذه الحالة يكثر استعمال الجمع أولياء ويكون المعنى المقصود هو المقربون الى الله سبحانه الذين منحوا نصرته لقربهم منه سبحانه ٠ وآيات القرآن الكريم التى جاء فيها كلمة ولى صفة الله سبحانه تعنى ان الخالق سبحانه قد منح ولايته لكل المؤمنين المتابعين للنبى الكريم ، والله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور (٢) والله ولى المؤمنين (٣) ، والله ولى المتقين (٤) وهو الولى

---

(١) سورة مريم ١٠ آية رقم ٥
(٢) سورة البقرة رقم ٢ آية رقم ٢٥٧
(٣) آل عمران رقم ٣ آية رقم ٦٨
(٤) سورة الجاثية رقم ٤٥ آية رقم ١٩

الحميد (١) فالله هو الولى وهو يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير (٢) .

وأولياؤه سبحانه هم الذين فازوا بنصرته ودخلوا فى حمايته فباتوا آمنين في حصن حصين لا يحل بهم خوف سعداء بقربه لا يدنو منهم حزن. الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٣) فاصحاب الايمان والتقوى هم أهل ولاية الله عز وجل وحسب ما جاء فى القرآن الكريم كل مؤمن هو ولى الله ، هذا هو المعنى المقصود من الكلمة منذ أول الاسلام ، ثم جاء الشيعة بعد ذلك فقصروا اطلاق اسم الولاية بالنسبة للعباد على الإمام على كرم الله وجهه وبنيه لأنهم الذين تجب نصرتهم ، ثم جاء الصوفية فوسعوا دائرتها التى ضيقها الشيعة واعطوها مفهوما جديدا قائما على أساس ما جاء فى القرآن الكريم وحديث النبى عليه الصلاة والسلام وجعلوا لها أقساما ودرجات ، فهناك الولاية العامة التى هى حق لكل المؤمنين ، وهناك الولاية الخاصة التى لا ينالها الا رجال مختارون ولها طريق مرسوم ، وهو على درجات فى هذا الطريق بين خاتم ومحدث وأمين وصديق ، ومنهم المهتدون أهل الهداية والانابة ، ومنهم المجتبون اهل الجذب ولكل منهم قدر معلوم ، ويحسن بنا ان نتعرف على ما يقصده الصوفية بكلمة ولاية وولى وأولياء قبل ان نمضى مع الحكيم الى آخر الشرط :

يقول الهجويرى فى كتابه كشف المحجوب : ان الولاية تعنى التصرف وتعنى الامارة وتعنى المحبة وتعنى الربوبية ، ويستشهد للمعنى الأخير بقوله تعالى « هنالك الولاية لله الحق » (٤) .

ويقول ان كلمة ولى قد تكون فعيل بمعنى مفعول لأن الله لا يترك عنده

---

(١) الشورى رقم ٤٢ آية رقم ٢٨
(٢) الشورى رقم ٤٢ آية رقم ٩
(٣) يونس رقم ١٠ آية رقم ٦٢ .
(٤) الكهف ١٨ آية رقم ٤٤ .

لأعماله ولا لطبيعته بل يتولاه برعايته والله يقول : « وهو يتولى الصالحين »، وقد تكون بمعنى فاعل على صيغة المبالغة بمعنى انه يتولى الله بالطاعة ويوفى دائما بواجباته التى يلزمه الله بها ، وهذا هو المعنى الخاص لكلمة ولى بمعنى المريد ، اما إذا كانت بمعنى اسم المفعول فانه يدل على المراد وكل من هذين المعنيين صحيح سواء كان المقصود به الدلالة على علاقة الله بالعبد او علاقة الانسان بالله ، لأن الله حافظ أوليائه فقد بذل حمايته لاتباع الرسول وأعلمه انه ليس للكافرين ولى ، « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم » (١) وفوق ذلك فقد ميزهم بمحبته كما قال « يحبهم ويحبونه » (٢) ولذلك ينأون بعيدا عن محبة الناس لحبه لهم ومحبتهم اياه ، وقد ينعم بولايته على انسان ليقدره على المواظبة على الاذعان له ويحفظه من الاثم او ليجعله قادرا على التصرف بالحل والربط ويجعل دعاءه مستجابا وأنفاسه مؤثرة كما قال النبى : (رب أشعث اغبر ذى طمرين لا يبالى الناس به لو أقسم على الله لأبره) (٣) .

ويقول القشيري : يحتمل معنى الولى أمرين : أن يكون فعيلا مبالغة من الفاعل كالعليم والقدير فيكون معناه من توالت طاعاته من غير تخلل معصية ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول ، وجريح بمعنى مجروح وهو الذى يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على الادامة والتوالى فلا يخلق له الخذلان الذى هو قدرة العصيان وانما يديم توفيقه الذى هو قدرة الطاعة قال تعالى : « وهو يتولى الصالحين » (٤) وتكاد تكون ألفاظ الهجويرى والقشيرى فى أمر الولى واحدة .

---

(١) سورة محمد ٤٧ آية رقم ١١

(٢) المائدة رقم آية رقم ٥٤

(٣) راجع كشف المحجوب الترجمة الانجليزية ص ٢١ .

(٤) رسالة القشيرى ج ٢ ص ٦٦٤ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ومحمود الشريف .

اما عماد الدين الحموى فيقول فى كتابه حياة القلوب : الولى من توالت طاعته لله تعالى من غير تخلل معصية وقيل هو الذى تولى الحق سبحانه حفظه وحراسته عن المعاصى والمخالفات قال الله تعالى : « وهو يتولى الصالحين » وعلى هذين التفسيرين فالولى محفوظ من المعاصى لا على سبيل الوجوب عصمه وذلك مخصوص بالانبياء عليهم السلام (١) .

ومما لا شك فيه أن حديث الولاية والأولياء كان على ألسنة الصوفية منذ بدأ رجالها يتحدثون عن الطريق الى الله وكيفية الوصول اليه سبحانه ولما جاء الحكيم كان هذا الحديث يحتل جانبا كبيرا من تفكير شيوخ الصوفية ورواد حلقاتهم والآخذين عنهم الا أن أحدا منهم لم يترك لنا منهجا مفصلا يوضح فيه المعالم ويحدد الطرق ويكشف عن سبل السير الى الحق سبحانه حتى جاء الحكيم الترمذى فأفاض فى الحديث على هذا الموضوع وعبر عن عقائده وطرقه ورجاله ودرجاتهم وصلاتهم بغيرهم من عامة المؤمنين ومن النبيين صلوات الله عليهم أجمعين . فماذا قال الحكيم فى هذا الموضوع ؟ وما هو الجديد الذى اضافه ؟ لعل الصفحات التالية تقدم محاولة للكشف عن هذا الجهد الذى ارسى به شيخ خراسان قواعد نظرية الولاية فى الفكر الاسلامى .

نظرية الولاية والاولياء عند الحكيم الترمذى :

الموحدون كلهم أولياء الله وأحبابه والله سبحانه وليهم ومحبوبهم والاهم بالمنه فوالوه ، بالتوحيد ، والولاية قسمان : ولاية عامة يخرج بها العبد من الخيانة ، وهى ولاية التوحيد ، وهى المأخوذة من قوله تعالى « الله ولى الذين آمنوا » (٢) وهى من حق كل مؤمن ..

---

(١) حياة القلوب فى كيفية الوصول الى المحبوب على هامش قوت القلوب جـ ٢ ص ٢٨٦ .
(٢) البقرة رقم ٢ آية رقم ٢٥٧ .

وولاية خاصة يخرج بها العبد من الخيانة فيكون أمينا من امناء الله عز وجل هم الذين آمنوا واستجابوا لدعوة الله ورسوله ، ومنازلهم فى الولاية على قدر حظهم من الاستجابة المذكورة فى الآية الكريمة « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » ، وهم فى حظوظهم من الاستجابة على أربعة أقسام : يلخصها الحكيم بقوله :

١ ـ أجابته طائفة بأن آمنوا به وخلطوا فى عمل الأركان فقيل لهم لكم بما آمنتم حياة القلوب توحيدا ٠

٢ ـ ثم تقدمت ثانية فأخلصوا العمل لله وتطهروا من التخليط فقيل لهم لكم بما أجبتم حياة الاركان طاعة وتسليما ٠

٣ ـ ثم تقدمت ثالثة فأخلصوا القلوب وتطهروا من شهوات النفوس وأعمال الهوى فقيل لهم لكم بما اجبتم انقياد حياة النفوس الشهوانية لما يأتى به القلب ويرد عليه من اليقين ٠

٤ ـ ثم تقدمت رابعة تتقرب اليه فقيل لهم لكم بما اجبتم حياة القلوب والنفوس جميعا ٠

فكل طائفة انما تعطى من هذه الحياة التى وعد الله بها على قدر إستجابتها لدعوته (١) ، والأولياء هم الذين ينزلون الأشياء منازلها حتى أنزلها الله موافقة له سبحانه فى أموره وسبيل ذلك أن يروا الدنيا جسرا فلا يطمئنون اليها ولا يشتغلون بعمارتها (٢) ٠

---

(١) ختم الأولياء تحقيق الدكتور عثمان يحيى ص ١٢٧ ، ١٢٨ ٠
(٢) مخطوط اسماعيل صائب ورقة ٥٣ ومخطوط ليبزج ورقة ١٣٣ ٠

هذا هو المبدأ الأول لمن اراد أن يسلك هذا الطريق وعلى قدر صدقه في سيره وصبره على مدافعة أهواء نفسه يفد عليه من فيض الله بقدر ما يبذل من الصدق فكلما تطهر من علاقة وتخلص منها حل عن قلبه قيد (١) .

اقســـام الولاية الخاصة :

وأهل الولاية الخاصة هؤلاء ينقســمون الى قسمين رئيسـيين : أهل البداية وأهل الجباية وبعبارة أخرى المهتدون والمجتبون وهم طبقات ودرجات وسنتحدث عن هذه الدرجات بالتفصيل بعد أن نعرض لعلامات الاولياء الظاهرة وصفاتهم الخـــاصة .

علامـــات الاولياء :

للاولياء علامات ظاهرة يعرفون بها ويستدل بهم عليها وهي :

١ ـ انهم يذكرون كلما ذكر الله سبحانه وتذكر رؤيتهم بالله فقد سئل النبي : من أولياء الله ؟ فقال الذين اذا رؤوا ذكر الله .

٢ ـ وان لهم سلطان الحق فلا يقاومهم أحد حتى يقهره سلطان حقهم .

٣ ـ وهم أصحاب الفراســة الذين يقول النبي فيهم « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » .

٤ ـ وهم أصحاب الإلهام .

٥ ـ من أذاهم صرع وعوقب بسوء الخاتمة فالنبي صلى الله عليه وسلم يروى في الحديث القدسي : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب .

٦ ـ جريان الألسنة بالثناء عليهم بين الناس الا الحاسدين .

٧ ـ اكرام الله سبحانه لهم باستجابة دعواتهم واعطـــائهم الكرامات بظهور الآيات على أيديهم مثل طي الأرض والمشي على الماء .

---

(١) مخطوط ليبزج ورقة ١٢٨

٨ - يجري الله على ألسنتهم أصول العلم مثل علم البدء وعلم الميثاق وعلم الحروف وعلم المقادير فهذه اصول الحكمة وهي الحكمة العليا (١) .

صفاتهم :

ولهم صفات يعرفون بها فمن صفاتهم : القصد والهدى والحياء ، واستعمال الحق فيما دق وجل وسخاوة النفس واحتمال الاذى والرحمة والنصيحة وسلامة الصدر وحسن الخلق مع الله فى تدبيره ومع الخلق فى أخلاقهم (٢) .

اقسام الاولياء :

الولاية فى حقيقتها كما يراها الحكيم الترمذى عطاء الهى يمنحه الله من يشاء من عباده والمنعم عليهم بها يمضون فى طريقين متغايرين طريق الصدق فى استفراغ الجهد الانسانى وبذل الطاقة فى الصبر على مشاق الطريق وصراع الرغبات النفسية حتى تطمئن الجوارح وتستكين النفس وتنقاد ويسميهم عمال الصدق وهم أهل الهداية .

وآخرون يمضون فى طريق المنة الالهية والفيض الربانى وهم الذين اجتباهم الله اليه وجذب قلوبهم منذ البداية فهم اهل جبايته وهم المجتبون الاحرار والكرماء ، ومنهم الرسل والانبياء وسادات الاولياء من الصديقين والمحدثين وقد اخذ هذا التقسيم من الآية الكريمة « الله يجتبى اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب » (٣) وفى هذا يقول الحكيم فى كتابه « معرفة الاسرار : الولاية على وجهين ولي خرجت ولايته من الجود والمنة وولي خرجت ولايته من الجهد والسعي والاكتساب ، فمن خرجت ولايته من جود الله تعالى فعلامته ان دنا قربوه وان تباعد لم يتركوه وان جنى عاتبوه ولم يباعدوه ومن خرجت

---

(١) ختم الاولياء ص ٣٦١ و ٣٦٢
(٢) ختم الاولياء ص ٣٦١ و٣٦٢ .
(٣) الشورى ٤٢ آية ١٣ .

ولايته من السعى والجهد ان ادنا اوقفوه وان جنى باعدوه وان رضى بالبعد تركـــوه (١) .

واهل الهداية الذين ذكروا فى الآية الكريمة هم الذين سماهم الحكيم أولياء حق الله وقدم لنا شرحا دقيقا مفصلا لكفاحهم وانابتهم وصدقهم فى سيرهم وما يعترضهم من خدع النفس ومكرها بهم وتجد تفصيل ذلك فى كتابه « ختم الأولياء » (٢) وتعرض الصفحات التالية محاولة ترسم صورة لأولياء حق الله وما يعانونه من أهوال النفس اثناء سيرهم الى ربهم وسعيهم فى الوصول الى القرب من الحق سبحانه .

ولى حـــق الله :

هو ذلك المفيق من سكرته المنيب الى ربه العازم على الوفاء بالتوبة مهما كلفه ذلك من مشقات ، وقياما بهذا الوفاء لا بد له أن يقوم بحراســـة جوارحه السبع : لسانه وسمعه وبصره ويده ورجله وبطنه وفرجه فيأخـــذ نفسه بهذه الحراسة ويلهو عن كل شىء سواها حتى تتحقق له استقامتها ويصبح رجلا مستقيما يؤدى الفرائض ويحفظ الحدود ولا يشغل بأمر آخر ، ويداوم على حراسة جوارحه حتى يحقق الله تعالى الوفاء بما عزم عليه الى ان تسكن نفسه وتهدأ جوارحه (٣) .

فلما استقام له صلاح ظاهره عمد الى الباطن فاذا نفسه مفعمة بشهوات هذه الجوارح ، وبدا له الخطر الداهم الذى يتربص به من مكر النفس وتحفزها للوثوب عليه ويضرب الحكيم مثلا للنفس مع شهواتها الكامنة فى أعمـاق الانسان بالشجرة التى قطعت أغصانها العليا والحياة باقية فيها لامتداد جذورها فى الاعماق البعيدة فان غفل قليلا بدأت اغصـــانها تنبت من جديد

---

(١) كتاب معرفة الاسرار مخطوط قسطمونى ورقة ٤١
(٢) ختم الأولياء ص ١١٧ وما بعدها .
(٣) ختم الأولياء ص ١١٧ وما بعدها .

فكلما قطع غصنا بدا آخر مكـــانه فظن أنه ان قطعها من أصلها أمن خـــروج الاغصان غير انه وجد اغصانا جددا نبتت من ذلك الأصل فصمم على قلعهـا من جذورها البعيدة ، ثم ازعجه ان يرى اضطرام الشهوات فى داخله بعـــد هذا الكفاح المرير ، فضاقت عليه الامور حتى عجز عن القيام بكثير من امور الله سبحانه ووجد وقته قد ضـــاع وطاقته قد استنفذت فى هذه الحراســـة ومحاورة النفس ولم يبق له من الوقت ما يفكـــر فيه فى منن الله وصـنائعه وليس لقلبه من الطهارة ما لقلوب أهل اليقين الذين يصفون من أمور قلوبهم أشياء هو خلو منها فبدأ شوطا جديدا فى تطهير الباطن ، وادرك أن سـبيل ذلك هو الاصرار على رفض الشهوات حتى يميتها من نفسه ، وعلم الله صدقه فى هذا العزم ، والصادقون هنا فريقان فريق صدق الله في رفضه للشهوات ليلقاه بصدقه وطهارته حتى ينال ما وعد الصادقون من ثواب على جهدهم ، فتركهم الله على جهدهم وأعطاهم ثواب الصدق يوم لقائه •

واما الفريق الآخر فكان صدقه فى رفض شهوات النفس لتقر عينه غداحينما يلقى ربه بخالص العبودية ففتح الله له الطريق الى قربه فأشـــرق النور فى صدره حتى أصاب روح الطريق ، وأنس من نفسه قدرة على رفض الشهوات ، فكلما ازداد لها رفضا وهجرانا زيد له من عطاء الله فى روح القـربة وما زال يزداد حتى مهر فى الطريق وحذق بصرا بالسير الى الله سـبحانه وأداه ذلك الى التنبه لارتباط شهوات الجوارح بعضـها ببعض فرفضها جميعا وهـــذا الجهاد وذلك الهداية هما المذكوران فى قوله تعالى : « والذين جاهدوا فينـــا لنهدينهم سبلنا » (١) ويمتد طريق المجاهدة بذلك الصادق حتى يرى العزلة لازمة حسما لأهواء النفس واماتة لشهواتها ولا يزال ملازما لها حتى يزداد قربا وانشراح صدر • وتعمه انوار العطاء فتنفرح نفسه بخروجها من الضيق الى فسحة التوحيد فيترك العزلة ويجرى على لسانه ما فتح الله له من شـأن

---

(١) العنكبوت ٢٩ آية ٦٩ •

هذا الطريق ، وما تراءى له من الحكم والفوائد وعلم الطريق ويخالط الناس ، وهنا على حد تعبير الحكيم يكمن الخطر العظيم ، والسالكون بين مخذول ومعصوم لأنه حينما يخالط الناس بعد هذا النور الذى فاض عليه من ربه سيكرمونه ويبجلونه ويعطونه لما بدا عليه ، فان قبل اكرامهم وتبجيلهم وعطاءهم فقد خدعته نفسه وموهت عليه ثم وثبت عليه كالأسد المتماوت واستيقظت اللذات التى كانت قد زالت بالفطام ، ويصور الحكيم النفس هنا بإبائها على السالك وجموحها به عن طريق الجهد بالسمكة المنفلته من الشبكة فهى أمعن فى الغوص والاضطراب خشية ان تؤخذ ثانية ، لذلك تكون أصعب وأشد مراسا من ان يظفر بها ، ويرى الحكيم أن كل من أفسد طريقه وأدبر ناكصا على عقبيه انما جاءته النكسة من هذا الباب ، لأنه لا يأخذ فى التوبة والتطهير والاستقامة فى السير ، وتأبى عليه نفسه العودة الى معاناة الحرمان من الشهوات والمنهج الصارم لما قبه من الضيق والمشقة بعد الروح والسعة ، فلا القلب مشغول بحق الله ، ولا البدن مشغول بعبادته سبحانه فتعطلت الأركان عن العبادة ، والقلوب عن السير الى الله وهذه هى عاقبة المخذول الذى ضحكت عليه نفسه (١) ولعلنا نلتمس صدق هذه الصورة التى عرضها علينا الحكيم حينما نستعيد بعض النماذج التى تصادفنا فى حياتنا هذه عن بعض المتدينين الذين انغمسوا فى حياة منطلقة من القيود يعبون منها بنهم شديد بعد ان قطعوا فترة طويلة فى الحرمان والنسك والزهادة ولعل هذه الظاهرة هى التى يسميها علماء النفس الحديث بظاهرة التعويض ٠

اما من عصم الله وادركه بتوفيقه فهو الكيس الذى تنبه لمكر النفس وثبت فى مكانه عندما زينت له مخالطة الناس زاعمة انه نال من القوة ما يباشر هذه الامور فلا يخدعه تزيينها ولا يأمن جانبها ويعزم على رفض خدعها والوان تزيينها فان الله يؤيده ويثبته حتى ينجو منها الا أن لذة

---

(١) ختم الاولياء ص ١٢٣ و١٢٤ ٠

الطاعات وشهوات النفس لا تزال متربصة فى اعماقه تنتهز فرصة للوثوب وحينئذ يتعرض السالك لامتحان من نوع جديد ، فلئن كانت النفس قد فشلت فى أخذه من جانب الشهوات فلذاته من جهة تزيين الطاعة والزيادة فى أعمال البر سعيا فى الحصول على الزيادة فى القربى الى الله سبحانه وهنا ينبه الحكيم السائرين الى الله الى خطر مشيئة النفس والاعتماد على العمل ويبين أن ذلك هو السبب الرئيسى فى أن اعمال الصدق يكون النظر الى العمل كامنا فى أعماقهم حتى ولو لم يصرحوا بذلك ويكون ذلك حجابا بينهم وبين الله لأنهم لا يزالون يرون أعمالهم فهم عبيد نفوسهم لم يتخلصوا بعد من رقها حقيقة ، وهذا هو الفرق الجوهرى بينهم وبين أهل الجبـــاية الذين لا يرون لأنفسهم ظلا فى سعيهم ولا لأعمالهم أثرا فى قلوبهم ، لذلك يحذر الحـكيم من الركون الى العمل والزلل بتزيين الطاعة ويعرض فى هذا الموقف خبر جريج الراهب الذى انشغل عن اجابة نداء أمه بأداء بعض النوافل (١) . ويبـرز ضرورة عدم الركون الى العمل بالنسبة لهؤلاء المتطلعين الى قرب الله تعالى ، بقول النبى الله عليه وسـلم : « انه ليس أحد منكم ينجيه عمله » قالوا : ولا أنت يا رسـول الله قال : « ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته » ويرى الحكيم ان السائر الى الله هنا مطالب بأداء الفرائض وحفظ الحدود وهذا هو الذى ألزم الله به عباده (١) ثم يمضى ذلك الصادق فى طريقه يغرف من نور الله ويراقب لصوصية النفس حتى اذا ظن انه انتهى منها ،وجد أن مشيئاتها لم تزل حية فى داخله وأدرك انه لا قبل له بالتخلص منها وان هذا أمر خـارج عن طاقته فوقع فى الحيرة بعد ما بذل جهد الطاقة فى مجال الصدق واتجـه الى الله صارخا مضطرا مستغيثا من مشيئة النفس فسمع الله لندائه وادركته رحمته وطير بقلبه من مكـانه الذى انقطع فيه فى لحظة فوقف به فى محـل القربه (٢) ويستدل الحكيم لهذا التفصيل الدقيق بقوله تعالى : « أمن يجيب

---

(١) ختم الاولياء ص ١٢٥ .

(٢) ختم الاولياء ص ١٣٤ و٣٢٨ .

المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض » (١) ثم يطلب الى ذلك الصادق ان يلزم مرتبته بقرب الله سبحانه ترد عليه انوار القربة فتحرق هنات النفس حتى يصير من صفوة الله ويصلح له ثم يوكل به الحق يحرسه ـ وهو انوار العصمة ـ فان ثبت فى مركزه فقد وفى بشرط الله وان اخل وهرب فهو مخذول خدعته النفس الامارة بالسوء ، وانما طلب اليه ان يلزم المرتبة لانه اذا توجه الى عمل من أعمال البر ينال فى موضـع القربة ليعتق من رق النفس مازجه الهوى ومحبة المحمدة من النـاس وخوف سقوط المنزلة فلهـذا لا يخلو عمله من التزين والرياء لأنه وان كان قد حل هناك بقلبه فان هنـات النفس لا زالت باقية (٢) ٠

ومحل الصادقين عند بيت العزة فى السـماء الدنيا لانهم لا زالوا عبيـد النفوس ويظل الصادق كذلك ملازما للمرتبة متنسما روح القربة يحيـا فى فسحة التوحيد والخروج من رق النفس لا يشتغل بشىء من الاعمال الا باذن ، فان صرفه الله من المرتبة الي أعمال البدن حرسه فيمضى مع الحرس فى هذه الاعمـال (٣) ٠

تلك صورة مجملة لحال ولى حق الله كما عرضها الحكيم الترمذى وقد يسمى ولى الله لأن الحكيم يقول : فهو ولى حق الله وولي الله » وسنشير الى ما استنتجناه من قول الترمذى هذا من خلال مناقشـة لرأيه فى ولى الله ٠

ولى الله :

هو رجل ثبت فى مرتبته موفيا بالشروط كما وفى بالصدق فى سـيره وبالصبر فى عمل الطاعة واضطراره فأدى الفرائض وحفظ الحدود ولزم المرتبة حتى قوم ١ وهذب ٢ ونقى ٣ وآدب ٤ ، وطهر ٥ وطيب ٦ ووسع ٧ ، وزكى ٨

---

(١) سورة النمل رقم ٢٧ آية رقم ٦٢ ٠
(٢) ختم الاولياء ص ١٣٧ و٣٢٨ و٣٢٩ ٠
(٣) ختم الاولياء ص ١٣٨ ، ٣٢٩ و ٣٣٠ و٣٣١ ٠

وشجع ، وعوذ .. ، فتمت ولاية الله لهذه بهذه الخصال العشر ، فنقل من مرتبته الى مالك الملك فرتب له بين يديه وصار بناجيه كفاحا فاشتغل به عمن سواه ، ولها به عن نفسه وعن كل شيء فصيره فى قبضته ، فأى حصن أحصن من قبضته ؟ وأى حارس أشد حراسة من عقله (١) .

وحينما تحدث الحكيم عن ولى الله واصفا له بهذه الصفات التى قدمها انما كان ينظر الى ما جاء فى الحديث القدسى عن رب العزة « ما تقرب الى عبدى بمثل اداء ما افترضت عليه ، وانه ليتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا احببته كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وفؤاده فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق وبى يمشى وبى يعقل وبى يبطش ، ويعقب الحكيم على الحديث فيقول : فهذا عبد خمد عقله بالعقل الاكبر وسكنت حركاته الشهوانية لقبضته ، ومن مجموع ما قاله الحكيم فى حق هذا الصنف من أولياء الله : انهم بدأوا أولا فى مجال الصدق والجهد الانسانى وظلوا مثابرين حتى استفرغوا جهد الطاقة وثبتوا ولكنهم وجدوا أنفسهم على خطر عظيم فلجأوا الى الله صارخين مستغيثين من مشيئة النفس بعد ما بذلوا من جهد مرير الى أن شملتهم الرحمة ومن الله عليهم فنقلهم من بيت العزة : محل الصادقين الى البيت المعمور : محل الصديقين ولذلك سموا اولياء الله لانهم بدأوا من دائرة الصدق وسموا أولياء الله لأنهم انتهوا الى دائرة المنة والعطاء الالهى لما من الله عليهم بقربه فنقلهم من المرتبة بعد ما استكملوا خصال الولاية العشر ، وهم يشكلون الفريق الأول من أولياء الله .

اما الفريق الثانى فهم الصديقون الأحرار الكرماء الأوفياء النبلاء المجتبون المجذوبون اهل المنة الذين يجذبهم الله على طريقه اليه ، فيتولى اصطفاءهم وتربيتهم حتى يصفى نفوسهم الترابية بأنواره كما يصفى جوهر

---

(١) ختم الأولياء ص ٣٣١ و٣٣٢ .

المعدن بالنار حتى تزول ترابيته ، وتبقى النفس صافية وتمتد تلك التصفية حتى اذا بلغوا الغاية من الصفاء أوصلهم الى أعلى المنازل ، وكشف لهم الغطاء عن المحل وأهدى اليهم عجائب من كلماته وعلومه (١) • قد عطف الله تعالى عليهم فقذف النور فى قلوبهم فانفلق الحجاب وانكشف الغطاء فشرح الله صدورهم فهم على نور من ربهم نقى كل شيء من صدورهم ، وطهرهم ، وصفى قلوبهم ، فصدورهم ممتلئة من عظمة الله وجلاله ، اطمأنوا اليه وواثقوا به فى كل حال (٢) •

هم الذين ولى الله اخراجهم من ظلمات النفس الى نور القربة ، ثم الى نوره تحقيقا لقوله سبحانه : « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور » وهم الذين اطمأنوا اليه وحده واتقوا الاطمئنان الى احد سواه ، فاستحقوا وصفه فى كتابه : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » (٣) وهم الذين يعلمون انهم اولياء لأن نفوسهم قد ماتت وشواهدهم قد امحت ، وهم كبار الأولياء الذين يعلمون حالات أنفسهم، ولتعظيمهم لله واجلالهم له يتلاشى ذكر الولاية من قلوبهم ولا يرون شرف انفسهم (٤) •

خصال الولاية العشر

وأولياء الله هؤلاء هم الذين استكملوا خصال الولاية العشر حتى ينالوا حراسة الحق وهذه الخصال العشر قد ربطها الحكيم بمنازل من فضل الله وسمى كل منزلة «ماكا» وجعل مفتاح كل ملك اسمامن اسمائه ولكل ملكسلطان وفى كل ملك مجلس وهدايا ونجوى فما هى هذه المالك ؟ وماذا يجرى على الولى فى كل منها ؟ وما يناله هناك ؟ وماذا يعنى الحكيم بكل خصلة من هذه

---

(١) ختم الاولياء ص ٤٠٩

(٢) ختم الاولياء ص ٤٣٥ •

(٣) سورة الرعد ١٣ الآية ٢٨ •

(٤) كتاب معرفة الاسرار مخطوط قسطمونى ورقة ٤١ •

الخصال العشر مع ان معانيها جميعا تكاد تكون متقاربة ان لم تكن متحدة فلنمضى معه انرى ماذا يقول عنها :

١ ـ ان الولى الذى يفى بالشروط فى محل القربة ويلتزم المرتبة ،ينقله الله الى ملك الجبروت لتتقوم نفسه وهناك تجبر نفسه وتمنع بسلطان الجبروت الى أن تذل وتخشع فتكون مهيأة لقبول المرتبة التالية وهى :

٢ ـ التهذيب ويقتضى ذلك نقلها الى ملك السلطان وتجرى عملية التهذيب هذه باذابة كل ما بقى فى النفس من شوائب العزة التي هى أصل الشهوات ويبقى الولى فى ملك السلطان حتى تنفصل عن النفس تماما كل هذه الشوائب وتنقطع كل صلة بها •

٣ ـ عندئذ ينقله الله الى ملك الجلال ليؤدب •

٤ ـ ومن هناك الى ملك الجمال لينقى •

٥ ـ ثم يصار به الى ملك العظمة ليطهر •

٦ ـ ثم يؤخذ الى ملك الهيبة ليزكى •

٧ ـ ويمضى به الى ملك الرحمة ليوسع •

٨ ـ ومن هناك الى ملك البهاء ليربى •

٩ ـ ثم الى ملك البهجة ليطيب •

١٠ ـ ويظل ينتقل من ملك الى آخر يكتسب فى كل ملك صفة جديدة وينال عطاء جديدا ويفتح له من نور الله ما لم يتهيأ له من قبل حتى ينتهى به المطاف الى ملك الفردانية ليفرد •

ويبدو ان هذه مقامات تترقى فيها قلوب الاولياء وتتلقى من فيض الله ما ترى به عيانا جلال الخالق وهيبته وعظمته وجبروته وسلطانه فتخشع وتذوب ثم تعاين من رحمة الله وجماله وبهائه ما يؤنسها ويبسطها حتى تمضى فى طريقها بين جناحين من خوف الله والرجاء فيه ؛ وفى كلتا الحالتين

فهو فى حراسة الحق ، وظل السكينة ولذلك يعقب الحكيم بعد الحديث عن هذه الخصال العشر فيقول : فاللطف يفرده والرحمة تجمعه والمحبة تقربه والشوق يدنيه ثم يهمله ثم يناجيه ثم يبسط له ثم ينقبض عنه فأينما سار فهو فى قبضته وأمين من امنائه (١) ٠

وكل هذه الترقيات ينالها الولى بعد ان يحل فى منزلة القربى ، والقربى مقامات متفاوتة فأدناها الحب والحشمة والهيبة ، واجل من هذا البسط والمناجاة وافشاء السر ، وأجل من هذا الحكم والأمر والنهى فى الملكة ، واجل من هذا القسم عليه والمجادلة كما قال تعالى فى قصة ابراهيم « يجادلنا فى قوم لوط » (٢) ٠

ويكون الولى باجتيازه هذه المنازل قد وصل الى درجة الصديقية ويحسن بنا ان نعرف الفرق بين الصادق والصديق كما يراه الحكيم « الصادق الذى صدق فى الاشياء بظاهره وبباطنه احيانا ميل الى النفس والدنيا وأثر الشهوات باق فى نفسه والصديق الذى يعبد الله بتلوين الاحوال لا يقطعه عن الله قاطع والصدق ابتداء الصديقية » (٣) ٠

الصـــــديقون :

الصديقون هم الامناء الاقوياء الذين لا يحتاجون الى اذن ومقامهم فى ملك الملك بين يديه ، جادوا له بالنفوس فجاد عليهم بنفسه ، وهم الذين جاوزوا الخطوط وخرجوا من رق النفس ، الهاهم حب الله وجلاله وعظمته ٠ فلم يقدر المال ان يلهيهم لأن حلاوة الله غلبت على حلاوة حب المال ، ولذلك سموا الاقوياء ، ولم يحتاجوا الى اذن لأنه ليس للنفس مشيئة عليهم (٤) ٠

---

(١) ختم الاولياء ص ٣٣٤
(٢) معرفة الاسرار مخطوط قسطمونى ورقة ٢١٨ ٠
(٣) معرفة الاسرار مخطوط قسطمونى ورقة ١٤٢ ٠
(٣) مخطوط ليبزج ورقة ١٣٢ ٠

وهم اربعون صديقا جعلهم الله فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعد قبضه ، بهم تقوم الأرض ، وهم آل بيته وكل ماامات واحد منهم خلفه من يقوم مقامه حتى اذا انقرض عددهم واتى وقت زوال الدنيا ابتعث الله وليا اصطفاه واجتباه وقربه وادناه واعطاه ما أعطى الاولياء وخصه بختم الولاية (١) . ويقول الحكيم فى شأن هؤلاء الاربعين انهم أمان الامة لأن بهم تقوم الأرض وبهم يستسقون الغيث ، فاذا ماتوا أتاهم ما يوعدون ، وما دمنا قد عرضنا لرأى الحكيم فى الصديقين فيحسن ان نعرض رأيه فى اصناف الأولياء الآخرين الذين تحدث عنهم أمثال : البدلاء والاخيار والابرار والمحدثين وختم الاولياء قبل مناقشة الاحوال التى تتعرض لهم :

البدلاء : هم الذين تبدلوا كل خلق يباعدهم عن الله تعالى والبديل الذى يبدل المخلوق بالخلق وهم جماعة اذا مات واحد منهم بدل الله مكانه آخر (٢) .

وهم اربعون مقامهم حول العرش لا يعملون الا باذن وحسبما يفهم من عرض الحكيم لاحوال الاولياء فهم من عمال الصدق الذين وصلوا الى محل القربة والزموا المرتبة ولم يؤذن لهم بعد (٣) .

والأخيار : هم خيرة الله من خلقه ، اختاروه فاختارهم (٤) .

الأبرار : البر الذى تبرأ من كل شىء تبرية الى الله تعالى ولا يترايا الى الخلق ، ويبرون الله تعالى بطاعتهم آناء الليل (٥) .

المحدثون : المحدثون هم سادة الاولياء ولم يرد فى كلام الحكيم فارق محدد بينهم وبين الصديقين وكلاهما من أهل القربى كما يشعر حديثه الذى

---

(١) ختم الاولياء ص ٣٤٤ .
(٢) معرفة الأسرار ورقة ٢١٤
(٣) مخطوط ليبزج ورقة ١٣٢ .
(٤ ـ ٥) معرفة الاسرار ورقة ٢١٤ ب ، ٢١٥ ـ أ

يفهم منه ايضا أن المحدثين اعلى من الصديقين درجة ، وجميعهم من المجتبين الذين من الله عليهم ابتداء ولكل منـزلة من منازلهم طبقـات حتى المحدثين انفسهم ايضا طبقات ، وان كان الحكيم لم يقدم لنا تقسيما مفصلا عنهم الا انه يقول : ان للمحدثين منازل فمنهم من أعطى ثث النبوة ، ومنهم من أعطى نصفها ومنهـم من له الزيادة حتى يكون أوفرهم حظـا فى ذلك من له ختم الولاية (١) .

والمحدث محروس بالحق ، مؤيد بالسكينة تجوز له البشـرى ويطلعه الله على ما يشاء من علمه وقد كان عمر بن الخطاب منهم فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : «قد كان فى الامم قبلكم محدثون فان يكن فى امتى فعمر» وكان ابن عباس يقرأ « وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ولا محدث » فقد قرن المحدث بالنبى والرسول وهذه الحراسة التى ذكرها الحكيم هى التى نستطيع أن نفهم على ضوئها قول النبى صلى الله عليه وسلم فى عمر : مالقى الشـيطان عمر الا فر لوجهه ، فان ورد على قلب المحدث شىء فان ولاية الله تغيثه وتنسخ عنه ذلك كما أن النبوة تغيث الأنبياء (٢) .

ولكن ما هو الحديث الذى يكون للمحدثين ، أعطانا الحكيم نماذج ثلاثة للكيفية التى يأتى بها الحديث : فأحيانا تكون فى المنام وهى الرؤيا الصالحة تلك هى المبشرات التى وردت فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم : لم يبق من النبوة الا المبشرات قـالوا وما المبشرات يا رسول الله ؟ قـال : الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له » وهى جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة .

واحيانا تكون اليقظة على القلب عن طريق السكينة التى ركزها الله فى القلوب لتكون داعية الى الطمأنينة تصديقا لقول الله تعالى : « هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم » (٣) وصاحبها يكون حظه اكثر من ثلث النبوة على مقدار قربه من الله تعالى .

---

(١) ختم الأولياء ص ٣٤٧ .
(٢) ختم الأولياء ص ٣٤٨ - ٣٥٩
(٣) سورة الفتح ٤٨ آية رقم ٤ .

واحيانا تكون بالالهام وهو الذى يخفق على القلب بالروح (١) • وقد عبر الحكيم عن هذه الحالة بالوحى ولكنى أهاب أن انسب الوحى الا للأنبياء عليهم السلام وظنى أن الحكيم لا يقصد الوحى الذى يكون للانبياء لأنه فرق بينهما فى مواطن أخرى •

ختم الاوليـــاء :

هو فى مبدأ أمره عبد صحيح الفطرة طيب التربة عذب الماء زكى الروح ، صافى الذهن عظيم الحظ من العقل ، سليم الصدر من الآفات لين الاخلاق ، واسع الصدر ، مصنوع له (٢) • وهو سيد الأولياء كما أن محمدا سـيد الانبياء وهو حجة الله على الأولياء وعلى سائر الموحدين من بعدهم وهو شفيعهم يوم القيامة يأتى فى آخر الزمان بعد انقـراض عدد الصديقين وقـرب زوال الدنيا ، وهو عبد اصطفاه الله واجتباه وقربه وأدناه ، وأعطاه ما أعطى الأولياء ، وخصه بختم الولاية فلم يزل مذكورا دائما فى البدء : أولا فى الذكر وأولا فى العلم ثم هو الاول فى المشـيئة ثم هو الاول فى المقـادير ثم هو الاول فى اللوح المحفوظ ثم هو الاول فى الميثاق ثم هو الاول فى المحشر ثم هو الاول فى الخطاب ، ثم هو الاول فى الجوار ثم هو الاول فى دخول النار ثم هو الاول فى الزيارة ، ثم هو الاول فى الشفاعة ، هو فى كل مكان اول الأولياء • مقامة من محمد عند الاذن والاولياء عند القفا هو عبد مقـامه بين يديه (الله) فى ملك الملك ونجواه هناك فى المجلس الاعظم ، فهو فى قبضته والاولياء من خلفه درجة ، ومنازل الأولياء بين يديه (٣) • مقامة هناك فى أعلى منازل الأولياء فى ملك الفردانية وقد انفـرد فى وحدانيته ومناجاته كفاحـا فى مجـالس الملك وهداياه من خزائن السعى (٤) •

---

(١) نوادر الأصول ص ١١٨ ، ١١٩ •
(٢) ختم الاولياء ص ٤١٦
(٣) ختم الاولياء ص ٣٤٠
(٤) ختم الاولياء ص ٣٦٧ •

تربية خاتم الاولياء :

هو عبد اراد الله هـــدايته فاكتنفته رحمته ورأفته ومنحه طريق محبته فلما فتح الله له الطريق شاهد الأشياء ببصر قلبه ، فعلمه فخشيه واذا ما لزم القلب الخشـــية حشاه الله بالمحبة فيكون معتصما بالخشية مما كـــره الله سبحانه ، مهما دق أو جل ويكون منبسطا بالمحبة فى امور ذا شجاعة ، وانما قرن الله له المحبة بالخشية ليتم له التوازن الروحى فى الداخل والخارج لأنه لو أعطى الخشية وحـــدها انقبض وعجز عن كثير من الأمــور ، ولو ترك مع المحبة وحدها لاستبد وتقوى لأن النفس تهيج ببهجة المحبة ، فلطف الله به بأن جعل الخشية بطانته والمحبة طهارته حتى يستقيم بها قلبه فيرى التبسم والانطلاق والسعة فى وجه العبد واموره لظهور المحبة على قلبه ومع ذلك عنده من الخشية امثال الجبال فقلبه خاشع ووجهه منطلق ثم يرقى الله العبـد الى مرتبة الهيبة والانس فالهيبة من جلاله والانس من جماله فاذا نظر فى جلاله هاب واذا نظر الى جماله انبسط وطاب (١) ٠

فلو تركه مع الجلال لعجز عن أموره كثوب ملقى أو جثة بلا روح ولو تركه مع الجمال لجاشت نفسه وتعدت فجعل الله تعالى الهيبة شـــعاره والانس دثاره حتى تستقيم له نفسه ٠

ثم يرقيه الى مرتبة اخرى هى مرتبة الانفراد مرتبة القربة العظمى فمكن له عز وجل بين يديه ونقاه بنوره وفتح له الطريق الى وجدانيته واطلعه على بدء الأمر من قوله الظاهر والباطن قد أحياه الله بنفسه واستعمله فيه ينطق وبه يعلم وبه يعقل كما ذكر فى الحديث القدسى ٠ هو سيد الأولياء وامان اهل الارض ومنظر أهل السماء وخالصـــة الله وموضع نظره وســـوطه فى خلقه يؤدب بكـلامه ويرد الخلق الى طريقه ويجعل منطقه قيدا لقلوب الموحـدين وفصلا بين الحق والباطل وهو ممن اجتباهم الله سبحانه ٠

---

(١) ختم الاولياء ص ٤٠٥

لعلنا نستبين من هذا العرض المنزلة الرفيعة التى يتصورها الحكيم الترمذى لخاتم الأولياء ولسادات الاولياء من المحدثين وحظ كل منهم من اجزاء النبوة وتميز خاتم الاولياء بانه اعظمهم نصيبا من هذه الخطوط وقد تعرض بسبب ذلك لثورة عارمة من كثيرين من معاصرين وتعرض كذلك لاتهام خطير بانه يفضل الاولياء على الانبياء ويتحدث عن الاولياء حديثا لا دليل عليه فاتهمه الناس لذلك وقاطعوه ورفعوا أمره للوالى الذى قضى عليه ان يلزم بيته وحرم عليه الالتقاء بالناس كما رأينا ذلك فى عرضنا لأطوار حياته ٠

وقد تحدث الحكيم باستيعاب عن النبوة والولاية والأنبياء والأولياء والعلاقة بين النبوة والولاية وما يجوز للأولياء وما لايجوز من الكرامات وحسن العاقبة ومعرفة البعيد والمستقبل عن طريق الفراسة ومعرفة الولى نفسه ودرجات الاولياء وهل من الممكن ان يفضل المتأخر المتقدم وتطرق به الحديث الى تجويز أمكانية ان يوجد فى متأخرى الأولياء من يوازى أبا بكر وعمر أو حتى يفضلهما لا فى الاعمال ولكن فى الدرجات وكان ذلك هو السبب الحقيقى للاتهام الذى تعرض له وسنلم بوجهة نظره فى هذه القضايا فى الصفحات المقبلة ٠

العلاقة بين النبوة والولاية :

الاولياء قسمان ، أهل الجباية واهل الهداية كما يقول القرآن الكريم : « الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب » (١) والمجتبون أعلى درجة من المهتدين لأن الله اختارهم منذ البدء فليس لنفوسهم حظ ولا لعملهم أثر فى مكانتهم من الله وبذلك نجوا من أن ينظروا الى أعمالهم حتى لا تكون حجابا بينهم وبين الله ، وهؤلاء المجتبون ، منهم الأنبياء والرسل عليهم السلام ، ومنهم سادة الأولياء من الصديقين والمحدثين والختم ، ويرى الحكيم أن الانبياء قبل أن ينالوا النبوة هم أولياء الله تعالى فلذلك لهم صفتان صفة

---

(١) سورة الشورى رقم ٤٢ الآية ١٣ ٠

النبوة وصفة الولاية ولا يدانيهم فى مكانهم من الله غيرهم والأنبياء جميعا أفضل من الاولياء فتلك قضية لا مجال للنزاع فيها عنده ، ومن كلامه فى ذلك وحاشا لمسلم أن يفضل غير نبى على نبى ، ومن هذا النص يتضح أن ما جاء فى كتب التراجم من اتهامه أنه كان يفضل الأولياء على الأنبياء غير صحيح ولا أساس له ولا سند مما كتبه متصلا بهذا الموضوع الدقيق ، وقد يكون السبب فى هذا الاتهام انه ناقش نقطة أخرى تتعلق بالأنبياء وتفصيلها كالآتى : يقول : ان النبى ولى قبل أن يكون نبيا ، وللولاية مقام روحى عام والنبوة مقام خاص فلهذا كانت ولاية النبى أساسا لنبوته لأنها سابقة عليها، والنبى له صفتان : صفة الولاية وصفة النبوة ، فلو نظرنا الى النبى باعتباره وليا أو نبيا بقصد المفاضلة بين صفتيه فى شخصه ذاته حينئذ يكون وليا أفضل منه نبيا يعنى مفضل على نفسه باعتبارين كما يقول النحاة بتعبير آخر : ولاية النبى افضل من نبوته فالمقارنة واقعة على النبى فى حالته وليس هناك مقارنة بين نبى وغير نبى ، لأن أحدا لا ينازع فى أفضلية النبى على الولي اذا تناولت المقارنة شخصين أحدهما ولى والآخر نبى ، ولعلنا نرى دليل ذلك واضحا فى ترتيب الحكيم للأفضلية عند الله حينما تحدث عن منزلة المحدثين بالنسبة للأنبياء فقال : فالمحدث له الحديث والفراسة والالهام والصديقية ، والنبى له ذلك كله والتنبؤ ، والرسول له ذلك كله والرسالة ، ومن دونهم من الأولياء لهم الفراسة والالهام والصديقية (١) • ثم يحسم القول فى هذا الموضوع حسما قاطعا فى تعقيبه على الحديث « ان لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء لمكانهم وقربهم من الله عز وجل » وقد روى مع هذا الحديث غيره ثم سئل ، أليس فى هذه الاحاديث ما يدل على تفضيل من دون الأنبياء على الأنبياء ، فقال : معاذ الله أن يكون ذلك فانه ليس لأحد ان يفضل على الأنبياء أحد لفضل نبوتهم ومحلهم •

---

(١) ختم الاولياء ص ٣٥٧ و٣٥٨ •

قال له قائل : فلم يغبطوهم وليسوا بأفضل منهم ؟

قال : وقد فسره فى الخبر ، وذلك لقربهم ومكانهم من الله (١) .

ومن هذا يتبين أن ما ذهب اليه الدكتور ابو العلا عفيفى فى كتابه « الثورة الروحية فى الاسلام من ان الحكيم الترمذى يذهب الى تفضيل الاولياء على الأنبياء ليس صحيحا ولست أدرى على أى دليل استند الدكتور عفيفى فى نسبة هذا الرأى الى الحكيم الترمذى (٢)

والحديث الذى نسب للحكيم انه استشهد به على تفضيل الولاية على النبوية لم يثبت من كلام الحكيم ما يفيد ذلك ، وانما الثابت من النص انه نفى أفضلية غير الأنبياء على الأنبياء نفيا قاطعا وانما روى الحديث للاستدلال روى الحديث للاستدلال على مكانة القرب التى ينالها هؤلاء العباد .

ويحسن بنا قبل الانتقال الى موضوع آخر أن نورد تحديد الحكيم الترمذى معنى النبوة والولاية .

معنى النبـوة :

وفى النبوة يقول : النبوة العلم بالله عز وجل على كشف الغطاء وعلى اطلاع اسرار الغيب وهى بصر نافذ فى الأشياء المستورة بنور الله تعالى التام (٣) . والنبوة كلام ينفصل من الله وحيا معه روح من الله ، ويقضى الوحى ويختم بالروح فيه قبوله فهذا الذى يلزم تصديقه ومن رده فقد كفر لأنه رد كلام الله تعالى (٤) .

والولاية لمن ولى الله حديثه على طريق أخرى فأوصله اليه فله الحديث وينفصل ذلك الحديث من الله عز وجل على لسان الحق معه السكينة تتلقاه السكينة التى فى قلب المحدث فيقبله ويسكن اليه (٥) .

---

(١) ختم الاولياء ص ٣٩٤
(٢) التصوف الثورة الروحية فى الاسلام ص ٣٠٤ .
(٣) ختم الأولياء ص ٣٤٢ .
(٤) ختم الاولياء ص ٣٤٦ .
(٥) ختم الاولياء ص ٣٤٦ و ٣٤٧

الفرق بين الرسالة والنبوة :

ومن المفيد هنا ان نشير الى الفرق بين النبوة والرسالة كما يراه الحكيم الترمذى ويأتى هذا الفرق من عرضه للفرق بين النبى والرسول حين يقول : الرسول الذى يكون له كتاب بيده ، والشريعة برأسه ، والنبى الذى لا يكون له كتاب ولا شريعة برأسه لكن يقوم بشريعة الرسول عليه السلام وباقامة كتابه وشريعته (١) ٠

هل يعرف الولى نفسه ويعرف الناس ولايته :

تناول الحكيم هذه الفكرة فى كتابه ختم الاولياء فى معرض الرد على طائفة انكروا أن يكون للولى ذلك وفى مجال هذا العرض يفرق بين نوعين من الأولياء الضعفاء والأقوياء فأؤلاء الذين لم يصلوا الى منزلة القرب ولم ينالوا حراسة الحق عليهم أن يجتنبوا الناس ويخفوا شأنهم لأن شهوات النفس لا زالت حية فى صدورهم ولم تحرق أنوار الوصول الى الله هذه الهنات من النفس ، فهم دائماً حذرون من أدناس النفس ، وان لم يفعلوا ذلك لم يحلوا محل القدس وجلى أن سبب ذلك خلوهم من حراسة الحق التى لم ينالوها بعد ، وهم الذين أطلق عليهم الحكيم « عمال الصدق » ٠

أما سادة الأولياء المجتبون الذين قطع الله لهم قطائع من خزائن المنن ، لما جاءتهم الانوار طارت بقلوبهم الى العلا وجالت بهم فى الملكوت الى ذى العرش ، وهم الذين صقلت نفوسهم حتى صارت كمغازة جرداء وأزهرت قلوبهم بمصباح الله تعالى على حد وصف النبى صلى الله عليه وسلم لهم بقوله : « قلب المؤمن أجرد أزهر » — وقوله : « التقى النقى الذى لا اثم فيه ولا بغى ولا غل ولاحسد ٠٠ » هؤلاء لا يخفون على نفوسهم ولا على الناس ٠ هم حجة الله فى أرضه واعلام هدايته وهم الاقوياء الذين تولى الحق حراستهم ، فليس للنفس عليهم من سبيل لأنهم اعتقوا من رقها ودانوا

---

(١) كتاب معرفة الاسرار مخطوط قسطمونى ورقة ٤٢ ٠

بالعبودة لله وحده ، هكذا كان النبى عليه السلام وهو سيد الأنبياء والأولياء ومن بعده الصديق والفاروق لم يختف واحد منهم ولا جهل الناس مكانتهم » (١) ٠

وقد أورد الكلاباذى اختلاف الشيوخ فى معرفة الولى نفسه فقال : منعها بعضهم لأن ذلك يؤدى الى عدم خوف العاقبة وذلك يؤدى الى الامن واذا وجب له الامن زالت العبودية أما الأجلة الكبار فيجوزون أن يعرف الولى ولايته لأنها كرامة من الله تعالى للعبد ، ومعرفة النعمة والكرامة يؤدى الى زيادة الشكر (٢) ٠

حسن العاقبة : هل للولى أن يبشر بحسن العاقبة ؟ هنا يفرق الحكيم بين أولياء حق الله وبين أولياء الله ويقول انه لا يحقق ذلك بالنسبة لأولياء حق الله ، أما بالنسبة لأولياء الله وهم الذين اجتازوا منزلة القربى فلا يستبعد أن ينالوا تلك البشرى ، ويعلل لهذا الفرق بأن اولياء الله لا يرد على قلوبهم الا ما يورده الحق وتقبله السكينة فلهذا جازت لهم البشرى والاطمئنان اليها وهذا هو معنى قوله سبحانه : « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » (٣) ٠ وقد سأل ابو الدرداء النبى صلى الله عليه وسلم عن البشرى فقال : « هى الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له » (٤) ، وأما من يعارض فى جواز البشرى محتجا بقوله تعالى : « فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون » (٥) فانه يقول : ان تجويز البشرى معناه الأمن من مكر الله ، وهذا دليل على ضلال الذاهبين اليه ، ويرد الحكيم هذا الاعتراض بلباقة واقناع فيقول : ان الله سبحانه حق لا ريب فيه ولا

---

(١) ختم الاولياء ص ٣٦٤ و٣٦٥ ٠

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٧٤ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والاستاذ طه عبد الباقى سرور ٠

(٣) سورة يونس آية رقم ٦٤ ٠

(٤) ختم الأولياء ص ٣٧٣ ٠

(٥) سورة الأعراف آية رقم ٩٩ ٠

تقى قبوله ومن لا يعلم حاله عند الله ان أمن فهو خاسر جاهل ، كأنه حكم على الله من غير أن يحكمه اما من بشره الله فرد بشراه فقد اجترم كما اجترم ذلك الآن بغير علم ، فحق على من لا يعلم أن لا يأمن وحق على من آمن أن يأمن ، ولم يأمن الانبياء الا بعد ما أمنوا بما لهم من النبوة وكذلك الاولياء بما لهم من الولاية (١) .

ويرى أبو القاسم القشيرى جواز البشرى على الأولياء فلا مانع عنده أن يعلم الولى حسن عاقبته (٢) . ويرى كذلك أنه يجوز لبعض الأولياء ان يعلم انه ولى ، ويروى أن أبا على الدقاق يرى أيضا هذا الرأى ، ويضيف القشيرى ان هذا ليس حقا لجميع الأولياء وانما يجوز ان يعلمه بعضهم ويكون ذلك كرامة له ، ثم ينسب لابن فورك أنه يمنع ان يعرف الولى نفسه لأن ذلك يسلبه الخوف ويوجب له الأمن (٣) الا ان الهجويرى ينسب لابن فورك عكس هذا الرأى .

ويرى الكلاباذى ان زوال خوف العاقبة جائز وليس بممتنع ويستدل بتبشير النبى صلى الله عليه وسلم عشرة من أصحابه بالجنة (٤) .

ويتخذ الحكيم من الآية الكريمة « أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه » (٥) .. دليلا على صحة ما يذهب اليه من صحة جواز البشرى على كبار الأولياء بقوله : هل البينة الا ما انكشف عنه من الغطاء وأورده الحق فصار على بينة من ربه ؟ وهل الشاهد الذى يتلوه الا السكينة التى ذكرها الله فى كتابه « هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا

---

(١) ختم الأولياء ص ٣٨٧ و٣٨٨ .
(٢) رسالة القشيرى جـ ٢ ص ٦٦٦ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ومحمد بن الشريف .
(٣) رسالة القشيرى جـ ٢ ص ٦٦٢ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وصاحبه .
(٤) التعرف تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ص ٧٥ .
(٥) سورة هود آية رقم ١٧ .

مع ايمانهم » (١) • فقد أخبر الله عز وجل عن فعل السكينة فى القلب انه يزداد بها طمأنينة فان الحق يقبله القلب والسكينة يسكن اليها (٢) •

ثم يزيد فى الايضاح وفى الوقت نفسه يعطى السبب الذى من أجله لم يجز البشرى بالنسبة لأولياء حق الله وأجازها لأولياء الله فيقول : ان القلب وعاء التوحيد ، والنفس وعاء الشهوة ، والصدر ساحة لهما معا ، ولكل منهما باب الى الساحة التى هى الصدر ، فالنفس لها من أجل ذلك نوع من المشاركة مع القلب فيما يرد فى هذه الساحة ، فما دامت النفس فى غطاء الشهوات لم تؤمن أن تلقى من حديثها فى القلب كى يأخذ بحظها من البدن •

وبالنبوة انكشف الغطاء ولم يبق هناك شىء يحتجب فماتت النفس وحيى القلب فان جاءت البشرى بالنجاة لم يكن هناك نفس تضيق وتعيق وتضر وتستبد (٣) •

والمحدثون من الاولياء الذين أخذوا من أجزاء النبوة أكبرها قد قربوا من الأنبياء محلا فان بشروا بالنجاة لم يكن هناك نفس تضيق وتعيق وتضر وتستبد ، أما الذين منعوا البشرى فهم الذين لم تمت نفوسهم بعد ولهذا لا يأمنون من التخليط ، فالأولون معهم حراسة ، وهؤلاء لم ينالوها بعد ، ومن هنا يفهم تبشير النبى عليه السلام للعشرة من أصحابه بالجنة وذلك لعلمه أن البشرى لا تضرهم وكلهم صديق ولو علم أنها تضرهم لطوى ذلك عنهم (٤) •

ويتلخص رأى الحكيم فى هاتين النقطتين : ظهور الولى واختفاؤه وجواز البشرى بحسن العاقبة فى أنه يرى أن سادة الاولياء الذين تجاوزوا مكان القربة لا يختفون ، وانما يختفى الضعفاء الذين لم يصلوا الى مكان

---

(١) سورة الفتح آية رقم ٤ •
(٢) ختم الاولياء ص ٣٧٤ •
(٣) ختم الاولياء ص ٣٧٤ و٣٧٥ •
(٤) ختم الأولياء ص ٣٧٥ و٣٧٧ •

القربة بعد خوفا من الزلل ، اما بالنسبة للبشرى بحسن العاقبة فهى جائزة للمحدثين من الاولياء المحروسين بالحق ، المؤيدين بالسكينة ولا يجيزها لأولياء حق الله الذين لا زالوا فى طريقهم لم يصلوا بعد الى محل القربة وذلك لأنه لا يؤمن عليهم من مكر النفس واستهواء الشهوات .

وقد عرض الهجويرى لهذين الأمرين فى كتابه كشف المحجوب فقال : من الأولياء أربعة آلاف مختفون لا يعرف أحدهم الآخر ولا يدركون منازلهم العالية وهم فى كل الحالات مختبئون عن أنفسهم وعن الناس جاءت الروايات بهذا والحق من أقوال الاولياء وقد عرفت بنفسى والحمد لله خبر العيان فى هذا الامر .

أما الأولياء الذين يملكون القدرة على الحل والعقد الذين هم حكام فى الحكمة الالهية ومنهم الاخيار وعددهم ثلاثمائة والابدال وعددهم اربعون والابرار وهم ، والاوتاد هم أربعة وثلاثة نقباء وقطب الغوث وهو واحد وهم جميعا يعرف كل منهم الآخر ويعملون باتفاق بينهم ويمضى الجهويرى فيقول : وقد يثير ذلك اعتراض بعض العامة فيقولون اذا كان الأمر كذلك من أن بعض الأولياء يعرف بعضهم عن البعض انهم اولياء فى هذه الدنيا فان ذلك يقتضى انهم يعرفون حظهم فى الآخرة فيأمنون والجواب على هذا الاعتراض كما يقول الهجويرى : ان معرفة الولاية لا تتضمن الأمن فى الآخرة لأن المؤمن الذى يعرف ايمانه لا يعنى ذلك ان يكون آمنا ، فلماذا لا يكون الأمر كذلك بالنسبة للولى الذى يعرف ولايته .

ومع ذلك فمن الممكن ان يكرم الله وليه فيطلعه على مكانه فى الحياة الآخرة، وينال البشرى بحسن العاقبة ما دام مؤيدا بروح من الله محفوظا من المعصية .

وأيما كان الأمر فان آراء الشيوخ مختلفة بالنسبة لمعرفة الولى نفسه اذا كان من الاربعة آلاف المختفين .

ويرى ابو اسحاق الاسفرايينى وبعض القدماء ان الولى يجهل ولايته بينما يذهب أبو بكر بن فورك وآخرون من الجيل الماضى الى انه عالم بها .

يقول الهجويرى وأنا أسأل الفريق الأول : ما هو الضرر ان يعرف الولى نفسه فاذا ادعوا انه سيغتر حينما يعرف ذلك اقول لهم : ان العناية الالهية من مستلزمات الولاية ، والذى يحفظ من الشر لا يقع فى غرور النفس (١) ٠

وبمقارنة ما عرضه الهجويرى بما قرره الحكيم الترمذى نرى ان الهجويرى لم يخرج فى جوهر ما قاله عن رأى الحكيم غير أن الحكيم قد أوفى الموضوع تفصيلا واستدلالا وشرحا ، ولعلنا حينما نعلم ان الهجويرى قال رأيه هذا فى معرض حديثه عن فرقة الحكيمية التى تمضى على منهج الحكيم فى الولاية ندرك مدى أخذه من آرائه واعتماده على فكره وسيبدو لنا فيما بعد ان هذا ليس بالنسبة للهجويرى فقط ، بل بالنسبة لكل من كتب فى موضوع الولاية فى الفكر الاسلامى بعد الحكيم الترمذى سواء أكان مؤيدا لرأيه و معارضا له قد اعتمد على فكره اعتمادا كليا وكانت آرؤه هى الاساس الذى قام عليه منهج الباحثين من بعده ٠

معرفة الولى للغيب :

يترتب على ما سبق من اجازة الحكيم أن يعرف المحدثون من الاولياء حسن عاقبتهم فى الآخرة وان يدركوا حال ولايتهم ان يقال ان الولى يطلع على الغيب ويخبر عن المستقبل والحكيم يرى أن كبار الاولياء يمكن فى حقهم ان يعرفوا الغيب ، لأن الله قد أعطاهم نورا فى قلوبهم يكشفون به عن أشياء تأتى فى المستقبل او تقع فى أماكن بعيدة لا تكشفها القوى البشرية العادية وانما يدركها الاولياء بفضل ما زودهم الله به من شفافية القلوب واستنارة البصيرة فتنطلق أرواحهم من ظلمات المادة وأسر الجسم حتى ترى ما لايراه الآخرون وان كانوا معا فى مكان واحد وتحس بنور الله ما يأتى فى المستقبل فتراه مشاهدا كأنه واقع حاضر وبعض هذه الامور يدرك بالفراسة التى زود الله بها المحدثين من أوليائه والتى يقول فيها النبى صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » وبهذه

---

(١) كشف المحجوب ترجمة نيكلسون ص ٢١٤ ٠

الفراسة رأى عمر بن الخطاب فى الأشتر النخعى ما يكون منه فقال حينما رآه : « قاتله الله ؛ انى لأرى منه للمسلمين يوما عصيبا » وقد تحقق ما قال عمر ، وبهذا النور الذى يطلق الروح من اسار الجسم المادى فترى ما لايراه الاخرون نادى عمر وهو على منبر المسجد فى المدينة على سارية قائد جيش المسلمين وهو على مسيرة شهر من مكان عمر وقد رأى الشدة التى يتعرض لها المسلمون ـ بما كشف الله عن بصيرته فقال : « يا سارية الجبل الجبل » فانحاز الجيش الى الجبل بعد ما سمعوا نداء عمر ونجى الله المسلمون من عدوهم بفضل ذلك الصوت الذى جاء عبر آلاف الاميال وكشف الله عن بصيرة عمر فرأى ذ ك الخطر المحدق كأنه أمامه ينظر اليه وذلك حدث تاريخى ثابت لا مجال للنزاع فيه (١) وبهذا النور أيضا قال أبو بكر لعائشة ما قال فى شأن المال الذى كان قد نحلها اياه انما هو اخوك واختاك فقالت : يا أبت ليس لى الا أخت فقال : انه قد القى فى روعى ان الذى فى بطن بنت حارثة ـ يعنى زوجته ـ بنت فكان كما قال (٢) فهل هذا الا اخبار بغيب هيأ الله له سادة الاولياء بما أفاض عليهم من نوره ويورد الحكيم الترمذى أمثلة أخرى يؤيد بها وجهة نظره فى جواز اطلاع بعض الاولياء على الغيب .

وفى معرض تناوله لرأيه يورد اعتراض المانعين لجواز معرفة الولى للغيب ويرد عليه ويستدل المانعون بقوله تعالى : « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله » (٣) قائلين : ان علم الغيب عند الله طبقا لهذه الآية الكريمة ويعقب الحكيم عليهم بقوله : والغيب حقا عند الله تعالى ولكن كم من غيب أطلع الله عليه رسوله وكم من غيب أطلع الله عليه أنبياءه ، وكم من غيب أطلع الله عليه أهل الفراسة والالهام حتى نطقوا بما نطقوا وفيما سقنا من حديث أبى‌بكر وعمر دليل على ذلك ثم يزيد الموضوع ايضاحا بقوله : ان هناك من الغيب عند الله تعالى ما يكاد يخفيه من نفسه وهو الساعة كما

(١) ختم الاولياء ص ٣٩١ .
(٢) ختم الاولياء ص ٣٩٧ .
(٣) سورة النمل آية ٦٥ .

يقول القرآن الكريم : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمهـا عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والأرض لاتأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها قل انما علمهـا عند الله ولكن أكثر النـاس لا يعلمـون (١) ٠

وهناك من الغيب ما يطلع عليه من ارتضى من رسله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احـدا الا من ارتضى من رسـول (٢) ، وهنـاك من الغيب ما أطلع عليه الأنبياء عن طريق الوحى وهم ليسوا برسل وهناك من الغيب ما يطلع عليه أولياءه عن طريق الفراسة والالهام ، وهو ما كان لأبى بكر وعمر وسلمان وأويس وهرم مما فاضت به الأخبـار وأظهر الله عليه الأوليـاء والمحـدثين (٣) ٠

الكـرامات :

كما نازع كثير من الناس فى جواز البشرى للأولياء وفى معرفة الغيب فانهم نازعوا أيضا فى اثبات الكرامات لهم ، ويؤكد الحكيم الترمذى حصول الكرامات للاولياء ويقول اذا كانت الولاية من الله تعالى حقا لعباده فبشراه لهم حق ، وقد جاء فى القـرآن الكريم الحديث عن مريم لما بشـرت بعيسى وجاءت الأخبار بأنها كانت تجد فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصـيف فى الشتاء ٠

وفى القرآن الكريم ايضا قصة أهل الكهف وذى القرنين والخضر الذى عنده علم من الكتاب لما أتي نبى الله سليمان بعرش بلقيس « قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضـل ربى ليبـونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه

---

(١) سورة الاعراف آية رقم ١٨٧ ٠
(٢) سورة الجن آية رقم ١٨٧ ٠
(٣) ختم الأولياء ص ٣٩٨ ٠

ومن كفر بى فان ربى غنى كريم » (١) وفى حياة الصحابة وسابقى هذه الأمة من ذلك الشيىء الكثير ويستدل الحكيم لهذا وما قبله من جواز البشرى ومعرفة الغيب بالحديث الشريف : (ان لله عباد ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء لمكانهم من الله) • ثم يسوق احاديث أخرى تؤيد وجهة نظره وقد بلغ من اهتمام الحكيم بهذا الأمر أن كتب فيه كتابا مستقلا سماه الفرق بين الآيات والكرامات اخذ يناقش فيه رأى المانعين لوقوع الكرامات للأولياء ويرد عليهم ويؤيد رأيه بالكتاب والسنة ثم ساق طائفة من الأحاديث بأسانيدها وأخبارا مروية عن الشيوخ والصحابة والتابعين تدل على وقوع الكرامات وحدوثها باطراد (٢) •

وقد أخذ حديث الكرامة والمعجزة حيزا واسعا فى الفكر الاسلامى وتنوعت فيه الآراء بين مؤيد ومعارض وكون مبحثا أساسيا من مباحث علم الكلام طال فيه الجدل بين الاشاعرة والمعتزلة ، على أن الصوفية جميعا قد أطبقوا على جواز الكرامات على الأولياء ، وأما علماء الظاهر فقد اختلفت آراؤهم بين مجوز ومانع ، وحجة المانعين أن تجويز الكرامات للاولياء يؤدى الى الالتباس بمعجزات النبيين وذلك يفتح باب الفتنة •

ولا تجد كتابا من كتب التصوف الا وقد عقد فصلا خاصا بالكرامات وجوازها على الأولياء ومناقشة آراء المانعين لوقوعها والاستشهاد لجواز وقوعها بما جاء من آيات تتعلق بوقوعها وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك ماروى عن كبار الشيوخ من الصوفية •

فعل ذلك أبو نصر السراج الطوسى فى كتابه اللمع (٣) وكتب الكلاباذى فصلا ممتعا عن الأولياء وكراماتهم وأحوالهم فى كتابه التعرف لمذهب

---

(١) سورة النمل آية رقم ٤٠

(٢) الفرق بين الآيات والكرامات مخطوط اسماعيل صائب ورقات ١٥٣ و١٧٨ •

(٣) اللمع ص ٣٩٣ ـ ٤٠٨ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود و طه عبد الباقي سرور •

أهل التصوف (١) كما ناقش بعض الأفكار الأخرى المتعلقة بالأولياء في نفس الفصل مثل : معرفة الولي نفسه وتقسيم الولاية ومعرفة الولي عاقبته والحفظ من الشيطان وعرض الفرق بين المعجزة والكرامة ومايتعلق بهذه الأبواب من المباحث والفروع .

ويرى أبو القاسم القشيري أن ظهور الكرامات على الاولياء جائز وان ظهورها علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله ولولا صدقه لما جاز ظهور مثلها عليه .

ثم يأخذ في الاستدلال على ظهورها بأنها أمر ممكن حدوثه عقلا ولا يؤدي وقوعها الى رفع أصل من الأصول ، والله سبحانه واجب وصفه بالقدرة ، وما دام الشيء مقدورا له سبحانه فلا شيء يمنع من جوازه ويرى كذلك أن الكرامة امر خارق للعادة يظهر على متصف بالولاية تصديقا له وتفضيلا وتكون في حالة ايام حياته وقد تحصل باختياره ودعائه وقد لا تحصل له وقد تكون بغير اختياره في بعض الاوقات ، ولم يؤمر الولي بدعاء الخلق الى نفسه ويجوز اظهار ذلك لمن هو أهل له (٢) .

أما أبو اسحاق الاسفراييني فيرى أن للأولياء كرامات كاجابة الدعوة لكن لا تكون من جنس ما هو معجزة للانبياء لأن المعجزات دلالات صدق الانبياء ودليل النبوة لا يوجد مع غير نبي (٣) .

ويقول ابو بكر بن فورك : المعجزات دلالات الصدق فان ادعى صاحبها النبوة فالمعجزة تدل على صدقه في مقاله وان أشار صاحبها الى الولاية دلت المعجزة على صدقه في حالته فتسمى كرامة ولا تسمى معجزة وان كانت من جنسها للفرق بينهما ويرى ان الانبياء مأمورون باظهار معجزاتهم ، اما الاولياء

---

(١) التعرف ص ٧١ - ٧٩ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور .
(٢) رسالة القشيري جـ ٢ ص ٦٦٢ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ومحمود الشريف .
(٣) نفس المصدر السابق .

فيجب عليهم سترها واخفاؤها ، والنبيون يدعون المعجزة ويقطعون القول بها والأولياء لا يدعون ولا يقطعون بكراماتهم لجواز ان تكون مكرا (١) •

ويرى الأشعرى أن المعجزات تختص بالأنبياء ، والكرامات تكون للانبياء والأولياء ، وليس للاولياء معجزة لأن شرطها اقتران دعوى النبوة بها والمعجزة لم تكن معجزة لذاتها وانما لاقترانها على شروط كثيرة فمتى اختل شرط لا تكون معجزة واحد تلك الشرائط دعوى النبوة ، والولى لا يدعى النبوة فالذى يظهر عليه لا يكون معجزة (٢) •

ويقول امام الحرمين ابو المعالى الجوينى فى كتابه الارشاد : الذى صار اليه أهل الحق جواز انخراق العادات فى حق الاولياء واطبقت المعتزلة على منع ذلك • ولا يرى فرقا بين المعجزة والكرامة الا باقتران المعجزة بدعوة النبوة (٣) ومما قاله يفهم أن المعتزلة يمنعون كرامة الاولياء ولكنه لم يقدم تفصيلا لوجهة نظرهم •

حراسة الحق :

الولى الذى ينال فضل الله باجراء الكرامات على يديه يحفظه الله كذلك من الوساوس والشيطان لأن هذه المنازل لا ينالها الا سادات الأولياء من المحدثين والصديقين اهل الجباية والجذب أما من هم سواهم ممن لا زالت مشيئات نفوسهم حية فى صدورهم فليس لهم ذلك لأنه لا يؤمن عليهم من التخليط ووسوسة الشيطان ، أما سادات الاولياء فهم محرسون بالحق مؤيدون بالسكينة ، فلذلك لا يرد على قلوبهم الا ما تطمئن اليه السكينة وما اعطاهم الله من الفراسة والالهام والتحديث انما يأتى به الحق وتتقبله السكينة ولا تقبل شيئا يخالف الشريعة ، كما ان الانبياء يعلمون بطريق

---

(١) الرسالة القشيرية جـ ٢ ص ٦٦٢ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف •

(٢) المصدر السابق

(٣) الارشاد لامام الحرمين الجوينى ص ٣١٦ تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى والشيخ على عبد المنعم •

الوحي وتقبله الروح (١) . والفارق بين العلمين أن علم الأنبياء والرسل يكفر من يرفضه ، اما علم الاولياء فلا يكفر من يرفضه وانما يخشى على من يرفضه سوء الخاتمة . وبهذه السكينة التى تؤيد كبار الاولياء عرفت مريم ان النداء الذى تسمعه حق فاطمأنت اليه ولذلك مدحها القرآن الكريم بقوله : « فصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » ، وأطلق الحكيم الترمذي على هذه الحراسة اسم العصمة سواء بالنسبة للانبياء او الاولياء الا ان جمهور الشيوخ يجعل العصمة للانبياء والحفظ للاولياء .

وفى الوقت الذى يؤكد فيه الحكيم جواز حفظ الولى من القاء الشيطان ومن التخليط ومن وسوسة النفس فانه يجوز ان يقع فى الخطيئة ويرتكب المعصية (٢) وهذا هو رأى ابى القاسم الجنيد أيضا فانه حينما سئل : العارف يزنى يا أبا القاسم ؟ أطرق مليا ثم رفع رأسه وتلا قوله تعالى : « وكان أمر الله قدرا مقدورا » (٣) .

ويرى الكلاباذى مثل هذا الرأى فيقول : ويكون صاحبها (الولاية الخاصة) محفوظا عن النظر الى نفسه فلا يدخله عجب ويكون مسلوبا عن الخلق بمعنى النظر اليهم بحظ فلا يفتتونه ويكون محفوظا عن آفات البشرية وان كان طبع البشرية قائما معه باقيا فلا يستحلى حظا من حظوظ النفس استحلاء يفتنه فى دينه واستحلاء الطبع قائم فيه ، وهذه هى خصوص الولاية من الله للعبد ، ومن كان بهذه الصفة لم يكن للعدو اليه طريق بمعنى الاغواء لقوله عز وجل « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان » . وهو مع هذا ليس بمعصوم من صغيرة ولا كبيرة فان وقع فى احداهما قارنته التوبة الخالصة (٤) وهذا هو مايذهب اليه عماد الدين الأموي فى كتابه « حياة القلوب » (٥) .

---

(١) ختم الاولياء ص ٣١٩
(٢) ختم الاولياء ص ٣١٩
(٣) رسالة القشيرى ص ٦٦٥ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود .
(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٧٥ .
(٥) حياة القلوب على هامش قوت القلوب ج ٢ ص ٢٨٦

الا أن الملاحظ أن كل الكتاب الذين تناولوا فكرة الحراسة هذه يعبرون عنها بالعصمة اذا اضيفت الى الانبياء وبالحراسة وبالحفظ اذا اضيفت الى الاولياء ولكن الحكيم يطلق لفظ العصمة بالنسبة للانبياء والاولياء على السواء ، وان كان يفهم من كلامه ان نوعية الحراسة هذه تختلف بالنسبة للنبيين عنها بالنسبة للاولياء الا أن مجرد الأشتراك في التسمية أمر يتلقاه العلماء بالتحفظ والحذر ولعل مثل هذه التسميات من بين الاسباب التى عرضت الحكيم لبعض الاتهامات التى نالته من معاصريه ، هذا على الرغم من أن الحكيم يتحدث عن كيفية هذه الحراسة بصورة مفصلة لا تجدها عند غيره من الباحثين فى هذا الموضوع ..

وتدور على لسان الحكيم الترمذى كلمات النجوى والفراسة والحديث والالهام وسواها ، ويجدر بنا ان نلم بالمقصود من كل هذه الكلمات على السنة الشيوخ وخاصة الحكيم فالنجوى لأهل الطريق وهى من العطاء الالهى ترمى الى الولى مقالات من بعد كأن قائلا يقول كذا وصاحبها فى ريب لا يأمن أن يخالطه العدو بشىء أو تمازجه النفس بخدعها ودواهيها ومكرها ووسوستها .

اما الحديث فانه يكون لسادات الأولياء من المحدثين وهو الحكمة العليا التى يقال لها حكمة الحكمة وصاحبها محفوظ من تخليط العدو ومن وسوسة النفس ولا يخاف صاحب الحديث من ذلك لحراسة الحق والسكينة (١) .

وقد أعطانا نماذج ثلاثة لكيفية الحديث فقال : انه يكون أحيانا فى المنام وهو المقصود بالرؤيا الصالحة وهى المبشرات التى وردت فى الحديث الشريف : « لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له » ، وهى جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة : واحيانا تكون فى اليقظة على القلب عن طريق

---

(١) ختم الأولياء ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .

السكينة التى ركزها الله فى القلوب لتكون داعية الى الطمانينة تصديقا لقول الله تعالى : « هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم » وصاحبها يكون حظه أكثر من ثلث النبوة على قدر قربه من الله تعالى ، وأحيانا تكون بالالهام وهو الذى يخفق على القلب بالروح (١)، وقد عبر الحكيم عن هذه الحالة بالوحى الا أننى أهاب أن أنسب الوحى الا للانبياء عليهم السلام ، وظنى أن الحكيم لا يقصد نوع الوحى الذى يكون للانبياء لأنه فرق بينهما فى مواطن أخرى . ويضع الحكيم ترتيبا يتناول الأفضلية بالنسبة للانبياء والرسل والاولياء فيقول : ان المرسلين لهم الرسالة والنبوة والحديث والفراسة والالهام والصديقية .

والانبياء لهم النبوة والحديث والفراسة والالهام والصديقية .

والمحدثين لهم الحديث والفراسة والالهام والصديقية ومن دونهم من الاولياء لهم الفراسة والالهام والصديقية ، والمحدث محروس بالحق مؤيد بالسكينة تجوز له البشرى ويطلعه الله من علمه على ما يشاء وقد كان عمر ابن الخطاب منهم فقد قال النبى عليه السلام : (قد كان فى الامم قبلكم محدثون فان يكن فى أمتى فعمر) وكان ابن عباس يقرأ : « وما أرسلنا من قبلك رسولاً ولا نبى ولا محدث » : فقرن المحدث بالنبى والرسول ، وتلك الحراسة هى التى نستطيع أن نفهم على ضوئها قول النبى صلى الله عليه وسلم فى عمر :) ما لقى الشيطان عمر الا فر لوجهه) ، فان ورد على قلب المحدث شيىء لا يوافق الكتاب والسنة فان ولاية الله تغيثه وتنسخ عنه ذلك كما أن النبوة تغيث الأنبياء .

أما الفراسة فيقول الحكيم الترمذى عنها : انها سبر القلب واطلاعه على الأسرار من غير سماع ولا علة ظاهرة ، وفعله الحكم على ما يقع له بما يورثه سبحانه وتعالى (٢) .

ويقول صاحب مدارج السالكين شارحا قول صاحب المنازل : « وتنبت

---

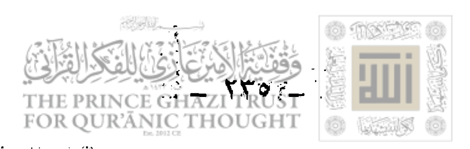
(١) نوادر الأصول ص ١١٨ ـ ١١٩ .
(٢) كتاب معرفة الأسرار مخطوط قسطمونى ورقة ٢١١ .

الفراسة : (يعني ان البصيرة تثبت الفراسة) يعني ان البصيرة تثبت في أرض القلب الفراسة الصادقة ، وهي نور يقذفه الله في القلب يفرق فيه بين الحق والباطل والصادق والكاذب ، قال تعالى : « ان في ذلك لآيات للمتوسمين » (١) قال مجاهد للمتفرسين وفي الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : (اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله عز وجل) ثم قرأ « أن في ذلك الآيات للمتوسمين » والتوسم تفعل من السما وهي العلامة فسمى المتفرس متوسما لأنه يستدل بما يشهد على ما غاب ويستدل بالعيان على الايمان ٠٠ ثم يقول : وعلى حسب قوة البصيرة وضعفها تكون الفراسة ، وهي نوعان : فراسة علوية شريفة مختصة بأهل الايمان ، وفراسة سفلية دنية مشتركة بين المؤمن والكافر ، وهي فراسة أهل الجوع والسهر والخلوة وتجريد البواطن من أنواع الشواغل فهؤلاء لهم فراسة كشف الصور والاخبار بالمغيبات ببعض المغيبات السفلية التي لا يتضمن كشفها والاخبار بها كمالا للنفس ولا زكاة ولا ايمانا ولا معرفة ، وهؤلاء لا تتعدى فراستهم هذه السفليات لأنهم محجوبون عن الحق تعالى فلا تصعد فراستهم الى التمييز بين أوليائه وأعدائه ٠

وأما فراسة الصادقين العارفين بالله وأمره فان همتهم لما تعلقت بالله ومعرفته وعبوديته ودعوة الخلق اليه على بصيرة كانت فراستهم متصلة بالله متعلقة بنور الوحي مع نور الايمان فميزت بين ما يحبه الله وما يبغضه من الأعيان والأقوال والأعمال ، وميزت بين الخبيث والطيب والمحق والمبطل والصادق والكاذب وعرفت مقادير استعداد السالكين الى الله فحملت كل انسان على قدر استعداده علما وارادة وعملا ففراسة هؤلاء دائما دائمة حول كشف طريق الرسول وتعرفها وتخليصها من بين سائر الطرق وبين كشف عيوب النفس وآفة الأعمال العائقة عن كشف سلوك طريق المرسلين فهذا

---

(١) سورة الحجر آية رقم ٧٥



اشرف انواع البصيرة والفراسة وأنفعها للعبد فى معاشه ومعاده (١)

جواز ان يكون بين متأخرى الاولياء من يفضل متقدميهم :

لما أفاض الحكيم فى الحديث عن درجات الأولياء وتحدث عن ختم الأولياء حديثا يكاد يلحقه بالأنبياء سئل : هو يوجد فى زمانه من يوازى أبا بكر وعمر ؟ وفى الاجابة عن هذا السؤال يميز بين شيئين :الأعمال والدرجات ، ويرى أنه غير ممكن أن يوازى أى ولي مكانه أبي بكر وعمر اذا أخذنا في الاعتبار الأعمال لأن كلا منهما قد قام بأعمال لم يتهيأ لغيرهما من الأمة القيام بها ، فقام أبو بكر بحروب الردة وثبت دعائم الاسلام بعد ما كادت تعصف به الفتن وبه رد الله الاسلام على الأمة ، وأما عمر فقد مصر الأمصار ووضح السنن وبوأ الاسلام ومهد له حتى ورد الخلق بعده على أوسع منهاج وأوضحه وهذا عمل لم يتهيأ لغيرهما ، ولهذا ورد ذكرهما فى الحديث الشريف الذى يقول : (خرجت من باب الجنة فأتيت الميزان فوضعت فى كفة وأمتى فى كفة فرجحت بالأمة ، ثم وضع أبو بكر فرجح بالأمة ، ثم وضع عمر مكان أبى بكر فرجح بالأمة) حدث هذا مع أنه كان فى الأمة عثمان وعلى وما كان ذلك الا لأن ما قاما به لم يهيأ لغيرهما ٠

أما اذا تناولت الافضلية اليقين ووصول القلوب لا الأعمال فليس بممنوع أن يكون لمن بعدهما مثلهما أو أكثر منهما ويعلق الحكيم قائلا : فمن الذى حرز رحمة الله عن أهل هذا الزمان حتى لا يكون فيهم سابق ولا مقرب ولا مجتبى ولا مصطفى ؟ أليس المهدى كائنا فى آخر الزمان ؟ أو ليس كائنا فى الزمان من له ختم الولاية وهو حجة الله على جميع الأولياء يوم الموقف (٢) ، ويؤيد وجهة نظره هذه بالاستدلال بالحديث الشريف الذى

---

(١) مدارج السالكين ص ٢١ ٠
(٢) ختم الاولياء ص ٤٣٦ ٠

يقول : (ان أهل الغرف ايرون فى أعلى الدرجات كما يرى الكوكب الدرى فى الأفق وأن أبا بكر وعمر منهم) ثم يعقب على الحديث بقوله : ان الحديث لم يقل أن أهل الغرف يكونون فى أوائل الأمة أو فى آخرها (١) ٠

وأهل الغرف هم المقربون أهل عليين الذين وصفهم الله فى التنزيل فقال : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ، انها ساءت مستقرا ومقاما ، والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ، والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهانا ، الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ، ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا ، والذين لا يشهدون الزور واذ مروا باللغو مروا كراما ، والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ، والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما ، أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما ، خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما ، قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما » (٢) ثم يعقب الحكيم بعد ايراد هذه الآيات الكريمات بقوله : فهم انما استحقوا أن يكونوا من أهل الغرف بصبرهم على هذه الاخلاق التى عددتها الآيات وانما يصبر على هذه الاخلاق والاداب والهيبة من ملأ الله قلبه معرفة به وشرح صدره بنوره واحيا قلبه به والصبر الدوام والثبات على الشىء ، فهل يكون ذلك الا لمن يكون باطنه مشحونا بما ذكرناه (٣) ٠

---

(١) ختم الاولياء ص ٤٣٩ ٠
(٢) الفرقان آية رقم ٦٣ ـ ٧٧
(٣) ختم الأولياء ص ٤٣٩ ، ٤٤٠ ٠

علم الاولياء : الاولياء الذين استكملوا خصال الولاية العشر فتح لهم فى الغيب الأعلى حتى لاحظوا ملك الملك فكشف لهم الغطاء عن العلم الذى يطالعون به تدبير الله فى أنواع من المعارف لا ينالها الا هؤلاء الصنف من خاصة أهل الله من الانبياء والأولياء ، وهذه المعارف الخاصة بهم والتى لا يعرفها سواهم هى اجابات الأسئلة الخمسة والخمسين ومائة التى جاء بها الحكيم فى معرض رده على المدعين أن لهم فى الولاية نصيبا تلك الأسئلة التى تولى ابن عربى الاجابة عنها مرتين ، الأولى فى كتاب مستقل سماه القسطاس المستقيم فيما سأل عنه الترمذى الحكيم (١) وأحيانا يسميه المسائل الروحانية (٢) وأجاب عنها مرة أخرى بتفصيل أوسع فى كتابه « الفتوحات المكية » الجزء الثانى ويلاحظ أن الأسئلة التى جاءت فى ختم الأولياء بلغت سبعة وخمسين ومائة اما الامور المسئول عنها فهى :

١ ـ صف لنا منازل الاولياء اذا استفرغوا مجهود الصدق كم عدد منازلهم ؟ .

٢ ـ وأين منازل أهل القربى ؟ .

٣ ـ وأين الذين جاوزوا العساكر ؟ وبأى شىء جاوزوا ؟ .

٤ ـ والى أين منتهاهم ؟ .

٥ ـ وأين مقام أهل المجالس والحديث ؟ .

٦ ـ وكم عددهم ؟ .

٧ ـ وبأى شيىء استوجبوا هذا على ربهم ؟ .

٨ ـ وما حديثهم ونجواهم ؟ .

---

(١) مخطوط بيازيد رقم ٣٧٥ وقد جاء به الدكتور يحيى فى هوامش ختم الاوليـاء .

(٢) مخطوط دار الكتب المكتبة التيمورية رقم ٣٥٥ ، وقد افرد ابن عربى كتابا فى الاجابة عن السؤال ١٥٣ وهو مخطوط فى مكتبة الاسكندرية رقم ٤٦٧ ج .

٩ ـ وبأى شىء يفتتحون المناجاة ؟ •

١٠ ـ وبأى شىء يختمونها ؟ •

١١ ـ وبماذا يجابون ؟ •

١٢ ـ وكيف يكون صفة سيرهم ؟ •

١٣ ـ ومن الذى يستحق خاتم الأولياء كما استحق محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبوة ؟

١٤ ـ وبأى صفة يكون ذلك المستحق لذلك ؟ •

١٥ ـ وما سبب الخاتم وما معناه ؟ •

١٦ ـ وكم مجالس الملك حتى يوصل اليه ؟ •

١٧ ـ وأين مقام الرسل من مقام الأنبياء ؟ •

١٨ ـ وأين مقام الانبياء من مقام الأولياء ؟ •

١٩ ـ وأى شىء حظ كل رسول من ربه ؟ •

٢٠ ـ وأى اسم منحه من اسمائه ؟ •

٢١ ـ وأى شىء حظوظ الأولياء من أسمائه ؟ •

٢٢ ـ وأى شىء علم البدء ؟ •

٢٣ ـ وقوله : كان الله ولا شىء معه ؟ •

٢٤ ـ وما بدء الاسماء ؟ •

٢٥ ـ وما بدء الوحى ؟ •

٢٦ ـ وما بدء الروح ؟ •

٢٧ ـ وما بدء السكينة ؟ •

٢٨ ـ وما العـــدل ؟ •

٢٩ ـ وما فضل بعض النبيين على بعض وكذلك الأولياء ؟ •

٣٠ ـ وخلق الله الخلق فى ظلمة ؟ •

٣١ ـ وما قصتهم هناك ؟ •

٣٢ ـ وكيف صفة المقادير ؟ •

٣٣ ـ وما سبب عـلم القدر الذى طوى عن الرسل فمن دونهم ؟ •

٣٤ ـ ولأى شىء طوى عنهم ؟ •

٣٥ ـ ومتى ينكشف لهم سر القدر؟ .

٣٦ ـ وأين ينكشف لهم ؟ .

٣٧ ـ ولمن ينكشف منهم ؟ .

٣٨ ـ وما الاذن فى الطاعة والمعصية من ربنا ؟

٣٩ ـ وما العقل الاكبر الذى قسمت منه العقول لجميع خلقه ؟ .

٤٠ ـ وما صفة آدم عليه السلام ؟ .

٤١ ـ وما توليته ؟ .

٤٢ ـ فطرته ؟ .

٤٣ ـ وما الفطـــرة ؟

٤٤ ـ ولم سماه بشرا ؟ .

٤٥ ـ وبأى شىء نال التقدمة على الملائكة حتى أمرهم بالسجود له ؟ .

٤٦ ـ وكم عدد الأخلاق التى منحه عطاء ؟ .

٤٧ ـ وكم خزائن الأخلاق ؟ .

٤٨ ـ وقوله عليه السلام « ان لله مائة وسبعة عشــــر خلقا » ما تلك الاخـــــلاق ؟ .

٤٩ ـ وكم للرســـــل منهــــا ؟ .

٥٠ ـ وكم لمحمد صلى الله عليه وسلم ؟ .

٥١ ـ وأين خزائن المنن ؟ .

٥٢ ـ وأين خزائن سعى النفوس ؟ .

٥٣ ـ ومن أين يعطى الانبياء ؟ .

٥٤ ـ وأين خزائن المحدثين من الأولياء ؟ .

٥٥ ـ وما الحـــديث ؟ .

٥٦ ـ وما الوحى ؟ .

٥٧ ـ وما الفرق بين النبيين والمحدثين ؟ .

٥٨ ـ وأين مكانهم منهم ؟ .

٥٩ ـ واين سائر الاولياء ؟ .

٦٠ ـ وما حوض الوقوف ؟ .

٦١ ـ وكيف صار أمره كلمح البصر ؟ •

٦٢ ـ وأمر الساعة أقرب من لمح البصر ؟ •

٦٣ ـ وما كلام الله تعالى لعامة أهل الوقوف ؟

٦٤ ـ وما كلامه للموحدين ؟ •

٦٥ ـ وما كلامه للرسل عليهم السلام ؟

٦٦ ـ والى اين يأوون يوم القيامة من العرصة ؟ •

٦٧ ـ وكيف مراتب الاولياء يوم الزيارة ؟ •

٦٨ ـ وما حظوظ الانبياء من النظر اليه تعالى ؟ •

٦٩ ـ وما حظوظ المحدثين من النظر اليه ؟ •

٧٠ ـ وما حظوظ سائر الأولياء من النظر اليه ؟ •

٧١ ـ وما حظوظ العامة من النظر اليه ؟ •

٧٢ ـ وقوله : ان الرجل منهم ينصرف بحظه من ربه فيذهل أهل الجنان عن نعيمهم اشتغالا بالنظر اليه ؟ •

٧٣ ـ وما المقام المحمود ؟ •

٧٤ ـ وبأى شيء ناله ؟ •

٧٥ ـ وكم بين حظ محمد صلى الله عليه وسلم وحظوظ سائر الانبياء عليهم السلام ؟ •

٧٦ ـ وما لواء الحمد ؟ •

٧٧ ـ وبأى شيء يثنى عليه ربه عز وجل حتى يستوجب لواء الحمد ؟ •

٧٨ ـ وماذا يقدم الى ربه من العبودية ؟ •

٧٩ ـ وبأى شيء يختمه حتى يناوله مفاتيح الكرم ؟ •

٨٠ ـ وما مفاتيح الكرم ؟ •

٨١ ـ وعلى من توزع عطايا ربنا ؟ •

٨٢ ـ وكم أجزاء النبوة ؟ •

٨٣ ـ وما النبوة ؟ •

٨٤ - وكم أجزاء الصديقية ؟ •

٨٥ - وما الصديقية ؟ •

٨٦ - وعلى كم سهم ثبتت العبودية ؟ •

٨٧ - وما يقتضى الحق من الموحدين ؟ •

٨٨ - وما الحق ؟ •

٨٩ - وماذا بدؤه ؟ •

٩٠ - وأى شىء فعله فى الخلق ؟ •

٩١ - وبماذا وكل ؟ •

٩٢ - وما ثمرته ؟ •

٩٣ - وما المحق ؟ •

٩٤ - وأين محل من يكون محقا ؟ •

٩٥ - وما سكينة الأولياء ؟ •

٩٦ - وما حظ المؤمنين من قوله : الظاهر والباطن والأول والآخر ؟ •

٩٧ - وما حظ المؤمنين من قوله : كل شىء هالك الا وجهه ؟ •

٩٨ - وكيف خص ذكر الوجه ؟ •

٩٩ - ما مبتدأ الحمد ؟ •

١٠٠ - وما قوله : آمين ؟ •

١٠١ - وما السجود ؟ •

١٠٢ - وما بدؤه ؟ •

١٠٣ - وما قوله : العزة ازارى ؟ •

١٠٤ - وما قوله : العظمة ردائى ؟ •

١٠٥ - وما الازار ؟ •

١٠٦ - وما الرداء ؟ •

١٠٧ - وما الكبرياء ؟ •

١٠٨ - وما تاج الملك ؟ •

١٠٩ - وما الوقار ؟ •



١١٠ - وما صفة مجالس الهيبة ؟ •

١١١ - وما صفة ملك الآلاء ؟ •

١١٢ - وما صفة ملك الضياء ؟ •

١١٣ - وما صفة ملك القدر ؟ •

١١٤ - وما القدس ؟ •

١١٥ - وما سبحات الوجه ؟ •

١١٦ - وما شراب الحب ؟ •

١١٧ - وما كأس الحب ؟ •

١١٨ - ومن أين ؟ •

١١٩ - وما شراب حبه لك حتى يسكرك من حبك له ؟ •

١٢٠ - وما القبضة ؟ •

١٢١ - ومن الذين استوجبوا القبضة حتى صاروا فيها ؟ •

١٢٢ - وما صنعه بهم فى القبضة ؟ •

١٢٣ - وكم نظرته الى الأولياء كل يوم ؟ •

١٢٤ - والى ماذا ينظر منهم ؟ •

١٢٥ - والى ماذا ينظر من الأنبياء عليهم السلام ؟ •

١٢٦ - وكم اقباله على خاصته فى كل يوم ؟ •

١٢٧ - وما المعية مع الخلق والأصفياء والخاصة والتفاوت والفرق بينهم فى ذلك ؟ •

١٢٨ - وما ذكره الذى يقول ولذكر الله أكبر ؟

١٢٩ - وما ذكره الذى يقول فاذكرونى اذكركم ؟ •

١٣٠ - وما معنى الاسم ؟ •

١٣١ - وما رأس أسمائه الذى استوجب منه جميع الأسماء ؟ •

١٣٢ - وما الاسم الذى أبهم على الخلق الا على خاصته ؟ •

١٣٣ - وبماذا نال صاحب سليمان ذلك وطوى عن سليمان عليه السلام وهو رسول من الرسل ؟ •

١٣٤ ـ وما السبب فى ذلك ؟ .

١٣٥ ـ وماذا اطلع من الاسم ، على حروفه أم على معناه ؟ .

١٣٦ ـ وأين باب هذا الاسم الخفى على الخلق من ابوابه ؟ .

١٣٧ ـ وما كسوته ؟ .

١٣٨ ـ وما حروفه ؟ .

١٣٩ ـ والحروف المقطعة مفتاح كل اسم من أسمائه فأين هذه الأسماء وانما هى ثمانية وعشرين حرفا فأين هذه الحروف ؟ .

١٤٠ ـ وكيف صار الألف مبتدأ الحروف ؟ .

١٤١ ـ وكيف كرر الألف واللام فى آخره ؟ .

١٤٢ ـ ومن أى حساب صار عددها ثمانية وعشرين حرفا ؟ .

١٤٣ ـ وما قوله خلق الله آدم على صورته ؟ .

١٤٤ ـ وقوله : ليتمنين اثنا عشر نبيا أن يكونوا من امتى ؟

١٤٥ ـ وما تأويل قول موسى : رب اجعلنى من أمة محمد ؟ .

١٤٦ ـ وما تأويل قوله : ان لله عبادا ليسوا بأنبياء يغبطهم النبيون بمقامهم وقربهم من الله ؟ .

١٤٧ ـ وما تأويل قوله : باسم الله ؟ .

١٤٨ ـ وما تأويل قوله : السلام عليك أيها النبى ؟ .

١٤٩ ـ وقوله : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ؟ .

١٥٠ ـ وما تأويل قوله أهل بيتى أمان لأمتى ؟ .

١٥١ ـ وقوله : آل محمد ؟ .

١٥٢ ـ والقائم بالحجة ؟ .

١٥٣ ـ ومن أين يكلم الخلق حتى يقيم حجة الله عليهم فان الله تعالى قد أقام الحجة عليهم بالعبودة وجعل للقائم طريقا الى محل خزائن الكلام ؟ .

١٥٤ ـ وأين خزائن الحجة من خزائن الكلام من خزائن علم التدبير ؟ .

١٥٥ ـ وأين خزائن علم الله من خزائن علم البدء ؟ .

١٥٦ ـ وما تأويل أم الكتاب ؟ فانه ادخرها مع جميع الرسل ولهذه الأمـــة ؟ .

١٥٧ ـ وما معنى المغفرة التى لنبينا وقد بشر النبيين بالمغفرة ؟ .

يقول ابن عربى ان الحكيم الترمذى اتى بهذه الاســئلة لهؤلاء المدعين الذين كانوا فى عصره حتى يعلموا أنهم ليسوا على شىء فيكفوا عن دعواهم لأن هذه المعارف لا تنال بالنظر والبحث العلمى وانما طريق العلم بهـــا هو الفيض الالهى الذى يمنحه أولياءه .

أما كيفية الوصول الى هذا العلم الذى أشار اليه الحكيم والطريق اليه والخطوات التى يجتازها أصـــحابه ، ودرجاته والعلاقة بينه وبين العلوم الأخرى التى يسميها الحكيم وغيره من شيوخ الصوفية علم الظاهر ، كل ذلك ســـنتناول الحديث عنه بافاضة عنـــد بحث فكرة المعرفة عند الحـــكيم الترمـــذى :

حظ الحكيم الترمذى من الولاية :

بعد أن رأينا هذه البحوث حول الولاية والأولياء كما شـرحها الحكيم الترمذى ، قد يتبادر الى الخاطر هذا الســـؤال الملح : ما هو حظ الحكيم من الولاية والى أى درجاتها قد وصل ؟ وهل فى كتـــاباته ما يلقى ضوءا على مكانته بين الأولياء ، الذى كان أول باحث فى الفكر الاسلامى بدون منازع يتحدث عن درجاتهم ومنازلهم وخصائصهم .

ولم يتحدث الحكيم صراحة عن هذا الحظ الذى نحاول ان نكشف عنه الغطاء ، ولكن من الممكن أن يفهم مما كتبه انه بلغ القمة من درجات الولاية التى يمكن ان تتهيأ للاولياء فى الازمان المتعاقبة أعنى الدرجات التى تتكرر مع الزمن ، وليس منهـــا الختم الذى كتب فى موضوعه كتابا مســـتقلا يعتبر الأول من نوعه فى الفكر الاسلامى وسماه « ختم الأولياء » وفيه يقول : « ولا ينقضى الدهر حتى يأتى الله بخـــاتم الاولياء » (١) ومن هـذا النص

---

(١) ختم الاوليـــاء ص ٤٤٨ .

تفهم انه لم يدع لنفسه ختم الولاية خاصة وأنه تكلم بشيء قبل هذا ينبيء عن مكانته تلميحا لا تصــريحا يؤخذ منه انه وصــل الى درجة رفيعــة من درجــات الصديقين لكنه لم يذكر اسما بعينه ، اذ يقول في معرض الحديث عن الدرجات التى تكون للاولياء بعد الصدر الأول وخاصة ابا بكر وعمر « بل كائن في هذه الأمة من يعرف مقاماتهم وحظوظهم من ربهم لأن معــرفة ذلك انما تعرف من بحر المعرفة وأرواح الصـــديقين متقاربة وقلوبهم فى المحل لديه مؤتلفه ، عارف بعضها بعضا فى المقام فانما يعرف حظ أبى بكر وعمــر رضى الله عنهما من الله بمعرفته بحظ نفسه من الله تعالى وكان أبو بكــر حظه من ربه عز وجل فى ملك العظمة وعمر حظه فى ملك الجلال وعلى حظــه من ربه فى ملك القدس ٠٠ » (١) ثم عقب على ذلك بالاجابة عن ســؤال عن تلك الحظوظ فقال : حظ أبى بكر الحيـــاء قال رضى الله عنه : « انى لأدخل الكنيف فأتقنع رأسى حياء من الله تعالى » ٠ وحظ عمر الحق ألا ترى الى قول رسول الله صلى الله عليه وسـلم : « ان الله ضرب الحق على لســان عمر وقلبه » رضى الله عنه ، وحظ على رضى الله عنه المحبة ألا ترى الى جوامع خطبه وحسن ثنائه على ربه ، والرسول صلى الله عليه وسلم مقامه فى ملك الملك بين يديه وحظه منه وحدانيته » (٢) ٠

ان لنا ان نأخذ من هذا النص أن الحكيم بلغ منزلة من منازل الولاية تهيىء له ان يعرف هذه الحظوظ ويحددها ويعين حظ كل من أبى بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم واذا أردنا أن نصــل الى نقطة أكثر دقة فى معــرفة درجته من الولاية بناء على ما يؤخذ من هذا النص فانا نســتطيع القول انه بلغ درجة الصديقية لقوله : وأرواح الصديقين متقاربة وقلوبهم فى المحل لديه مؤتلفه عارف بعضها بعضا فى المقام ٠

---

(١) ختم الاولياء ص ٤٤١ ٠
(٢) ختم الاولياء ص ٤٤١ ٠

فاذا تابعنا حديث الحكيم عن تدرجه الروحى وشرحه كيفية وصوله الى الله فى رسالته « بدو الشأن » فاننا سنجد تفصيلا أكثر وتحديدا أدق اذ يحدثنا الحكيم فى هذه الرسالة عن عدد الرؤى التى تشير الى هذا التدرج، ولو استحضرنا فى أذهاننا ما قاله بالنسبة للأولياء اثناء سيرهم الى الله لاستنتجنا بيسر وسهولة المنازل التى ترقى فيها والغاية التى وصل اليها ، ولو ألقينا بالا الى حديثه عن الالهام والفراسة والتحديث والحفظ من الشيطان والنفس بحراسة الحق وتأبيد السكينة لكان سهلا علينا أن ندرك انه يعتبر رؤاه هذه لونا من ألوان المعارف الالهية التى تلقى الى الأولياء من الله تعالى بواسطة هذه الطرق الثلاثة .

وأول هذه الرؤى يقول فيها : انه رأى فى منامه رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصعد المنبر وكان هو يصعد على أثره حتى وصل النبى عليه السلام الى أعلى درجات المنبر فقعد عليها ثم قعد الترمذى على الدرجة التى تلى قدمى النبى صلى الله عليه وسلم (١) وقد روى ابن عربى عن نفسه شيئا قريبا من هذا وانه جلس عند قدمى النبى وسمى ابن عربى هذا المشهد الروحى فى عالم حقائق المثال فى حضرة الجلال (٢) وهذا هو ملك الجلال الذى يتحدث عنه الحكيم الترمذى اكثر من مرة فى عرضه لخصال الولاية العشر .

أما رؤياه الثانية التى يصور فيها وقوفه بين يدى الله واصابته بالفزع لما دخل الحجب المضروبة ثم يجد نفسه خارجا من الحجب بالقرب من الباب يقول :قد عفا عنى .ويذهب عنه الفزع الذى انتابه ، ولعلنا نفهم من هذه الرؤيا انه اجتاز مكان القرابة الى ملك الملك الذى تحدث عنه بالنسبة للأقوياء الأمناء من الأولياء ، وكذلك تبين رؤيا زوجه التى جاءتها فيها الملائكة معها الآس والرياحين (٣) انه بلغ درجة الصديقية وقد عرفنا ذلك

---

(١) رسالة بدو الشأن مقدمة ختم الاولياء ص ١٦ مخطوط اسماعيل صائب ورقة ٢١٠ .

(٢) الفتوحات المكية ج ١ ص ٢ - ٣ .

(٣) بدو الشأن ص ١٧ (و) بدو الشأن ص ٢٢ - ٢٣ .

من حديثه فى ختم الأولياء اما رؤيا الشجرة التى وصفتها زوجه وقيامها على حفظها حتى يمر الطائر بأغصانها جميعا لتصبح خضراء رطبة بعد أن كانت جرداء يابسة وهى تظل ترقب الطائر حتى يصل الى القمة ولم يبق فى الشجرة عود الا اخضر (١) فلعلها تشير الى الحكيم سيرقى فى سيره الروحى حتى يصل الى القمة بمنة الله وفضله ، ويعنى هذا فى الفهم الصوفى لمثل هذه الرؤى أنه من الذين اجتباهم الله سبحانه كما تشير الآية الكريمة : « الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب » وفى رؤيا أخرى رأتها زوجه تذكر صراحة انه أحد الأوتاد الأربعة من هؤلاء الذين مكانهم البيت المعمور (٢) .

وهناك رؤيا اخرى رأتها زوجه احداثها مثيرة مفصلة وهى تتحدث عن الاربعين الذين يذكر الحكيم انهم الصديقون الذين هم حكام الأرض بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ويؤخذ منها ان الحكيم هو رأس هؤلاء الاربعين والمقدم عليهم ، ثم تتحدث عن أمر العسكر والجند وأمن الناس منهم بعد ان لقى الحكيم الأمير وذهب به الى الصلاة ولعلنا نستشف من ذكر العسكر والجند هنا ايماء الى تفسير السؤالين الثالث والرابع ، من الأسئلة التى أوردها الحكيم فى كتابه «ختم الأولياء» وعقب عيها بقوله انها علم الانبياء والاولياء وهذان السؤالان هما : وأين الذين جاوزوا العساكر وبأى شيء جاوزوا ؟ والى أين منتهاهم ؟ (٣) .

ولنا ان نأخذ من هذه الرؤيا ان الحكيم ممن جاوزوا العسكر ووصل الى درجة لم يتحدث لنا عنها وانما نجد شرحا لجانب منها عند ابن عربى اثناء أجابته عن الاسئلة المذكورة ويمكن ان نستنتج ايضا ان الحكيم امام هؤلاء الاربعين وقطب زمانه .

---

(١) رسالة بدو الشأن ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ من مقدمة ختم الاولياء .
(٢) رسالة بدو الشأن ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ .
(٣) ختم الاولياء ص ١٤٦ ــ ١٤٧ .

ولعل القصة التى رواها كل من الهجويرى فى كتابه كشف المحجوب وفريد الدين العطار فى كتابه تذكرة الاولياء مروية عن ابى بكر الوراق تلقى ضوءا أكثر على بلوغ الحكيم الى هذه المنزلة التى تشير اليها الرؤيا المثيرة وتقول القصة على لسان الوراق : ان الحكيم عرض عليه ان يأخذه معه الى مكان ما ، يقول الوراق فانطلقت معه وبعد قليل من الوقت نزلنا صحراء موحشة فى وسطها سرير من الذهب تحت شجرة خضراء الى جانب عين من الماء ويجلس على السرير شخص يرتدى ثوبا جميلا ، ولما اقترب الشيخ منه نهض وأجلسه مكانه وسرعان ما تجمع رفقة من كل الجهات حتى اكتمل عددهم اربعين ثم اشاروا الى السماء فحضر طعام فأكلوا وشربوا ثم سأل الشيخ ذلك الشخص عدة أسئله فأجابه عنها ، لكن فى لغة لم أفهم منها كلمة واحدة ثم استأذن الحكيم منصرفا بعد فترة وأخذ فى الرحيل الى ترمذ ، وقال لى إذهب فقد بوركت وفى لحظات قصار عدنا الى المكان الذى منه بدأنا (١) ٠

وقد لاحظت ان ابن عربى حينمايتحدث عن الحكيم الترمذى يقول عنه : الامام محمد بن على ٠ وفى حديثه عن القطب : يقول ان الاقطاب المصطلح على أن يكون لهم هذا الاسم مطلقا لا يكون منهم فى الزمان الا واحد هو الغوث أيضا وهو من المقربين وهو سيد الجماعة فى زمانه ومنهم من يكون ظاهر الحكم ويحوز الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام ، كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن ومعاوية بن يزيد وعمر ابن عبد العزيز والمتوكل ومنهم من له الخلافة الباطنة خاصة ولا حكم له فى الظاهر كأحمد بن هارون الرشيد السبتى وكأبى يزيد البسطامى ، ومنهم رضى الله عنهم الأئمة ولا يزيدون فى كل زمان على اثنين لا ثالث لهما وهما اللذان يخلفان القطب اذا مات وهما للقطب بمنزلة الوزيرين (٢) ان حديث

---

(١) كشف المحجوب الترجمة الأنجليزية ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ٠
(٢) الفتوحات المكية جـ ٢ ص ولعله يقصد أحمد بن المتوكل ٠

ابن عربى يشم منه أن الحكيم لم ينل منزلة القطب لأنه يذكر اسمه مقرونا بكلمة امام ولأنه لما عد الاقطاب لم يذكره وان كان لم يأت على اسمائهم جميعا .

وأيما كان الأمر فانا نستطيع استنادا الى ما كتبه الحكيم نفسه أو روى حوله من شيوخ الصوفية المعاصرين له أن نستنتج انه كان وتدا وصديقا واماما وقطبا اذا ارتضينا تقسيمات الصوفية للأولياء وتمشينا مع تصورهم لدرجات الولاية والاولياء .

رأى ابن تيميه فى الولاية والاولياء :

المتبادر الى الأذهان ان ابن تيمية عدو الصوفية الأول والمنكر عليهم فى كتبه ورسائله والخصم الشديد الشكيمة لآرائهم ومعتقداتهم ولكن الحقيقة التى تطل من كتاباته تخالف ذلك تماما فابن تيمية يحارب الدخلاء على التصوف والمفسدين لجوهره النقى والملبسين على الناس الحق بالباطل والمتخذين من اسم الصوفية والانتساب اليها وسيلة يتحللون بها من الواجبات الدينية وقواعد الأخلاق المرضية واسس السلوك المستقيم ، وقد حارب شيوخ الصوفية الكبار ومؤسسو الطريق الصوفى منذ البداية كل ذلك حربا لا هوادة فيها ، وقلما تجد من كتب منهم الا وهو يهاجم الابتداع والرياء واتخاذ الطريق وسيلة لرياسة أو سبيلا الى مغنم يناله أو دينا يجمعهما ، كل ما هنالك ان زمن ابن تيمية قد غلب عليه أصحاب الدعاوى وصاروا يكونون جماعات تستهوى عقول العامة بما يأتون من أفعال بهلوانية ويسيئون الى حقائق التصوف العليا وطرقه السامية بما درجوا عليه من تحلل من مبادىء الدين وتفسخ فى الاخلاق وانحراف فى السلوك متسترين تحت شعارات رفعها الأوائل ليمضى على هداها الصادقون فى هدوء ودعة فجاء هؤلاء المنحرفون يرددون ماقال الأوائل ويتسترون به مدلفين الى مخازيهم وقبائحهم التى أفسدوا بها المجتمع ولوثوا سمعة الطائفة وزيفوا على الناس الحقائق حينما ألبسوا

الحق بالباطل ولهذا كان رد ابن تيمية عنيفا صارما وحربه لهم حربا لا هوادة فيها وكان يرى جهادهم واجبا دينيا عنيقا كمدافعة التتار عن ارض المسلمين كما صرح بذلك فى بعض كلماته ودفعه ادراكه للخطر الداهم على عامة الناس من سلوك هؤلاء المخربين بأباطيلهم ومخاريقهم ان يتشدد فى سد كل ما يمكن ان ينفذوا منه الى عقول العامة ووجدانهم ورفع لهذا الغرض شعار التزام الكتاب والسنة ، وهذا فى حقيقة الأمر هو الذى دعا اليه ونادى به شيوخ الصوفية القدامى ورؤساؤهم المشار اليهم بالبنان فى كتبهم ووصاياهم ، وسيكشف لنا استعراضنا لآراء ابن تيميه فى الموضوع انه لن يبعد كثيرا عن ما نادى به المتقدمون من الشيوخ ، وان ما ذهب اليه قد قال به من قبله شيوخ ينتسبون الى الصوفية ويدعون الى طريقها ، وليس معنى هذا انه وافق كل ما قالوا بل ان الاصول المسلم بها قد قبلها وقررها ٠

ومن جهة أخرى قد ساعد على أن يقف ابن تيمية هذا الموقف الصارم أن اصحاب الدعاوى الكاذبة قد كثروا فى زمانه ، وأتته الكتب من مختلف الجهات تستفتيه وتسأله أن يبين حقائق الشرع وحكمه فى هذه الأمور التى تجرى على ألسنة الناس فى زمانه ٠

من هو الولى : يرى الشيخ ابن تيمية أن أولياء الله هم الذين آمنوا وكانوا يتقون ، كما جاء بذلك القرآن الكريم ، ويرى كذلك ان الأولياء قسمان : المقتصدون اصحاب اليمين ، والمقربون السابقون ، وولى الله ضد عدو الله ويستشهد لما ذهب اليه بالآيات الكريمة ، « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون وقوله تعالى:« انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ٠٠ » ويروى كذلك الحديث القدسى : « من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ٠٠ »

وولى الله من والاه بالموافقة له فى محبوباته ومرضياته ، وتقرب اليه بما أمر به من طاعاته ، وقد ورد فى حديث النبى ذكر أصحاب اليمين المتقربين الى الله بالواجبات ، والسابقون المقربون ، وهم المتقربون

بالنوافل بعد الواجبات ، وذكرهم الله فى سورة فاطر حيث يقول : « ومنهم سابق بالخيرات باذن الله » وفى سورة الواقعة : « والسابقون السابقون أولئك المقربون » وفى سورة الانسان » « ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا » وفى سورة المطففين « كتاب مرقوم يشهده المقربون » (١)٠

ويرى أن ولى الله من كان مؤمنا تقيا ، وانه يمكن أن يرى عاقبته ، ويمكن أن يطلع هو عليه نفسه ويطلع عليه غيره ، الا انه يرى ان يكون ذلك فى حدود ، ولا يرى القطع به الا لمن تثبت ولايتهم بالنص كالعشرة المبشرين بالجنة ، ويرى ان من شاع له لسان صدق فى الناس يجوز ان يشهد له بالولاية ، بل هو يذهب الى ابعد من ذلك فما سبق من احكام انما هو بالنسبة للعامة ، أما خواص الناس فقد يعلمون عواقب أقوام بما يكشف لهم من الله ، وهذا صريح فى انه يرى ان خاصة الاولياء يصلون الى معرفة بعض الامور بما يكشف الله عن بصيرتهم وبما ينالون من المخاطبات والالهام الذى يأتى به الكشف غير أن ذلك لا يجب التصديق به ، ويرى أن ما يأتى به الكشف يجب ان يوافق الكتاب والسنة ، ويرى أن العصمة للرسول والنبى مضمونة بالكتاب والسنة ، يقول القرآن « وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ٠٠ » ـ ولهذا كان ما يأتى به الكشف مقبولا اذا وافقهما لأن معنى ذلك المتابعة ، أما من يرى انه لا يحتاج الى ذلك فهو قول المارقين ، ومن قال به فقد كفر ويرى ان قراءة ابن عباس التى تقول « ولا محدث » انما نسخت لتفيد قصر العصمة على الرسول والنبى فقط ٠

ولا يشترط فى الأولياء ان يكونوا معصومين من الخطيئة ولا من الصغائر وليس من شرطهم ترك الكبائر او الكفر الذى تعقبه التوبة ، لأن القرآن الكريم وصفهم بقوله : « والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيميه جـ ١ ص ٤٣ ـ ٤٤ طبع المنار القاهرة سنة ١٣٤١ هـ ٠

المتقون لهم ما يشاءون عند ربهم جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون » .

واما من يقول من الشيعة بعصمة الأئمة الاثنى عشر من الخطايا والذنوب ومن المشايخ بعصمة النبى وحفظ الولى فانه غلو اشبه بغلو النصارى فى المسيح والاحبار والرهبان (١) .

ويجدر بنا هنا ان نشير الى أن الحفظ الذى يقول به الصوفية بالنسبة للأولياء انما يقصد به الحفظ من وساوس النفس والقآتها فيما يرد على قلب الولى من الالهام والتحديث والفراسة وليس المقصود به الحفظ من المعصية لأن اثنين من كبار الصوفية هما الحكيم الترمذى وابو القاسم الجنيد يريان ان الولى غير معصوم من ارتكاب المعاصى ، وكلمة الجنيد مشهورة فى الرد على من سأله : أيزنى العارف يا أبا القاسم ؟ ، فأطرق مليا ثم قال « وكان أمر الله قدرا مقدورا » وقد تحدث الحكيم فى كتابه ختم الأولياء عن مدى الخوف الذى يعترى الولى اذا ما وقع فى خطيئة من الخطايا اما العصمة التى ادعاها له وتابعه عليها جمهور المشايخ فهى العصمة من وسوسة النفس والقاء الشيطان فيما يرد على القلب من الخطاب او الالهام او الحديث او الفراسة .

اما الاسماء التى تدور على ألسنة الصوفية بالنسبة للأولياء كالغوث والاوتاد الأربعة والاقطاب السبعة والابدال الاربعين والنجباء الثلاثمائة فانه - أى ابن تيمية - يرى انها لم ترد فى كتاب الله ولا فى حديث النبى ، ولم ترد فى كلام السلف على هذا الترتيب الذى اوردوه ، وهى لم ترد كذلك عن المشايخ المقبولين عند الأمة قبولا عاما ، ورأيه ان هذا النوع من العلم ليس باطلا كله ولا حقا كله وقد التبس فيه الحق بالباطل والذى يؤخذ من كلام ابن تيميه ان اعتراضه ينصب على العدد والترتيب الذى قدره الصوفية فى امكنة وازمنة معينة ، وعلى هذا يدور اعتراضه فقط لأنه حكم لا دليل عليه ، ولكنه لايمانع فى وجود هذه الانواع من الأولياء بشرط ان يكون لها دليل من الكتاب والسنة (٢) .

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيميه جـ ١ ص ٤٣ - ٤٤ طبع المنار القاهرة سنة ١٣٤١ هـ .

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل جـ ١ ص ٤٦ .

ويرفض تسمية أى من البشر باسم الغوث لأن هذا اللفظ لا يستحقه الا الله سبحانه فهو غياث المستغيثين ، ولا يجوز لأحد الاستعانة بغيره لايملك مقرب ولا نبى مرسل ، ويرى ان من يقول : انّ اهل الارض يرفعون حوائجهم الى الثلاثمائة والثلاثمائة الى السبعين ، والسبعون الى الاربعين ، والاربعون الى السبعة ،والسبعة الى الأربعة والأربعة ،الى الغوث يرى ان القائل بذلك ضال مشرك كالمشركين الذين أخبر الله عنهم بقوله « واذا مسكم الضر فى البحر ضل منتدعون الا اياه » وقوله : « ام من يجيب المضطر اذا دعاه » ويرى أن هذا التوزيع الذى قالوا به على النحو السابق ينافى قوله تعالى : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعانى فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » ويعتقد أنهم تأثروا فى رأيهم هذا بما يعتقده الرافضة فى الامام المعصوم وكذلك الاسماعيلية والنصيرية وغيرهم فى قولهم : السابق والتالى ، والناطق ، والاساس (١) ٠

ولا يمانع ان يكون هناك من الاولياء من يطلق عليهم الوتد الذى يثبت به من الدين والايمان فى قلوب من يهديهم كما تثبت الأرض بأوتادها الا أنه يعارض قصرهم على أربعة ويرى ان ذلك اشبه بقول المنجمين فى اوتاد الارض ، وكذلك يحمل الأمر فى معنى القطب الذى عليه مدار الأمر فى دائرة عمله سواء أكان فى امور الدنيا أو الدين ويمكن ان يطلق على من له أثر فى هذا الشأن المتحدث عنه الا ان تقييد ذلك بعدد محدد انما هو تقييد لفضل الله فى عباده ويمضى على هذه الوتيرة فيرفض مايقال أن الأبدال أربعون وأنهم كلما مات منهم رجل ابدل الله مكانه آخر ، وما يقال فى ان الغوث هو الذى يغيث الله به أهل الأرض ، ويرفض ادعاء من يقول ان الناس انما يرزقون وينصرون بهؤلاء الأربعين ويقول ان هذا ادعاء باطل لأن للرزق والنصر أسبابا معروفة من اوكدها دعاء المسلمين وصلاتهم واخلاصهم ، ولا يتقيد ذلك بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر ، وقد يكون ذلك بسبب الضعفاء كما ورد فى حديث سعد بن أبى وقاص لما قال له النبى صلى الله عليه وسلم : « يا سعد وهل ترزقون الا بضعفائكم بدعائهم واخلاصهم وصلاتهم » وللرزق والنصر أسباب أخرى لأن الكفار الفجار ينصرون ويرزقون ٠ ويرفض ما يقال ان الابدال رجال الغيب مختفون فى جبل لبنان ، ويرى انه يستحيل

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل جـ ١ ص ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ٠

ان يظل شخص طول عمره غائبا كذلك ، وهذا من جنس قول من قال : ان عليا فى السحاب وان محمد بن الحنفية فى جبل رضوى ومحمد بن الحسين فى سرداب سامرا والحاكم فى جبل مصر ، اما ان تخرق العادة فى حق شخص فيغيب تارة عن ابصار الناس أما لدفع عدو عنه واما لأمر آخر فان هذا أمر ممكن ، وهذا يعنى ان ابن تيمية يجوز وقوع الكرامات للأولياء ،ويفسر ابن تيمية اهل الغيب هنا تفسيرا لطيفا فيقول : « نعم يكون نور قلبه وهدى فؤاده وما فيه من اسرار الله وامانته وانواره ومعرفته غيبا عن الناس ، ويكون صلاحه وولايته غيبا عن أكثر الناس فهذا هو الواقع ، وأسرار الحق بينه وبين أوليائه ، وأكثر الناس لا يعلمون » (١) .

ويرفض ابن تيمية فكرة ختم الأولياء التى جاء بها الحكيم الترمذى ويقول ان ما قاله الحكيم دعا كثيرين ان ينتحلوا لانفسهم هذا اللقب ، يدعى كل منهم انه ختم الاولياء كابن شمويه وابن عربى وغيرهما ، ويرى ان فكرة ختم الاولياء فكرة خاطئة لأن أفضل اولياء هذه الأمة السابقون الاولون من المهاجرين والأنصار ، وخير الأمة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر ، وخير قرونها القرن الذى بعث فيه النبى صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ، ورأيه ان ختم الأولياء هو آخر مؤمن تقى يكون فى الناس ، وهو ليس بخير الأولياء ولا أفضلهم ، بل افضلهم ابو بكر ثم عمر اللذان ما طالعت الشمس ولا غربت على أفضل منهما بعد النبيين (٢) .

ولا يرى بأسا من أن يكون فى الاولياء صديقون ومحدثون ، ولكن من غير تحديد فى عدد بذاته لأن ذكر عدد معين لم يرد فى الكتاب او السنة ، اما لفظ الصديق والمحدث فقد جاء فى القرآن الكريم وفى الحديث النبوى الشريف ، ويرى أن الصديق أفضل من المحدث لأن عمر أفضل المحدثين وأولهم وأفضل منه أبو بكر وهو صديق ، والصديق يأخذ من مشكاة النبوة فلا يأخذ الا شيئا معصوما محفوظا ، وأما المحدث فيقع له صواب وخطأ ، والكتاب والسنة يميزان ثوابه من خطئه ووجه ابن تيميه نقدا شديدا فى

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ج ١ ص ٥١ .
(٢) الرسائل والمسائل ـ حقيقة مذهب الاتحاديين ج ١ ص ٥١ ـ ٥٢ .

كتـــابه الرد على الاتحاديين الى فكرة ختم الولاية التى قال بها الحـــكيم الترمذى ، وعلى الرغم من انه يكن احتراما وتقديرا للحكيم كواحد من شيوخ الصوفية الكبار الا أنه يراه قد اخطأ فى فكرة ختم الولاية وتناقض فى بعض مسائلها حينما أجاز ان يكون فى المتأخرين من هو أفضل من ابى بكر وعمر وعنى به ختم الاولياء ، ويرى ان الحكيم قد ناقض نفســه لأنه لما أخـذ فى الرد على من يدعى ان الولى محجوب مستور لا تعرف ولايته استشهد فى رده بحالى ابى بكر وعمر ، وقال فى ابطـال دعوى هؤلاء ان مقتضى كـلامهم ان هذا الولى الذى يقولون انه مجهــول هو خيــر من أبى بكر وعمر وهـــذا باطـــــل (١) .

ويوجه ابن تيميه اتهاما خطيرا الى هؤلاء الذين انتحلوا لأنفسهم مرتبة ختم الولاية كابن عربى ومن لف لفه ويراه قد كفر بسبب ما قرره فى شـأن خاتم الاولياء ولأنه يفضله فى بعض حالاته على المرسلين ويرى ان النبيين يأخذون من مشكاته فى بعض الحـــالات وهذا كما يقول ابن تيميه كفـــر صـــــريح (٢) .

رأى ابن عربى : حديث ابن عربى عن الولاية والاولياء حديث متشعب متعدد الاطراف والذيول لأن من عادة ابن عربى اذا ما تناول فكرة من الافكار ان يستوعب كل ما قيل فيها ثم يحـــاول ان يبرزها فى ثوب جـــديد عليه لسانه ونسج يديه ولا تتســـع هذه الصفحات لاستيعاب ما قاله فى هـــذا الموضوع وانما سنعنى فى عرضنا لأفكاره بأمور أعطـاها مفهوما جديدا غير ما وقف عنده الحكيم الترمذى : وهى النبوة العامة ونبوة التشريع واكتساب مقام النبوة وختم الولاية العامة والخاصة ويتلخص رأيه فى هذه النقـــاط فيما يلى : النبوة مقام عند الله يناله البشـــر وهو مختص بالأكـــابر منهم ويعطى هذا المقام للنبى المشرع ، ويعطى كذلك لتابع لهذا النبى المشـــرع

(١) الرسائل والمسائل ـ حقيقة مذهب الاتحاديين جـ ١ ص ٥٩ ـ ٦٠ .
(٢) الرسائل والمسائل ـ حقيقة مذهب الاتحاديين جـ ١ ص ٥٧ .

الجارى على سنته ويستدل على رأيه هذا بقوله تعالى فى حق موسى عليه السلام « ووهبنا له اخاه هارون نبيا » (١) ويبنى على ذلك ان مقام النبوة ينال بالكسب مثلما ناله هارون باتباعه لموسى الا أننا حينما نتأمل الآية الكريمة التى استدل بها ابن عربى على ان النبوة تنال بالكسب نجد انها لا تشهد لما ذهب اليه بل الواضح منها ان نبوة هارون عليه السلام جاءته تفضلا من الله ومنة وليس له فيها أى كسب ويؤكد هذا الاستنتاج لفظ « وهبنا » الذى ذكر فى الآية الكريمة والهبة منحة من الحق سبحانه لا بد للعبد فيها وليست أجرا على عمل قام به ٠

ويرى ابن عربى ان النبوة نوعان : نبوة التشريع والنبوة العامة أما نبوة التشريع فقد انقطعت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم بمعنى انه لا نبوة تشريع بعد النبى ولا شرع بعد شرعه وهذا النوع من النبوة هو المقصود من قول النبى صلى الله عليه وسلم : (لانبى بعدى) والمقصود انليس هناك شرع يأتى بعد شرعه ، أما النبوة العامة او مقام النبوة ويقصد ابن عربى به مقام القربة فانه لم يسد ولم ينقطع والذى دعا ابن عربى الى هذا التفصيل ـ فيما اظن ـ ما يعتقده من ان عيسى عليه السلام سيأتى فى آخر الزمان ولا خلاف فى نبوته وأنه سيأتى بعد زمن محمد فلهذا كان لابد ان يكون المقصود من حديث النبى « لا نبوة بعدى » نبوة التشريع لأن عيسى حينما يأتى سيحكم بشرع محمد فيكون تابعا من هذه الجهة ٠

ويؤيد ابن عربى وجهة نظره هذه التى تقول بعدم انقطاع النبوة العامة التى هى منزلة القربى بان المقربين يدخل فيهم الأنبياء والاولياء والملائكة ، والقرآن يقول « عينا يشرب بها المقربون » ووصف عيسى بأنه من المقربين فقال « وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين » وكذلك وصفت الملائكة أيضا بالقربى « ولا الملائكة المقربون » وقد كان جبريل ينزل بالوحى على النبى

---

(١) الفتوحات المكية جـ ٢ ص ٣ ٠

صلى الله عليه وسلم وهو ممن وصفوا بالقربى ولم يقل أحد انه نبى (١) .

ويذكر ابن عربى ان الغزالى قد نسب اليه انه يقول باكتساب النبوة ويعلق على ذلك بقوله : ان المقصود من قوله هو مقام القربة التى ينالها المقربون من انبياء وسواهم وقد قال ابن عربى ان الغزالى قد تناول هذا الموضوع فى كتابه « كيمياء السعادة » ولكن حديث الغزالى فى كيمياء السعادة لم يتناول هذا الموضوع مطلقا وانما هو منصب على المعارف التى تدرك عن طريق النبوة أو أجزائها كالالهام وغيره من وسائل المعرفة التى أفاضها الله على عباده الذين اخلصوا العبادة له وجدوا فى الطريق اليه (٢) ولم يشر الغزالى من قريب أو بعيد الى اكتساب النبوة أو مقامها وانما كان عرضه للفكرة من خلال محاولته ايضاح تحصيل المعرفة عن غير الطريق العادى ويقصد به طريق الكشف والالهام اللدنى .

ثم يتحدث عن النبوة والولاية مرة ثانية فى كتاب الفصوص فيقول : اعلم ان الولاية هى الفلك المحيط العام ولهذا لم تنقطع ولها الانباء العام واما نبوة التشريع والرسالة فمنقطعة ، وفى محمد صلى الله عليه وسلم انقطعت فلا نبى بعده يعنى مشرعا او مشرعا له ولا رسول وهو المشرع ، وهذا الحديث قصم ظهور اولياء الله لأنه يتضمن انقطاع ذوق العبودية الكاملة التامة فلا ينطلق عليها اسمها الخاص بها ، فان العبد يريد الا يشارك سيده - وهو الله - فى اسم ، والله لم يتسم بنبى ولا رسول وتسمى بالولى واتصف بهذا الاسم فقال « الله ولى الذين آمنوا » وقال « وهو الولى الحميد » وهذا الاسم باق جار على عباد الله دنيا وآخرة فلم يبق اسم يختص به العبد دون الحق بانقطاع النبوة والرسالة الا ان الله لطف بعباده فأبقى لهم النبوة العامة التى لا تشريع فيها وأبقى لهم التشريع فى الاجتهاد فى ثبوت

---

(١) الفتوحات المكية جـ ٢ ص ٣ .
(٢) المنقذ من الضلال وكيمياء السعادة ص ٨٦ ، و٨٧ و٨٨ تعليق الشيخ محمد جابر .

الاحكام وابقى لهم الوراثة فى التشريع فقال : « العلماء ورثة الانبياء » وما ثم ميراث فى ذلك الا فيما اجتهدوا فيه من الاحكام فشرعوه فاذا رأيت النبى يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث ولى وعارف ولهذا مقامه من حيث هو عالم اتم وأكمل من حيث هو رسول او ذو تشريع وشرع فاذا سمعت احدا من أهل الله يقول أو ينقل اليك عنه انه قال : الولاية أعلى من النبوة فليس يريد ذلك القائل الا ما ذكرناه او يقول ان الولى فوق النبى والرسول فانه يعنى بذلك فى شخص واحد وهو أن الرسول عليه السلام من حيث هو ولى اتم من حيث هو نبى رسول الا ان الولى التابع له اعلى منه فان التابع لا يدرك المتبرع ابدا فيما هو تابع له فيه ، اذ لو أدركه لم يكن تابعا له فافهم ، فمرجع الرسول والنبى المشرع الى للولاية والعلم ألا ترى الله تعالى وقد أمر بطلب الزيادة من العلم لا من غيره فقال له آمرا : « وقل ربزدنى علما » وذلك انك تعلم ان الشرع تكليف بأعمال مخصوصة أو نهى عن أفعال مخصوصة ومحلها هذه الدار فهى منقطعة الولاية ليست كذلك اذ لو انقطعت لانقطعت من حيث هى كما انقطعت الرسالة من حيث هى واذا انقطعت من حيث لم يبق لها اسم ، ، والولى اسم باق لله تعالى فهو لعبيده تخلقا وتحققا وتعلقا .

والنبوة والرسالة خصوص رتبة فى للولاية على بعض ما تحوى عليه الولاية من المراتب ، فيعلم أنه أعلى من الولى الذى لا نبوة تشريع عنده ولا رسالة ، ومن اقترنت عنده حالة اخرى تقتضيها ايضا مرتبة النبوة (١) .

وأما فكرة ختم الولاية فهو يرى ان الختم ختمان لا ختم واحد ، والختم واحد فى الزمان بمعنى انه لا يتكرر فى الأزمنة ، بل هو واحد فى العالم يختم الله به الولاية المحمدية فلا يكون فى الاولياء المحمديين اكبر منه ، وهناك ختم آخر يختم الله به الولاية العامة من آدم الى آخر ولى وهذا الذى

---

(١) انظر شرح فصوص الحكم شرح وتحقيق الدكتور ابو العلا عفيفى ص ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ .

يختم به الولاية العامةهو عيسى عليه السلام يقول ابن عربى عنه : هو ختم الاولياء كما كان ختم دورة الملك فله يوم القيامة حشران يحشر فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويحشر رسولا مع الرسل عليهم السلام (١) .

وختم الولاية المحمدية ليس آخر الأولياء وانما هو ارفعهم منزلة وان الاولياء الذين يأتون بعده لا يرثون من النبوة المحمدية ، وانما يرثون من النبوات السابقة فهناك أولياء يرثون من آدم وآخرون يرثون من نوح وآخرون يرثون من ابراهيم وهكذا هناك وارثون من كل نبى من الانبياء وقد افاض الحديث فى هذا الموضوع فى الجزء الثانى من الفتوحات المكية (٢) .

وقد تناول نفس الفكرة بصورة أكثر جرأة فى كتابه فصوص الحكم فقال : اعلى مراتب العلم الذى ينشأ عن التجلى لا يكون الا لأعلى عالم بالله ، وليس هذا العلم الا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء ، وما يراه احد من الرسل والانبياء الا من مشكاة الرسول الخاتم ولا يراه احد من الأولياء الا من مشكاة الولى الخاتم ، والى هنا فكلام ابن عربى يمكن قبوله والتسليم به الا ان ما يقرره بعد ذلك فهو كلام على جانب كبير من الخطورة والجرأة ولا شك ان شيئا مثل هذا كان سببا مباشرا وحجة قائمة فى رأى عالم كابن تيمية ان يتهم ابن عربى لمثل هذه الاقوال بالكفر والخروج عن الدين - وذلك انه يقول عقب ما سبق ان قرره « حتى أن الرسل **لا يرونه متى رأوه الا من مشكاة خاتم الاولياء** ، فان الرسالة والنبوة اعنى نبوة التشريع ورسالته تنقطعان ، والولاية لا تنقطع أبدا فالمرسلون من كونهم اولياء لا يرون ما ذكرناه الا من مشكاة خاتم الاولياء فكيف من دونهم من الاولياء وان كان خاتم الاولياء تابعا فى الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يقدح فى مقامه ولا يناقض ما ذهبنا اليه فانه من وجه يكون أنزل كما انه من وجه يكون أعلى (٣) ولست أدرى كيف تورط ابن عربى هنا فى

---

(١) الفتوحات جـ ٢ ص ٩ .
(٢) الفتوحات جـ ٢ ص ٤ - ٢٣
(٣) فصوص الحكم شرح وتحقيق الدكتور أبو العلا عفيفى ص ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ .

الحديث عن ختم الاولياء فان أحدا لا يوافقـه على ما ذهب اليه هنـا والأمر المحير حقيقة ان حديث ابن عربى فى اماكن اخرى واضح كل الوضوح فى ان الرجل لا يفضل غير الانبياء على الانبياء مهما كانت منزلتهم كما رأينا فيما نقلناه عنه فى الصحيفة السابقة من نفس كتابه فصوص الحكم ص ١٣٤ و١٣٥ و١٣٦ ، ولعل هناك لبسا أو تحريفا من الناسـخ للمخطوط نشأ عنه هذا التضارب فى رأى ابن عربى وأدى الى اتهامه بالكفـر من ابن تيمية .

واذا أردنا أن نشير بايجاز الى رأى الحكيم الترمذى وابن عربى هنـا فانا نقول ان الحكيم يعتبر أن الولاية مقام روحى عام يجتمع للنبى مع النبوة اما ابن عربى فانه وان كان يردد ما قاله الحكيم الا انه يقفى عليه فيقول : ان الولاية نبوة عامة والنبوة التى بها التشريع نبوة خاصة .

والدارس لرأى ابن عربى يتبين له بوضوح ان الرجل لا يقول بوجود نبى بعد محمد ، وانما هو يبحث الفكرة فى ضوء النظرة الصـوفية المجردة والذى دفعه الى القول بعدم انقطاع النبوة العـامة انه يعتقد بنزول عيسى عليه السلام وقد فتح حديثه هذا البـاب للمدعين ان يدخلوا على الاسـلام ما ليس منه واتخذت طائفة مثل القاديانية من رأيه ركيزة ينطلقون منهـا الى الترويج لفكرتهم التى تقول ان من الممكن ان يوجد نبى بعد محمد ويرددون نفس تعبيرات ابن عربى فى نبوة التشريع والنبوة العامة .



الفصل الثانى

نظرية المعرفة عند الحكيم الترمذى

ترتبط نظرية المعرفة عند الحكيم الترمذى ارتباطا وثيقا بفكرة النور التى يرجع اليها فى تصوره أساس المعرفة وأنواعها ، وسنحاول جاهدين أن نبرز هذا الارتباط كما يؤخذ من عرضه له فى كتبه المختلفة ، ثم نتناول بعد ذلك رأيه بالتفصيل فى المعرفة وأدواتها وألوانها .

ويستمد الحكيم فكرته عن النور من قوله تعالى « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شىء عليم » (١) . ويقول الحكيم ان الانوار كلها تسعة أنواع مأخوذة كلها من نور الله تعالى أما هذه الأنوار فهى :

١ ــ نور الشمس .

٢ ــ نور القمر .

٣ ــ نور الكواكب .

٤ ــ نور النهار .

٥ ــ نور البرق .

٦ ــ نور النار .

٧ ــ نور العين .

٨ ــ نور الجواهر .

٩ ــ نور المعرفة .

---

(١) سورة النور : آية ٣٥ .

ويقول عن نور المعرفة انه رأس الأنوار وملكها لأنه خرج من الوحدانية ،
وعليه لباس الربوبية يدل على الالوهية ويشير الى الفردية ، وانما صار
ابهى الأنوار وأشرفها وأعلاها مع ان كل الانوار مأخوذة من نور الله لأن
نور المعرفة هو نور الباطن والبواقى نور الظاهر ، وانوار الظاهر بدت من
ملكه وقدرته ولكن نور الباطن « المعرفة » بدا من الوحدانية (١) .

مدائن النــور :

ثم يمضى الحكيم فى تصوره لفكرة النور فيرى أن للنور سبع مدائن :
هى على الترتيب (الفؤاد ثم الضمير ثم الغلاف ثم القلب ثم الشغاف ثم
الحبة ثم اللباب) ، وهى متداخله بعضها فى بعض حسب الترتيب التالى :

الضمير قلب الفؤاد ، والغلاف قلب الضمير ، والقلب قلب الغلاف ،
والشغاف قلب القلب ، والحبة قلب الشغاف ، واللب قلب الحبة ، وهو معدن
النــور (٢) .

ابواب المــدائن :

ولكل مدينة باب ولكل باب مفتاح ، وعلى كل باب ستر ، وبين كل باب
وآخر حائط ، ومن وراء كل حائط خندق وكل باب من الابواب ينبع من نور
صفة من صفات الله سبحانه : فباب الفؤاد من نور الرحمة ، وباب الضمير
من نور الرأفة ، وباب الغلاف من نور الجود ، وباب القلب من نور المجد
وباب الشغاف من نور العطاء ، وباب المحبة من نور الالوهية ، وباب اللب
من نور العطف ، ثم تتسلسل الانوار فنور للعطف من نور القربة ونور
القربة من نور الشفقة ، ونور الشفقة من نور الارادة ، ونور الارادة من نور

---

(١) غور الامور مخطوط اسعد افندى ورقة ٢٣ والاعضاء والنفس ورقة ١٤٧ وصفة القلوب ورقة ٢٢٣ .

(٢) - غور الامور ورقة رقم ١ والاعضاء والنفس رقم ١٣٣ وصفة القلوب رقم ٢٢٠

الارادة ، وهو من نور المحبــة ، ونور المحبــة من نور المنــة ثم يعقب على هذا التســلسل بقوله : وهو عــلم دقيــق لا يمكن فحصــه ، وهــذه الابواب التى ذكرها عليها ستور ، لكل باب ستر خاص وتلك الستور تمثل كل منها هى الأخرى صفة من صفات الله سبحانه وتعالى هى :

الســتور :

الجمال ستر باب الفؤاد ، والجلال ستر باب الضمير ، والســلطان ستر باب الغلاف ، والهيبة ستر باب القلب ، والقدرة ستر باب الشــغاف ، والعظمة ســتر باب المحبة ، والحياء ســتر باب اللب ، والحياء من ستر الملك (١) ٠

المفــاتيح :

ولكل باب من هذه الابواب مفتاح هو فى الحقيقة صفة من صفات العبد تهيىء له هذه المفاتيح او بالأحرى تلك الصــفات ولوج الابواب ثم دخـول المدائن : فالاقرار مفتــاح باب الفؤاد ، والتوحيد مفتاح باب الضــمير ، والايمان مفتاح باب الغلاف ، والاسلام مفتاح باب القلب والاخلاص مفتاح باب الشغاف والصدق متاح باب المحبة والمعرفة مفتاح باب اللباب (٢) ٠

والصدر محيط بالفؤاد كالربض بالمدينة ، وهو ساحة عظيمة ، والصدر مصدر الأمور ومعدن المشورة والقضاء ومجلس الملك والعقل ٠

وللابنية التى هى الفؤاد وأول مدائن النور أربعة ابواب شــارعة الى الصدر وهو بمثابة ميدان عظيم ومجلس بهى فيه قناديل الرحمة ومصابيح النور تزهر فيه من النور الذى فى القلب وفيه شموع لواحة تبرق بضــوئها

---

(١) المصادر السابقة ٠
(٢) راجع غور الأمور ورقات ٢ ، ٣ والاعضاء والنفس ورقات ١٣٣ — ١٣٤ ٠

ونورها ، وفيه معادن ودرجات وفيه ساحة لسماطى الملك ومعسكره وموضع قضائه وتزيين الاعمال ومحشد الجيوش ومحث الجنود ، وستور الرحمة وله سبعة حيطان وسبعة خنادق (١) .

وهذه التفصيلات التى عرضها الحكيم لما تصوره موجودا فى ساحة الصدر ، والصورة التى أوردها للارتباط بين الصدر والفؤاد والقلب انما استمدها من فهمه للآية الكريمة :

« مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية .. » وقوله تعالى : « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه » .. وقوله تعالى : « وحصل ما فى الصدور » وهو يؤيد فهمه للآيات الكريمة بما روي عن ابن عباس وأبى بن كعب فى تفسير آية النور : المصباح النور ، والزجاجة القلب ، والمشكاة الصدر ، وكذلك ما روى عن السدى : كما دخل هذا المصباح فى الزجاجة فأضاء ، فكذلك أضاء الصدر ثم نزل الضوء من الكوة وهى المشكاة فأضاء البيت وكذلك نزل النور من الصدر فأضاء الجوف كله وهو النفس (٢) .

ويتابع الحكيم تصوره لمدائن النور وما يحيط بها من ساحة وخنادق وحيطان تحميها من غارات العدو ، وهذه الخنادق والحيطان هي بمثابة استحكامات حول مدائن النور أو خطوط دفاع تجعل اقتحام العدو لها صعبا عسيرا وهى سبعة حيطان يفصل بين كل اثنين منهما خندق ، ولكل حائط وخندق اسم مخصوص ويستند فى هذه التسمية الى آيات القرآن الكريم ، ومنهجه ان يأتى باسم الحائط والخندق لأنه يرى ان لكل حائط خندقا ويورد من آيات القرآن الكريم الآية التى تشهد له ويلاحظ ان الحيطان والخنادق يستمد

---

(١) ، (٢) راجع غور الأمور ورقات ٣،٢ والأعضاء والنفس ورقات ١٣٣ ـ ١٣٤ .

كل منها صفة من صفات العبد التى تعبر عن مدى التزامه بآداب الدين ومثله وهى :

الحيطـــان :

الحائط الأول وهو الذى بين الصدر والنفس وهو من الاستعاذة .

الحائط الثانى من الذكر ، والحائط الثالث من الاستنصار ، الحـائط الرابع من الاستعانة ، الحائط الخامس من المجاهدة ، الحائط السـادس من التوكل ، حائط السابع من التسليم (١) .

الخنـــادق :

هناك أيضا سبعة خنادق هى الظفر والذكر والعون والنصرة والهداية والخشية والنجاة ، ولكل حـائط خندق وفى نسبة الخنادق الى الحيطـان يستند الي آيات القرآن الكريم ، ويحسن بنا أن نأتي بما قاله الحكيم في هذا الصدد .

١ ـ الظفر : وهو خندق الاستعاذة من قوله عز وجل « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشـيطان الرجيم » ، وقوله « انه ليس له سـلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » فوعد على الاستعاذة سلب سلطان العدو ، وسمى المستعيذ مؤمنا حيث قال : « انه ليس له سلطان على الذين آمنوا » وسمي المؤمن متوكلا حيث قال : « وعلى ربهم يتوكلون » ثم وصف سلطانه ، فقال « انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون » .

٢ ـ الذكر : وهو خندق الذكر من قوله تعـالى « فاذكرونى أذكركم » فوعد على ذكرك له ذكـره لك ثم قال « ولذكر الله أكبر » جل ذكره وعظمتـه من أن يناله أحد كما هو له أهل ، وقيل فى الحكمة : ذكر العبد بين ذكـر

---

(١) راجع غور الأمور ورقات ٢ ، ٣ والأعضاء والنفس ورقات ١٣٢ ـ ١٣٤ .

الرب ، يذكر الرب بالرحمة فيذكره العبد من ذكره له بالثناء والحمد والعبودة فيذكره الرب بالتوبة والشكر والمغفرة والقبول فذكر الله حرز وثيق وحصن حصـــين •

٣ ـ العون : وهو التوفيق وهو خندق الاستعانة اذ أمر بذلك فى أم الكتاب والسبع المثانى والقرآن العظيم وشرط لعبده على نفسه ان نصفه له ونصفه لعبده وأن لعبده ما سأل ، فقال : قل « اياك نعبد واياك نستعين » ثم قال « واستعينوا بالصبر والصلاة » فشهد لمن استعان به بالخشـوع واليقين بلقـــائه والرجوع اليه عند البعث فقال : « وانها لكبيـــرة الا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون » فالهداية لمن استعان به اذ قال « وأولئك هم المهتدون » •

٤ ـ النصر : وهو خندق الاستنصار من قوله عز وجل « ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » أى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر فوجد النصـــر على حد الاستنصار حيث قال : « فقد جاءكم النصر » ، ثم قال : «ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » •

٥ ـ الهداية : وهى خندق الجهاد من قوله تعالى « وجـاهدوا فى الله حق جهاده •• » فأمر بالجهـاد حق الجهـــاد ثم بين لهم منزلتهم عنـــده وخصوصـــيتهم فقال مبرزا المنة عليهم طالبا لشكره منهم « هو اجتبـاكم » فأنتم أهل جبايتى من بين خلقى فأنتم عبادى المجتبون ثم أبرزهم والطفهم وأظهر لهم العذر وبين لهم الحجج ، فانه لم يأمرهم ولم يحملهم مالا يطيقون فقال : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » ثم نسب ملتهم الى ملة ابراهيم خليله يحرضهم عليها فقال « ملة أبيكم ابراهيم » وشهد لهم بالنبوة لابراهيم « ملة أبيكم ابراهيم أى كأنه أراهم من نفسه اننى بكرامة الآباء الحق بهم الاولاد وأحفظ لهم وأتعـــاهدهم من ذلك قوله « والذين آمنوا واتبعتـــاهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم » ومن قوله : « وكان أبوهما صالحا » أى انما حفظت كنزهم تحت ذلك الجدار وعنيت خليلى الخضر باقامته لســبب صلاح أبيهم ثم قال رحمة من ربك « فان رحمتى قريب من المحسنين » ثم قال

« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » فوعد على الجهاد الهداية لسبيله ثم شهد له بالاحسان ونصره بعميته ، ـ رجعنا الى ما كنا فيه فقال : « هو سماكم المسلمون » فشهد لهم بالاسلام ونسب تلك التسمية الى خليله ابراهيم اى انه ابوكم ومن احق بتسمية الأولاد من الآباء يودد خليله وملته اليهم ثم قال : « وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس » ، حيث تجحد الأمم تبليغ رسل الله اليهم الحجج ، وكتب الله ثم ذكر فى آخره : « واعتصموا بحبل الله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » فمدح نفسه بالمولى والنصر حيث يتولى أموركم الكافر والمسلم وينصركم اذا استنصرتموه ويرضى باليسير ويشكر الكثير ويكرم المطيع ويرحم العاصى ويقبل التوبة والحسنة ويضاعفها ويحط السيئة أو يبدلها ويرفع الدرجة ويقيل العثرة •

٦ ـ الخشية : وهى خندق التوكل من قوله « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » ومن قوله « وعليه فتوكلوا ان كنم مؤمنين » فشهد على المؤمنين بالتوكل •

٧ ـ والنجاة : وهى خندق التسليم حيث ذكر من شأن ابراهيم وابنه : « فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يابراهيم قد صدقت الرؤيا » ثم قال : « وفديناه بذبح عظيم ونجيناه من الغم » ثم وعد من فعل فعله انْ يعامله معاملته فقال « وكذلك ننجى المؤمنين » ثم شهد له بالايمان وسماه عبده فقال :« انه من عبادنا المؤمنين » ثم قال : « انا كذلك نجزى المحسنين » والاحسان هاهنا الاخلاص اى اختلص نفسه من نفسه ووفى لربه بما امره وتوكل عليه (١) •

---

(١) غور الامور ورقة ٤ ـ ٥ ، والاعضاء والنفس ورقة ١٣٤ ـ ١٣٥ م

أسس الحيطان :

وتقوم الحيطان السبعة التى أشار اليها الحكيم على أسس ثابتة تضمن استمرارها قوية صامدة وهذه الاسس هى : الشكر ، الرضا ، الصبر ، الاخلاص ، النية ، القبول ، والاقرار .

وعلى الرغم من تعدد هذه التحصينات التى تصورها الحكيم لحماية مدائن النور من ان يقتحمها العدو فان هناك احتمالا ؟ ان ينام الحراس ويغفل القائمون على شئونها أو يفتر العسكر لأمر من الامور فتتسلل أهواء النفس وشهواتها الى ساحة القلب وتحاول أن تنال من الحيطان او تحدث بها ضعفا أو ثلما او نقبا بسبب آفة من الآفات حينئذ كان لابد أن يكون هناك جهاز خاص بالصيانة والترميم وتعاهد المناطق الضعيفة بالتقوية والاصلاح والتقويم حتى لاتنهار ، ويتمثل هذا الجهاز فى ثمانية أعضاء هى : التهليل ، التحميد ، التكبير ، التمجيد ، الاستسلام ، التسبيح ، الاستغفار ، الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

وتكون هذه الثمانية بمثابة منابع لقوة تغذى القلب وتجدد نشاطه ، وتعينه على بث شعاعه فى كل منطقه من مناطق نفوذه فلا يدنو منها اى خاطر مظلم من خواطر النفس وهواجسها .

واستكمالا للصورة كما رسمها الحكيم وكما تؤخذ من كتاباته نقول : انه يرى أن الصدر الذى يعتبر ساحة وربضا للفؤاد يؤدى اليه أربعة أبواب شارعة من الفؤاد الذى هو أول مدائن النور ، وفى الجانب الآخر من الصدر بابان مؤديان الى النفس يفد منهما شهواتها واهواؤها ورغباتها التى تحاول ان تحتل ساحة الصدر ، وتسعى للتغلب على نور القلب حتى يظل ضعيفا لا يقوى على مقاومة عدوانها ولا يستطيع التقدم الى الصدر والاستيلاء عليه وطرد أهواء النفس ورغباتها من ساحته .

ولعل صورة هذا الصراع الذى يتخذ من الصدر ساحة له يلقى ضوءا

اكثر على ما تصوره الحكيم من وجود الحيطان والخنادق والأسوار محيطة بأولى مدائن النور وهى الفؤاد ، وكذلك يفسر لنا جانبا من تصور الحكيم للصراع الدائم فى داخل الكيان الانسانى الذى دعاه الى اضافة جهاز للصيانة والحفظ والتجديد ليكفل الحماية الدائمة لمدائن النور من غارات الاهواء والشهوات التى تتخذ من دائرة النفس مركزا لها توجه منه هجماتها وتعد خططها •

ويمضى الحكيم فى تصوره فيسمى هذه الأبواب بأسماء خاصة لها ألبسة وستور وحراس بالنسبة للبابين الموصلين بين الصدر والنفس يقول :

ابواب النفس

ان للصدر بابين شارعين الى النفس هما : باب الأمر وباب النهى ، ولهما بوابان موكلان هما المشيئة والقدرة • وعليهما ستران من الجبروت والملكوت •

وعلى البوابين لباسان من نور الوحدانية ونور الألوهية ، حشوهما الرأفة ، واللطف ، والعطف ، والرحمة •

ونسيجهما من نور السلطان ونور العظمة ، ونور الهيبة ، ونور الكبرياء• ولا يستطيع الباحث وهو يتابع الحكيم الترمذى فى تصوره لهذا الصراع الدائر فى جوانح النفس الأنسانية الذى يقوم على اعتبار النور النابع من القلب مصدر الهداية والنور الى جانب أعتبار النفس أساس الشرور التى تتمثل فى اهوائها وشهواتها نقول لا يستطيع الباحث ان يدفع عن خاطره فكرة النور والظلمة التى تقول بها الزرادشتية والديانات الفارسية القديمة التى كانت سائدة فى منطقة ما وراء النهر قبل الاسلام ، وامكانية تسلل هذه الفكرة بوعى او بدون وعى الى احساس الحكيم ووجدانه وكمونها فيه تلون فكره وتصوره للخير والشر والسلوك الانسانى فى مظاهره المختلفة

ومجالاته المتعددة ، وقد يكون الحاح الحكيم الدائب وتركيزه على فكرة نور القلب وظلمة الشهوات داعيا الى الاخذ بعين الاعتبار شيئا مثل هذا ، وقد يكون ذلك سببا من الاسباب التى دعت بعض الباحثين الغربيين وتابعهم عليها الدكتور عبد المحسن الحسينى فى كتابه « نظرية المعرفة عند الحكيم الترمذى » الى القول بأن الحكيم كان ينحو فى تفكيره ، منحى الغنوصيين أو يتابع خطاهم ، الا ان الانصاف يقتضينا ان نوضح ان مثل هذا التأثر بعيد كل البعد عن فكر الرجل ومنهجه لأن شيئا مثل ذلك لم يبد من قريب او من بعيد فى كتاباته ومناقشاته على الرغم من ان شيئا مثل ذلك يظهر عادة فى كتابات المفكرين ، ولكن الخط الظاهر الواضح هو ان فكر الحكيم وتصوره ونظرياته قائمة اولا وأخيرا على فهمه لكتاب الله سبحانه ودراسته العميقة المتأملة الفاقهة لحياة النبى صلى الله عليه وسلم ومتابعة خطاه ، ولعلنا حينما نستحضر فى اذهاننا فكرة الاسلام وغيره من الديانات السماوية عن النفس والشيطان لا نجد ترددا فى رفض فكرة التأثر بالديانات الفارسية القديمة خاصة وان الوحى للانبياء والرسل كان سابقا على هذه الديانات وان دعاتها قد يكونون تأثروا بفكرة الوحى الاولى وحوروها الى ثنائية النور والظلمة واله الخير والشر .

ويتضح من العرض السابق لفكرة النور ومدائنه وحيطانه وخنادقه انها تمثل فى فكر الحكيم قاعدة المملكة وجوانبها المختلفة التى تباشر فيها المعرفة سلطانها وتقضى اوامرها ، وتوزع مواهبها وعطاياها .

فما هى تلك الصورة التى قدمها الحكيم لهذه المعرفة التى احتلت هذه المكانة العليا ؟ وكيف تنفذ أوامرها ؟ وتحافظ على سلطانها ؟ وتفتقد رعاياها؟

صفة المعرفة :

يرى الحكيم ان المعرفة ملك توجه الله بتاج النور ، وكساه حلية

التوحيد وأجلســه على سرائر الملك (١) ، وأحله موضعا من أشــرف النفس واطرفه واعـــلاه ، وله لباس من الجمال ، ولباس من الجـــلال ، ولباس من السلطان ، ولباس من العظمة ، ولباس من الهيبة ، ولباس من الجود ، ولباس من المجد ، ولباس من الكرم ، ولباس من الرحمة ، ولباس من العطف ، ولباس من الرأفة ، ولباس من الشفقة ، ولباس من الجبروت ، ولباس من الملكوت ، وعليه تاج من الالوهية (٢) ، وبين يديه حجب من العدل والحق والعظمة والهيبة والسلطان ، وحجب من النور ، وحجب من الرحمة وحجب من الكبرياء (٣) ٠

صفة العقـــل :

والعقل ولى عهده وصاحب قضائه ، خلقه الله من نور الهيبة وهو ثلاثة أحرف ـ ع ـ ق ـ ل ، فللعين خمسة معان ، العزة ، والعظمة والعلو ، والعلم ، والعطاء ٠

فهذا تفسير معنى العين ، ولكل حرف فيه جوهر ، فوضع من كل جوهر فيه فقولك « ع » فيه العظمة والعزة والعلو والعلم والعطـــاء وأما « القاف » فلها خمسة معانى ، فالقـاف من القربة والقول والقـــرار والقوام والقـدرة فاذا قلت « ع ق » دخل فيه العين والقاف ، ومعانى العين ومعانى القـاف ، وأما اللام فمن اللطف ، واللطف من الرحمة ، والرحمة من العطف ، والعطف من الشفقة ، والشفقة من الشوق ، والشوق من الحب ، والحب حرفان : حاء ، وباء ، فالحاء من الحياة والحياء ، والحـلم والحكمة ، فاذا قلت : حـاء ذلك هذا الحـــاء على أن فيه الحياة والحيـــاء ، والحلم والحكمة ، وأما البـــاء فمن البر ، والبهاء ، فبحاء الحياة أحيا جسده ، وبحاء الحب أحيا قلبه حتى عرفه ، وبباء البر ، بره ينعم الدنيا ، وبباء البهاء باهى به عند الملائكة ٠

---

(١) صفة القلوب ورقة ٢٢٣ ٠
(٢) ، (٣) غور الأمور ورقة ٣٠ والأعضاء والنفس ورقة ١٥١ ٠

والعقل فى صورته أحسن الخلق وأزينه ، ثم فى لباسه أحسن الألبسة وأشرقها ، وحشاه بأنوار الوحدانية والفردية والكبرياء ، وكساه بكساء من نور الجمال ، ونور البهاء ، ونور الجلال ، ونور السناء ، ونور الحسن ، ونور العظمة ، ونور الهيبة (١)٠

أعوان العقـــل :

للعقل مائة من الاعوان والجنود ، وهى الاخلاق المائة التى اعطاها الله سبحانه لآدم عليه السلام وهؤلاء الاعوان هم :

١ ـ العـــلم ٠
٢ ـ الحـــلم ٠
٣ ـ اليقين ٠
٤ ـ الحق ٠
٥ ـ البصـــر ٠
٦ ـ الصـــبر ٠
٧ ـ الهـــدى ٠
٨ ـ الرشـــد ٠
٩ ـ الحفـــظ ٠
١٠ ـ العفـــاف ٠
١١ ـ الفطنـــة ٠
١٢ ـ الفهـــم ٠
١٣ ـ الوقـــار ٠
١٤ ـ الســـكينة ٠
١٥ ـ الحياء ٠
١٦ ـ الرزانة ٠
١٧ ـ التقى ٠
١٨ ـ الفكرة ٠
١٩ ـ التذكـــر ٠

---

(١) الاعضاء والنفس ورقة ١٥١ ، وغور الامور ورقة ٣٠ ٠





٢٠ ـ العفـــو •
٢١ ـ البر •
٢٢ ـ الرحمـــة •
٢٣ ـ الرقـــة •
٢٤ ـ الرأفـــة •
٢٥ ـ اللطف •
٢٦ ـ العطف •
٢٧ ـ اللين •
٢٨ ـ الجـــود •
٢٩ ـ المجـــد •
٣٠ ـ العطـــاء •
٣١ ـ الســـلطان •
٣٢ ـ الكبـــر •
٣٣ ـ العظمـــة •
٣٤ ـ الفخـــر •
٣٥ ـ الحمـــد •
٣٦ ـ الذكـــر •
٣٧ ـ الثنـــاء •
٣٨ ـ الشـــكر •
٣٩ ـ الهيبـــة •
٤٠ ـ العـــزة •
٤١ ـ التواضـــع •
٤٢ ـ التضـــرع •
٤٣ ـ الخشـــوع •
٤٤ ـ الخضـــوع •
٤٥ ـ الصـــدق •
٤٦ ـ الصـــلة •
٤٧ ـ الاخـــلاص •
٤٨ ـ النيـــة •
٤٩ ـ العـــزم •



٥٠ ـ الحـــزم .
٥١ ـ الوفـــاء .
٥٢ ـ العـــدل .
٥٣ ـ الســـلام .
٥٤ ـ الســـداد .
٥٥ ـ الاحســـان .
٥٦ ـ الشـــوق .
٥٧ ـ الحكمـــة .
٥٨ ـ العبـــادة .
٥٩ ـ القنـــاعة .
٦٠ ـ الرضـــا .
٦١ ـ الحـــذر .
٦٢ ـ التدبيـــر .
٦٣ ـ الـــرأى .
٦٤ ـ التوكـــل .
٦٥ ـ التفـــويض .
٦٦ ـ التســـليم .
٦٧ ـ الظفـــر .
٦٨ ـ النصـــر .
٦٩ ـ النصـــح .
٧٠ ـ الصـــفح .
٧١ ـ الغفـــران .
٧٢ ـ الســـتر .
٧٣ ـ الرغبـــة .
٧٤ ـ الرهبـــة .
٧٥ ـ الرجـــاء .
٧٦ ـ الخـــوف .
٧٧ ـ العصـــمة .
٧٨ ـ النـــوال .
٧٩ ـ المـــداراة .
٨٠ ـ الصـــمت .





٨١ - الحب ٠
٨٢ - الأمـــر ٠
٨٣ - النهى ٠
٨٤ - الصـــلابة ٠
٨٥ - الخـــلق ٠
٨٦ - الحث ٠
٨٧ - الذهـــن ٠
٨٨ - الالهـــام ٠
٨٩ - المراقبـــة ٠
٩٠ - الفنـــاء ٠
٩١ - التـــوبة ٠
٩٢ - الاثابـــة ٠
٩٣ - الفـــرح ٠
٩٤ - الســـرور ٠
٩٥ - العبـــرة ٠
٩٦ - العظمـــة ٠
٩٧ - الندامـــة ٠
٩٨ - الذكـــانة ٠
٩٩ - الكياســـة ٠
١٠٠ - الزهـــد ٠

هؤلاء المائة بين افراس ورجالة وابطال وغيـــرهم وكل على أمر وعمل يؤديه ويقوم به أما توزيع امورهم واعمالهم فقد رتبها الحكيم الترمذى كما يلى ٠

وظائف اعوان العقـــل :

عرفنا ان المعرفة ملك
وان العقل ، ولى عهده وصاحب قضائه ٠
والحلم والعلم ، وزيرا العقل ٠
اليقين ، قائم الجيش ٠
الحـــق ، صاحب المظالم ٠
النصر والفتح والفطنة ، الطليعة ٠

الفهم ، صاحب البيان •

الوقار والسكينة ، قائداه •

الحياء ، صاحب السر •

الصبر ، صاحب الاستدراج •

الهدى والرشد ، الدليلان •

الحفظ والصيانة ، صاحبا الكنوز •

العفاف والرزانة والتقى والورع ، اصحاب الخزائن •

الفكر والتذكر ، صاحبا المكر •

العفو والبر ، صاحبا الصلح •

الرحمة والرقة واللطف والمراقبة واللين والمداراة ، اعوان القاضي •

الجود والمجد والعطاء والكرم ، اصحاب الارزاق •

الحمد والذكر والثناء والشكر ، اصحاب المدد •

الهيبة والسلطان والكبر والعظمة والفخر والعز ، الابطال المحاربون •

التواضع والخشوع والخضوع ، الرجالة •

والصـــدق ، القاضى •

الصحة والاخلاص والنية والعزم والحزم ، اصحاب المبارزة •

الوفـــاء ، الامين •

العـــدل ، السجان •

السلامة والسداد ، اصحاب الاعلام •

الاحسان ، صاحب الرايات •

الشـوق ، صاحب اللواء •

الحـكمة ، الحاكم •

العبادة ، الخدمة •

القناعة والرضا، قيما الامور •

الحـذر ، المدبر •

الرأى والتدبير ، صاحب المشورة •

التوكل ، صاحب الحصن •

الظفر والنصر ، الرماة •

النصح والصفح ، الرسل •

الرغبة والرهبة والرجاء والخوف ، الشاكرية •

المداراة والصمت ، اصحاب الرصد •

الحب ، البندار (كلمة فارسية) •

الأمر والنهى ، العهد والميثاق •

الصلابة ، الجلاد •

الخلق والسمت ، وكيلان •

الحدة ، صاحب الشرطة •

الذهن ، امير الجيش •

الالهام ، رسول الملك الأعلى •

المراقبة ، صاحب الاخبار •

الغناء ، الطبال •

الفرح والسرور والانبساط ، اللعب •

العبرة ، الجاسوس •

العظة ، المنادى •

الذكاءة والكياسة ، اصحاب الغاشيات والجنايب •

الورع والزهد ، المحتسبان •

التوبة ، المقدرة •

الندامة ، الساقة (١) •

هذه صفة الجنود وأمورهم وأمارتهم وأعمالهم وأفراسهم •

---

(١) الاعضاء والنفس مخطوط ورقة ١٥٢ وغور الأمور مخطوط ورقة ٣١ ـ ٣٢ •

والمعرفة كما رأينا من تصور الحكيم الترمذى لها ، هى أعلى المستويات الروحية التى يصل السائر اليها الى الله سبحانه ، ولا تتهيأ الا لنوع خاص من البشر وهبهم الله صفاء الروح وذكاء القلب ورقة الحواس ونفاذ البصيرة اختارهم فمنحهم حفظه وافاض عليهم من نوره ، فما هى طريق المعرفة هذه ؟ وكيف حصلوها ؟ وما هى تلك المعارف التى وصلوا اليها ؟ ومن هم هؤلاء ، الذين اطلق عليهم أهل المعرفة ؟ ، وهل المعرفة هى العلم ام ان هناك فارقا . وفى الصفحات المقلبلة محاولة للاجابة عن هذه الاسئلة وما يتصل بها .

الصلة بين العلم الظاهر والعلم الباطن :

يقول الحكيم ان هناك نوعين من العلم : العلم الظاهر ، والعلم الباطن ، ويسمى العلم الأول العلم بالمجان ويسمى الثانى العلم بالثمن وثمنه اصابة الصدق بالسعى القوى وطريقه على العلم بالمجان (١) .

والعلم الظاهر هو قوام الشريعة ، وتأديب النفس واصلاحها ومنعها عن الجهل ، ومعرفة حدود احكام الدين ، وهو ما يطلق عليه علم الشريعة ويسميه احيانا علم الحلال والحرام او علم احكام هذه الدار .

اما العلم الباطن ، فهو علم القلب ، وهو العلم النافع ، وهو علم الحقيقة ، ويستند الحكيم الترمذى فى تقسيم العلم الى ظاهر وباطن الى ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم . العلم علمان : علم باللسان ، فذلك حجة الله تعالى على خلقه ، وعلم بالقلب فذلك العلم النافع (٢) وذلك استنادا الى قوله عليه السلام .. ما من آية الا ولها ظهر وبطن وما من حرف الا وله حد ولكل حد مطلع (٣) .

ولا يستغنى باطن العلم عن ظاهره ، ولا ظاهره عن باطنه ، لأن الظاهر

---

(١) علم الاولياء مخطوط دار الكتب ورقة ٤٢ .
(٢) علم الاولياء ورقة ص ٥٥ .
(٣) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٥٢ ـ ٥٣ .

بيان الشريعة ، وهو حجة الله تعالى على خلقه ، والباطن بيان الحقيقة في عمارة القلب والنفس بهما جميعا ، وصلاح ظاهر الدين وقوامه بعلم الشريعة ، وصلاح باطنه وقوامه بعلم الحقيقة .

ولهذا لا يكون العالم عالما بالباطن حقا الا اذا كان عالما بالظاهر لأنه الطريق اليه ، ومن هذا يبدو قوة ارتباط كل من العلمين بالاخر ، فمن انتقى بالعلم الباطن ولم يتعلم العلم الظاهر ليقيم به الشريعة وأنكره فهو زنديق ، وليس علمه في الباطن علما في الحقيقة ، انما هو وساوس يوحى بها الشيطان اليه (١) .

ويبدو من هذا التفصيل السابق رأى الحكيم الترمذى بوضوح في ضرورة تحصيل العلم الظاهر والالمام به الماما كاملا ، وكذلك يبدو من كتابات أخرى في أماكن مختلفة من كتبه انه يرى أن باطن العلم لا يعارض ظاهره ، ومن يدعى باطنا من العلم يخالف ظاهر الشريعة فدعواه رد ودينه متهم وعلمه وساوس من الشيطان .

وفى معرض حديثه عن هذين النوعين يحذرمن اتخاذ العلم بهما وسيلة الى التجمل أمام الناس أو جلب منافع دنيوية أو السعى الى نباهة عند ذوى الجاه والسلطان او طلب رياسة اوسلطة .

ويرى ان المعارف التى تتخذ وسيلة الى هذه الامور الدنيوية انما هى قشور ليست من باب العلم ، وانها تهلك صاحبها وترديه، ، لأنه لم يراع كرامة العلم الذى اعلى الله شأنه . ولخطر هذا الأتجاه على المعرفة ذاتها ، وتدميره لمعانى الخير فى الانسان التى يذكيها العلم الحق ويصقلها كان حديثه عن المنحرفين بمثل العلم العليا عن اتجاهاتها السامية حديثا قاسيا عنيفا ، ونقده لهم مرا لاذعا ، وتزييفه لما يحصلون من معارف حادا صارما حتى اتهمه

---

(١) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٥٢ ـ ٥٣ .

بعض الناس برفضه للعلم وكان ذلك سببا فى ان كتب عدة رسائل بين فيها الوان العلوم ، وميز زائفها من صحيحها ، ودعا الى تحصيل العلوم التى يجدر بالعالم الحق أن يطلبها ويسعى فى سبيلها ٠ وتناول كذلك أصناف الطالبين للعلم والمتسمين بسمة العلماء ، تناول كل ذلك بتفصيل شامل فى رسائله ٠

١ - بيان العلم مخطوط باسماعيل صائب ٠

٢ - انواع العلم مخطوط باسماعيل صائب ليبزج - ولى الدين ٠

٣ - علم الاولياء ٠٠ القاهرة ، كلكتا ، وخراجى اوغلو ٠

٤ - كتاب الاكياس والمغتربين مخطوط بالظاهرية واسماعيل صائب ٠

٥ - العلم العفن مخطوط بالظاهرية وليبزج واسماعيل صائب ٠

٦ - الأعضاء والنفس مخطوط بباريس اسعد افندى ٠

٧ - غور الامور ٠٠ أسعد افندى ٠

٨ - العقل والهوى مخطوط ٠ بأسعد أفندى وباريس ٠

٩ - صفة القلوب مخطوط بمكتبة قسطمونى ٠

وفى أماكن متفرقة من كتبه الأخرى ، ومن أجل ذلك يجد الباحث نفسه امام اكثر من تقسيم للعلم ، وان كانت هذه التقسيمات المتعددة لا يعارض بعضها بعضا ، وانما تتفاوت بين الاجمال والتفصيل تبعا لطريقة العرض التى اتبعها او رغبة فى التركيز على فكرة بعينها نتيجة لسؤال طرح او نقطة اريد ابرازها والضغط عليها ٠

انواع العلم :

ومن أمثلة هذه التقسيمات انه يقول : العلم ثلاثة : آية محكمة ، وسنة قائمة ، وفريضة عادلة (١) ٠

ثم يقول مرة ثانية : وجدنا العلم فى تحصيلنا على ثلاثة أنواع :

---

(١) بيان العلم اسماعيل صائب ورقة ١٢ ٠

نوع منها الحلال والحرام ، وهو علم احكام هذه الدار ، ونوع منها علم أحكام الآخرة ، وهو علم الباطن ، ونوع منها علم أحكام الله تعالى فى خلقه فى الدارين (١) ، ويقسمه تقسيما آخر فيقول : العلم ثلاثة انواع نوع منها الحلال والحرام ، ونوع ثان الحكمة ، ونوع ثالث علم المعرفة ، وهو الحكمة العليا (٢) ٠

وهناك تقسيم آخر يقول : العلم ثلاثة انواع : علم بالله ، وعلم بتدبير الله تعالى وربوبيته ، وعلم بأمر الله تعالى ، وعلم التدبير للعباد داخل فى باب العبودة ، والعلم بالله هو الثناء الذى يظهر على الألسن من بساتين القلوب (٣)

ومن استعراض هذه التقسيمات يتبين أنه يسمى علم الظاهر احيانا علم الحلال والحرام ، واحيانا علم هذه الدار ، وأحيانا العلم بأمر الله تعالى ، وموضوعه معرفة الاحكام الشرعية كما يقررها الفقهاء ، وما يتصل بذلك وكذلك علم الرواية للاحاديث ٠٠ وله فى بيان هذا النوع من العلم رأى سنتناوله بالتفصيل حينما نتحدث عن العلماء لأنه سيبرز من خلال استعراضه لاصنافهم أى معارفهم مقبول وأيها مرفوض ، أما النوع الذى أفاض الحديث عنه فهو علم الباطن او العبادة الباطنة ، وهو يتناول القسمين الثانى والثالث ، ولكل منهما أكثر من تسمية ، فعلم الباطن هو علم أحكام الآخرة ، أو هو الحكمة أوهو العلم بالله ٠

اما النوع الثالث وهو أعلى الدرجات فهو علم احكام الله تعالى فى خلقه فى الدارين ، او هو علم المعرفة الذى هو الحكمة العليا او هو العلم بتدبير الله تعالى وربوبيته ، وعلى أية حالة فكلا النوعين يعتبر من العلم الباطن غير أن الثالث يمثل قمة المعرفة الباطنة ٠

---

(١) بيان العلم ـ اسماعيل صائب ورقة ١٢ ٠
(٢) أنواع العلم مخطوط ليبزج ورقة ١٥٧ ٠
(٣) علم الاولياء مخطوط القاهرة ورقة ٦١ ٠

وقد اعطانا الحكيم تفصيلا لكيفية تحصيل هذا العلم ومراتبه وأصوله :
فقال : انه يتولد من صفاء المعاملة مع الله تعالى ، وهو أن يوافق الله تعالى في اختياره فيعوضه الله نورا يرى به بعض سر الله تعالى ، وبعض سر خلقه اذا وقع له (سيما) أى على سبيل الرمز أو يرد الى قلبه كما يقع من غير تكلف (١) •

وقد سماه علوم اهل المعاملات وتحدث عن طريقة مراتب تحصيله فقال :
اعلم ان علم للباطن اطلاع العبد على اسرار الله تعالى واسرار خلقه ، ولا يكون الا باماتة العارف لنفسه ، ومعاملاته مع الله تكون على ثلاث طبقات فى ثلاث مراتب :

احداها على الموافقة ، وثانيتها على الهيبة ، وثالثتها للأنس ، فموافقته تكون من كشف القدرة ، وهيبته تكون له من تعظيمه واجلاله ، وأنسه يكون من لطائف الله تعالى وجماله ، وبره له وكرمه عليه كما قال : ويبقى وجه ربك ذى الجلال والاكرام ، فهيبته من اجلاله ، وأنسه من اكرامه (٢) •

ويرى ان لهذا العلم ثلاثة أصول : علم العبودية ، علم الحرية ، علم الربوبية ، اما علم العبودية فعلى ترك التملك والاضطراب ، واما علم الحرية فبنسيان الاجزاء السبع للافتخار ، واما علم الربوبية فعلى المشيئة والاقتدار •

وما يبدو لأهل المعرفة فى الابتداء فالوله والتحير ، وفى وسطه اللذة وآخره الفناء والحيرة ، أما فناؤه فعن غير الحق ، وأما تحيره ففى الوجد (٣) •

ويتناول النوع الاول من العلم الباطن وهو الذى يسميه العبادة الباطنة ، وهو النوع الأول من العلم الباطن ويسميه علم احكام الاخرة • ثم يقسمه الى الحلال والحرام ، أما اجزاء الحلال من علم الباطن فمنها : الورع والتقوى ، والزهد والصبر ، والرضا ، والقناعة ، والتوكل ، والتفويض ، واليقين ،

---

(١) معرفة الأسرار مخطوط قسطمونى ورقة ٢١٤ - ٢١٥ •
(٢) معرفة الاسرار مخطوط قسطمونى ورقة ٢١٦ •
(٣) معرفة الاسرار مخطوط قسطمونى ورقة ٢١٧ •

وسلامة الصدر ، وسخاوة النفس ، ورؤية المنة ، والنية ، والاحتساب، وحسن الظن ، وحسن الخلق ، وحسن المعرفة ، وحسن المعاشرة ، وحسن الطاعة ، والصدق والاخلاص .

اما اجزاء الحرام من علم الباطن فهى : خوف الفقر ، وسخط المقدور ، والغل ، والحقد ، والحسد ، وطلب العلو ، وطلب المنزلة ، وحب الثناء والمحمدة وحب الحياة فى الدنيا ، والكبر ، والغضب ، والحمية ، والأنفة من الفقر ، وحب الرياسة ، والعداوة والبغضة ، والطمع ، والبخل ، والرغبة ، والرهبة ، والبذخ ، والاشر ، والبطر ، والتعظيم للاغنياء من أجل غناهم ، والاستهانة بالفقراء من أجل فقرهم ، والفخر ، والخيلاء ، والتحبب الى الناس بما يحب الله فاذا خلا فيما يكره الله ، والتنافس فى الدنيا ، والمباهاة ، والرياء والسمعة ، والاعراض عن الخلق استكبارا ، والخوض فيما لا يعنيه ، وكثرة الكلام ، وفضول الكلام ، وفضول النظر ، وفضول الطعام ، والصلف والأذى، واختيار الأحوال ، والتملك ، والاقتدار فى امر الله ، والتزين للمخلوقين ، والمداهنة ، والعجب ، وحب التعظيم ، وان يمدح بما لم يفعل ، والاشتغال بعيوب الخلق عن عيوب النفس ، ونسيان النعمة ، وترك شكر المنعم ، والعمى عن احسان الله تعالى ، وافتقاد الحزن من القلب ، وخروج الخشية ، والانتصار للنفس اذ نبالها الذل وترك الانتصار للحق ، واتخاذ اخوان العلانية على عداوة فى السر والامن لسلب ما أعطى ، وترك الهوى حتى يشاركه فى الامور ، والانقياد للهوى ، وشهوة الكلام والشهوة الخفية ، والاتكال على الطاعة ، والهرب من الذل ، وطلب العزة ، والمكر ، والخيانة ، والمخادعة ، والحرص ، وطول الأمل ، والتجبر ، وعز النفس ، وخوف سقوط المنزلة من عيون الخلق ، وذهاب ملك النفس اذا رد عليه قوله ، والتماس المغالبة لا لله تعالى ، والقسوة ، والفظاظة ، وغلظ القلب ، والغفلة ، وسوء الخلق ، والفرح بالدنيا والحزن على فواتها ، والأنس بالمخلوقين ، والوحشة اذا عجز عن رؤيتهم ، والمراء فى الكلام ، والجفاء والطيش ، والعجلة والحدة

والتجزيرة ، واستحقار المؤمن ، والاستخفاف بالحرمة ، وقلة الحياء وقلة الرحمة (١) .

أما النوع الثالث :

فهو العلم بتدبير الله فى خلقه ، ويصف الحكيم هذا النوع من العلم بأنه بحر لا يدرك غوره ، ويأخذ الحكيم الترمذى هذا التقسيم من قول النبى صلى الله عليه وسلم لأبى جيحفة : جالس الكبراء ، وخالل الحكماء ، وسائل العلماء (٢) وهو مأخوذ من حكمة الله العليا ، ومقتبس من علم البدء ونور الوحدانية فى قربه بين منازل الخاصة ، وانما عز وجوده لعزازة العزيز الماجد الكريم عن وصول مجده وكرمه الى اللئام . ولا ينال هذا العلم الا الاحرار الكرام الذين جاد عليهم ، وهم كل من بذل نفسه لله تعالى عبودة ، وهم المحدثون الذين كادوا يلحقون الانبياء لقربهم من منازلهم وعظم نورهم لقربهم من نور الانبياء ، وانما نالوا ذلك لأنهم وصلوا الى أمس التدبير واصول العلم ، وهم الذين احتظوا من النبوة على قدر درجاتهم فمنهم من له من النبوة نصفها ، ومنهم من زيد على ذلك ، وله من صفاء الانبياء على قدر نصيبه ، ومن النور على قدره ، ومن القرب كذلك ومن الحديث كذلك .

والمحدثون ايضا يعرفون سر كل حرف من الحروف وسهمه من العلم ويطالعون سلطان كل كلمة وقدرتها على الأمور ونفاذها (٣) .

اسماء جديدة للعلم :

يعطى الحكيم درجات العلم مسميات جديدة فى كتابه الاكياس والمغترين ويسميها على التوالى :

---

(١) مخطوط اسماعيل صائب ورقة ـ ١٣ .
(٢) مخطوط اسماعيل صائب ورقة ـ ١٤ .
(٣) علم الأولياء ورقة ٤٣ مخطوط القاهرة .

الحق ، والعدل ، والصدق (١) ، وينطبق هذا التقسيم تمام الانطباق على ما قاله في اماكن اخرى ، ويؤكد هذا الاستنتاج انه قال بعد ان ذكر هذه الثلاثة التي اعتبرها اركان الدين انها ايضا جند المعرفة ، وتتأكد هذه المقارنة حينما يقول : فالحق على الجوارح ، والعدل على القلوب ، والصدق على العقول (٢) .

ومن الواضح انه يعتبر الصدق أعلى هذه الثلاثة درجة وهو يقابل المعرفة في التقسيمات السابقة لأنواع العلم ، هذه المعرفة التي يتصورها الحكيم سفينة تحمل اسرار الله وسماته حين يقول : المعرفة سفينة حمولتها اليمنى اسرار الله ، وحمولتها اليسرى سمات الله (٣) .

وتستمد هذه المعرفة من كنوز ثلاثة :

(ا) علم الأسرار .

(ب) علم الصفات والسمات .

(ج) البصيرة أو صدق التأويل (٤) .

الحكمة :

يسمى الحكيم علم الباطن احيانا بالحكمة في اماكن كثيرة من كتاباته ، وقد ذكر ذلك صراحة فى كتابه الفروق حين قال محاولاً بيان أثر العلم الظاهر والباطن فان طهرت مكانه (يعنى القلب) تطهير الظاهر ، او أودعته علم الظاهر لم يدر عليك الا ما اودعته ، وذلك علم بغير مدد ، وان طهرت مكانه تطهير الباطن در عليك علم الظاهر مع المدد ، وهو العلم الباطن ، واسمه الحكمة ، وذلك المدد من الله (٥) .

---

(١) ، (٢) الاكياس والمغترين ورقة ١ ـ مخطوط الظاهرية ، ومخطوط اسماعيل صائب ورقة ٧٠

(٣) نوادر الأصول ص ٣٣٠ .

(٤) المعرفة عند الحكيم الترمذي للدكتور عبد المحسن الحسيني ص ٢٧٤ ـ ٢٧٨ .

(٥) الفروق ومنع الترادف بخطوط السلمانية ورقة ٩٧ .

وفى تحصيل نظائر القرآن يقول : ان الحكمة هى باطن العلم ، ثم يأخذ فى بيان نصيب كل فريق من العلماء فيقول : الحكمة باطن فالظاهر للعلماء بأمر الله ، والباطن للعلماء بالله وبتدبير الله فالعلماء بأمر الله هم عمال الله ، والعلماء بالله وتدبير الله هم قواد الله يقودون العساكر الى بابه ، وبأيديهم ألوية المقربين وأعلام الامراء فهم اولو الأمر الذين أمر الله بطاعتهم فقال : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم » .

ويسمى المعرفة الحكمة العليا ، او حكمة الحكمة ، غير انه فى مواضع متعددة من كتبه قد تحدث عن الحكمة حديثا ربما يبدو للوهلة الأولى أنه يعنى بها نوعا جديدا من المعرفة ، الا أن النظرة الفاحصة لا تلبث ان تدرك بجلاء انه يعنى بالحكمة العلم الباطن ، ولكى يبدو الامر جليا فاننا سنورد بعض ما جرى به قلمه لنتأكد النتيجة التى استخلصناها ، وهى ان المقصود من الحكمة العلم الباطن ، يقول فى هذا الصدد : العلم علمان ، والحكمة حكمتان ، لحديث النبى صلى الله عليه وسلم ، ما من آية والا ولها ظهر وبطن، فظاهر الآية علم ، وباطنّ الآية حكمة ، وقد قال تعالى : « ويعلمهم الكتاب والحكمة » فالكتاب ظاهر القرآن ، والحكمة باطنة ، وهى التى يقال لها حكمة الحكمة وهى الحكمة العليا (١) .

وهو ينظر فى التقسيم السابق بالنسبة للعلم الباطن والحكمة الى حديث أبى جحيفة الذى استشهد به فى اماكن كثيرة من كتبه ، والحديث يقول : سائل العلماء ، وجالس الكبراء ، وخالل الحكماء (٢) وحينما علق عليه الحكيم اعتبر مجالسة الكبراء هى هى الدرجة العليا (الثالثة) (٣) ، وقد اشار فى تعليقه على الحديث الى النتائج التى تعود على من يلتزم العمل به

---

(١) تحصيل نظائر القرآن ورقة ١٣٣ .

(٢) جاء الحديث مختلف الترتيب فى مخطوط اسماعيل صائب فقال هناك : جالس الكبراء ، وخالل الحكماء ، وسائل العلماء .

(٣) مخطوط ليبزج ورقة ١٨٣ ، ١٨٤ ، ومخطوط ولى الدين ورقة ٧ .

حين قال : فبمساءلة العلماء تقوى على معرفة الله تعالى فى حدوده واحكامه ، فهذا ثمرته ومحصوله ما يتردد فى يدك منه ، وهو أمر عظيم بمكانه ، ولكنه يصغر فى جنب المعنى الثانى ، والثانى فى جنب الأول ، وبمخاللة الحكماء يفضون اليك اسرار الحكمة وهو ما اطلعوا عليه من علم عيوب النفس ، ودقائق الورع ، وصفاء الصدق وتوبة العطايا ، وتدبير الله فيه ، واذا لم تجالسهم لم تخاللهم ، فاذا جرت الخلة بينك وبينهم وجد القلب مركبا ومستودعا ، ووجدت الحكمة مأمنها فأرتعت رياضها على الطمأنينة ، واسئول عن العلم غير موجود عنده هذا ، فلذلك قال : خالل الحكماء ، وبمجالسة الكبراء يموت عنك كل داء دفين فيك ، اولئك قوم تكبروا فى كبرياء الله ، واعتزوا بعزة الله ، ولانوا لخلقه برحمته ، ونطقوا في لطفه وتطهروا بقرب نزاهته فهم أهل الحكمة العليا (١) ٠

وكما ان العلم علمان فان الحكمة حكمتان لأن لكل علم حكمة ، حكمة فى العلم به وهى الحكمة العليا ، وحكمة فى العلم بأموره وتدبيره وصنعته ، ثم يزيد هذا الأمر أيضاحا فيقول : لكل علم حكمة ، فكما ان العلم علمان ، فكذلك الحكمة حكمتان ، وانما صار العلم علمين لان علم الصفات غير علم التدبير ، ولكل علم حكمة ، فحكمة علم الصفات علم القدرة ، وحكمة علم التدبير علم ملك الملك ، وعلم الربوبية (٢) ٠ فالمجذبون اليه المجتبون على طريق الأنبياء نالوا منه الحكمة العليا والسائرون اليه على طريق الاولياء نالوا الحكمة الدنيا ، وعيوب النفس وعلم الصدق فى اموره وفى العطايا (٦) ٠

مصادر الحكمة

الحكمة بحسب مصادرها مراتب ثلاث : حكمة تتولد من كثرة التجارب، وحكمة تتولد من صفاء المعاملة ، وهذه تدلك على الآخرة وحكمة تتولد من

---

(١) مخطوط ليبزج ورقة ١٨٤ ، ومخطوط ولى الدين ورقة ٧ ٠
(٢) الامثال مخطوط اسعد افندى ورقة ١٨٩ ٠
(٣) معرفة الاسرار مخطوط قسطمونى ورقة ٢١٦ ، ٢١٧

التقرب والمشاهدة ، وانها الحق لأهله ، وهذه الحكمة تدلك على التقرب والصفات ووجود بقربة الحق ، وهى اعلاها واجلها ٠

والتى تتولد من التجربة تدلك على مصالح الدنيا ، وهى ادناها ، والثانية على الآخرة، والثالثة على الجود والحق ، ان الله هو الحق المبين (١) ٠

علم الحروف :

يرى الحكيم ان حروف المعجم أساس المعارف والعلوم ، وان لها دلالات واسرار خاصة تهدى الى نوع من المعارف الآلهية لا ينالها الا الخاصة من الاولياء الذين منحهم الله سبحانه معرفة أسرار هذه الحروف بما أفاض عليهم من نوره حتى اهتدوا اليها ٠

وفى حروف المعجم علم البدء كله ، وصفات الله وأسماؤه من صورة حروف المعجم ، وفيها علم التدبير من لدن خلق الله آدم الى يوم الوقت المعلوم (٢) ٠

وأول ما بدأ من العلم اسماؤه تعالى ، وأول اسمائه الله ، ثم الاسماء كلها بعد ذلك منسوبة اليه ، وجميع العلم فى الاسماء ، قال تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها » ، وأصل العلم من الحروف المعجمة ، وعلمها الله لآدم حتى بان فضله على الملائكة (٣) ٠

فروق بين العلم والحكمة والمعرفة ؟

جرى على لسان الحكيم كلمات العلم ، والمعرفة ، وكذلك العالم ، والحكيم ، والعارف ، فى معرض تحديثه عن المعرفة وأهلها فهل هذه الكلمات

---

(١) معرفة الاسرار مخطوط قسطموني ورقة ٢١٦ ، ٢١٧٠
(٢) علم الاولياء مخطوط القاهرة ورقة ٤٠ ٠
(٣) علم الأولياء مخطوط القاهرة ورقة ٣٩ ٠

مترادفات تدور على معنى واحد ؟ ، ام ان بينها فروقا يعنيها الحكيم ويقصدها ، وسنحاول ان نستخلص من استعماله لهذه الكلمات ما يعنى بها ، ونوضح الفروق التى بينها على ضوء استعماله لها •

والذى يبدو لى اولا ان الكلمات الثلاث : العلم ، والحكمة ، والمعرفة تتدرج فى مراتب ثلاث حسب ما يقصده الحكيم من استعمالها ، وهى على الترتيب التصاعدى التالى : الاول العلم ، الثانى الحكمة ، والثالث المعرفة ، فالعلم ادنى المراتب الثلاث ، وتليه الحكمة ، والمعرفة اعلاها درجة وأرفعها شأنا وتعتبر الحكمة أولى درجات المعرفة ، بمعنى أن العارف لا بد أن ينال الحكمة اولا ، ثم يرتقى بعد ذلك الى تحصيل المعرفة •

والفرق بين العلم والحكمة ، ان العلم يدرك بالاكتساب والتحصيل والتعلم ، أما الحكمة فلا تدرك بالاكتساب والتعلم لأنها منة من الله للعبد ، وهذه المنة تنال بالتطهر والتصفية ، وحق العبودة لله وصدق الرغبة والاتجاه اليه سبحانه بالتضرع اليه • وقد فسر الحكيم هذا الطريق فقال يترك مشيئاته فى الامور كلها لمشيئة الله عز وجل ، ويراقب ماذا يبدو له من مشيئة الله عز وجل فى الأمور كلها فيتلقاها بالتعظيم فيتقبلها ، فهذا عبد قد جمع التقوى والزهد والعبودة ، وحق ايمانه واسلامه ، فاستحق البر واللطف من مولاه • فمن عليه بالحكمة وأوصله بذلك النور الى معدن التدبير يوم المقادير (١) •

ولهذا كانت نتيجة العلم محدودة منقطعة تنتهى الى حد معلوم أما ثمرة الحكمة فهى دائمة غير منقطعة لأن العلم من وادي الشريعة • والحكمة من بحر المعرفة • وفى هذا يقول الحكيم : فاستنباط العالم منقطع ، واستنباط

---

(١) الفروق ومنع الترادف مخطوط السليمانية ورقة ٢٩٧ ، وكذلك المعرفة عند الحكيم الترمذى تأليف الدكتور عبد المحسن الحسينى ص ١٣٧ •

الحكيم غير منقطع لأن العلم من وادى الشريعة والحكمة من بحر المعرفة (١)٠

والذى ينال الحكمة يكون اهلا لأن ينظر فى الامور ، ويقيس الاشـياء بعضها ببعض ، لأن نور الحكمة يهديه ، ولأن عطاءه متصل غير منقطع ، اما الذى لا يصل الى درجة الحكمة ، وهو العالم بأمور الظاهر ، فانه يفقد نور الحكمة الهادى ، ولذلك لا يكون نظره فى قياس صـائبا لانه يختلط عليه القياس بالمشاكلة ٠

والذى ينال الحكمة يسمى الحكيم العالم ، وقد نال حظا من اسم الله « العليم الحـكيم » الذى تردد فى التنزيل وصف الله تعـالى به ، يقول الحكيم : فالقياس لمن جمع الله له علم الظاهر والباطن ، فاستحق الاسمين فيقال عالم حكيم ، من الله عليه بأن اعطاه العلم للباطن ، وشق له من اسميه حظا ٠ فقد تسمى بهما فى غير موضع من التنزيل « انه هو العليم الحكيم »(٢)

اصـناف العلماء :

العلماء ثلاثة اصناف : العلماء بأمر الله ، وغاية علمهم معرفة الحـلال والحرام ، وما يتفرع من تلك الأصـول لتنازع الناس فى خصـوماتهم ، فاشتغلوا بتعليم ذلك ، وقطعوا اعمارهم فيه ، فلم يجاوزوه ، ولم يروضـوا انفسهم وهاجت عليهم شرة نفوسهم ، وأظلمت قلوبهم (٣)

الصنف الأول :

والعلماء بالحلال والحرام يسـلكون بك فى طريق الشـريعة الى الجنة وبمساءلتهم تعرف الحلال من الحرام (٤) ٠ وهم على خطر عظيم ، ويندرج

---

(١) الفروق ومنع الترادف مخطوط السليمانية ورقة ٩٧ ٠
(٢) الفروق ومنع الترادف مخطوط السليمانية ورقة ٩٧ ٠
(٣) بيان العلم مخطوط اسماعيل صائب ورقة ١٦ ٠
(٤) انواع العلم مخطوط اسماعيل صائب ورقة ١٢٥ ٠

تحت هذا الصنف طائفتان من العلماء ، طائفة مؤدون للاخبار ليس عندهم بوزاء هذا شيء من قوة الاستنباط ، وهؤلاء لا يجوز لهم العمل بشيء من العلم دون التفقه فيه ، ولا الفتيا للخلق ، لأن من الحديث ناسخا ومنسوخا ، وخاصا ، وعاما ، ومنه ماله تأويل غامض ، ومنه ما يثبت ومنه مالا يثبت لأنه قد دخل فيه أهل السوء الذين يكيدون للدين فرووا الأكاذيب ، لذلك كان المؤدون ، للأخبار على خطر عظيم من ادائها لأنّ عملهم هذا يجرى من مجرى الشهادة وقد شرط الله فى الشهادة فقال : « ممن ترضون من الشهداء » والاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أهل الرضا ليس بمقبول، فان أدت هذه الطائفة عن المتهمين ، وأفرادها هم العدول ، وليس لديهم تمييز الخاص من العام ، ولا الناسخ من المنسوخ ، ولا فهم معانى اللغة ، فليسوا أهلا لذلك ، ومن جهل هذه الامور كان بشأن التنزيل أجهل ، فهؤلاء ليسوا فى الحقيقة علماء ، وان كانت مظاهرهم توهم الناس أنهم علماء فهم حملة فقالون الى من بعدهم من القرون (١) •

والطائفة الأخرى تفقهوا فى الدين وتدبروه وطلبوا معانيه وتعرفوا ناسخه من منسوخه وتفقدوا ألفاظه لتباين المعانى فربما تغير المعنى بحرف واحد ، حتى قووا على الاستنباط وقياس الفروع على الأصول ، وهؤلاء سبق لهم الاذن من التنزيل ، وسنة الرسول عليه السلام فى اجتهاد الرأى فى الحكم بين العباد فى نوازلهم ونوائبهم ، فأما من التنزيل فقوله تعالى : « يحكم به ذوا عدل منكم » وأما من السنة فقول للرسول صلى الله عليه وسلم « ان الحاكم اذا اجتهد فأصاب فله عشر حسنات ، واذا أخطأ فله حسنة واحدة » ومن هذا جاء اختلاف الصحابة والتابعين فى الأحكام فى الزواج والدماء والأموال وغير ذلك ، فهاتان الطائفتان على خطر عظيم من أمرهم ، لأنهم لا يقدرون أنّ يرجعوا فيه الى يقين ، فابتلى هؤلاء باجتهاد الرأى ، وهؤلاء

---

(١) بيان العلم مخطوط اسماعيل صائب ورقة ٣٦ •

بالأداء ، واحتـــاج أهل الأداء الى الصدق والتحـــرى فيه ، والتثبت لرواة النقـــلة ، وتجنب اســـتبدال الألفاظ تى تغيـــر المعنى ، ويحتــــاج أهل الاستنباط والاجتهـــاد فى الرأى الى قلب ذكى مشـــحون بنور الله ، ونفس صافية من كدورة الأخلاق ، عفيفة من أدناس شهوات الدنيا حتى يدرك الحق ، ويسلم من الدخول بين يدى الله وبين عباده لأن من يصدر عن فتياه انما يعبد ربه بما يفتيه (١) ٠

وهؤلاء هم المعنيون بقول النبى عليه الســـلام فى حديث لأبى جحيفة « سائل العلماء » وهم الذين يســـلكون بك فى طريق الشـــريعة الى الجنة ، وبمساءلتهم تعلم الحلال من الحرام (٢) ٠

الصنف الثاني :

أما الصنف الثانى فهم العلماء بالله ، وهم الحكماء ، وهم الذين عناهم رسول الله بقوله : خالل الحكماء ، وهم أهل الفهم عن الله تعالى فالله يقول : « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » وانما سميت الحكمة فهما لأنهم فطنوا أن الله تعالى خلق الدنيا دار ممر والاخرة دار مقر ، فأبصروا ذلك بالنور الذى فى قلوبهم ، وايقنوا بها ، فأنزلوها بفعل الاركان تلك المنزلة التى أنزل الله تعالى كل واحدة منها ، فزهدوا فى الدنيا بالقلوب ، وتجافوا عنها بالأبدان ، ورغبوا فى الاخـــرة بالقلوب ، واتعبوا الأبدان فى طلبها ، ونظروا الى الاحوال فرأوا حسن تدبير الله ، فصاروا كلما استوحش الجاهلون فى حال كانوا بتلك الحال آنس ، فحكموا بحكم الله تعالى الذى وضع عليه أساس الدنيا من الفساد والزوال والانقضـــاء (٣) ٠ وهم الذين

---

(١) انواع العلوم ورقة ١٢٧ اسماعيل صائب ٠
(٢) ليبزج ورقة ١٥٧ ـ ١٥٨ ٠
(٣) بيان العلم ورقة ١٦ اسماعيل صائب ٠

يسلكون بك على طريق الاخـــلاص فى الشريعة الى منـــازل القربة (١) ، وبمخاللتهم يفضون اليك الحكمة حتى تخلص فى العبودية له فتصير عبدا مقـــربا ٠

الصنف الثالث :

وهم العلماء بالله والعلماء بأمر الله ، وهم الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم : جالس الكبراء ، وهم الذين جمعوا هذه العلوم كلها ، فعلموا الحلال والحرام ، وفهموا تدبيره عنه في تحليله الحلال وتحريمه الحرام ، وأطلعوا على علم الملكوت ، واستشعرت قلوبهم عظمة الله فهابوه ، وأجلوه ، وولهت قلوبهم اليه ، وحنت الى لقائه ، فبعلم اليقين عبدوه ، كما قال تعالى « كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم » ٠٠ اى بقلوبكم « ثم لترونهـا عين اليقين » غدا فى الآخرة ، فعلم اليقين يريك الأشياء تصويرا ، وعين اليقين يريك الأشياء ، جهة وهم الكبراء الذين تكبروا فى كبرياء الله وعظمته ، ولى الله سياستهم ، فهم الذين اذا رؤوا ذكر الله برؤيتهم ، لأن سـماته عليهم ظاهرة ، فمن رآهم ذكر الله واستفاد طهارة القلوب بمجالستهم (٢) ٠ ويموت كل دفين بمجالستهم ٠

هذا استعراض موجز لتصور الحكيم الترمذى للعلم والحكمة والمعرفة وأصولها ومنابعها وآثارها ونتائجها ومسائلها وصفات أصحابها والمنتسبين اليها والمتسمين بهـــا ٠

وان كان لنا أن نوجز رأيه فى سطور فانا نقول : ان المعرفة والنور عنده يرتبطان بسبب وثيق ارتباط المقدمة بالنتيجة والأثر بالمؤثر ، وان المعـرفة هى أعلى مراتب النور وأسماها لأنها تستمد من الوحدانية ، وتتخذ المعرفة

---

(١) بيان العلم ورقة ١٧ ٠
(٢) ليبزج ورقة ١٥٧ ـ ١٥٨ ٠

من القلب الانسانى مركزا تشع منه أنوارها وهدايتها الى سائر مناطق الجسم الانسانى حتى يتجه السلوك الانسانى اتجاها سليما سويا يحقق التوازن الروحى والاستقرار النفسى والصفاء القلبى ، وفى محاولة القلب لبث هذا الشعاع الهادى الى سائر مناطق الجسم تصادفه صعوبات ومتاعب تثيرها النفس وأهواؤها ومحاولاتها الدائبة افساد هداية القلب واظلام نوره .

وفى سبيل الوصول الى هذه المعرفة لابد للعارف أن يحصل العلوم الظاهرة والباطنة ، ويلم باطرافها ويعرف دقائقها ليجمع الأمرين جميعا وبغير ذلك لايتسنى له الوصول الى هذه الدرجة العليا ، لانها لاتتحقق الا لذوى الكمال ، واذا كان العلم الظاهر يحتاج الى سعى وتحصيل ودراسة ، فان المعرفة أو العلم الباطن بنوعيه الحكمة والمعرفة تأتى بمنة من الله وهبة لعبده الذى استقامت نفسه وصفت روحه واطمأن قلبه حتى يرى منة الله عليه واضحة جلية وليس هناك فى الحقيقة تناقض بين ظاهر العلم وباطنه او بين المعرفة والعلم ومن يدعى باطنا من العلم يخالف ظاهر الشريعة فدعواه رد ودينه متهم وعلمه وساوس يوحى به الشيطان ويموه عليه بها .

والحكيم عالم وليس العالم حكيما ، والعارف عالما حكيما وليس الحكيم عارفا ذلك لأن المعرفة قمة المستويات الانسانية للعلم ، والعارف أعلى درجات الأوليـــاء .



الفصل الثالث

مقامات الباطن

القلب اسم جامع يقتضى مقامات الباطن كلها ، وفى الباطن مواضع منها ما هو من خارج القلب ، ومنها ما هو من داخله ، واطلاق اسم القلب على هذه المقامات كلها يشبه اسم العين ، فالعين اسم يجمع ما بين الشفرتين من البياض والسواد والحدقة والنور الذى فى الحدقة ، وكل واحد من هذه الأشياء له حكم على حدة • ومعنى غير معنى صاحبه ، الا ان بعضها معاون لبعض ومنافع بعضها متصلة ببعض ، وكل ما هو خارج فهو أساس الذى يليه من الداخل ، وقوام النور بقوامهن جميعا (١) •

ولهذا الدين اعلام ومنازل ، ولأهله فيه مراتب ، وأهل العلم فيه على درجات ، قال تعالى « وفوق كل ذى علم عليم » وقال « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » وكل علم هو ارفع فموضعه فى القلب أكن وأخص وأحرز وأخص وأستر الا أن ذكر القلب ينوب عن ذكر سائر المقامات عند عامة الناس (٢) ، كما كما تطلق العين على كل مافيها وما حولها ، والدار على كل ما فيها ، والحرم على مكة وما حولها وما فى داخلها •

وقد قسم الحكيم القلب وما حوله الى مقامات أربع داخل بعضها فى بعض

المقام الاول ـ الصدر :

الصدر بالنسبة للقلب بمنزلة بياض العين فى العين وصحن الدار فى

---

(١) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب تحقيق الدكتور نقولا هير طبع القاهرة سنة ١٩٥٨ ص ٣٣ •

(٢) المرجع السابق ص ٣٤•

الدار ومثل الذى يحوط بمكة ، ومثل موضع الماء فى القنديل ، ومثل القشر الأعلى من اللوز الذى يخرج منه اذا يبس فى الشجر (١) ٠

والصدر موضع دخول الوسواس والآفات ، والذى يدخل فى الصدر قلما يشعر به فى حبنه ، وهو موضع دخول الغل والشهوات والمنى والحاجات وهو يضيق أحيانا وينشرح أحيانا وهو موضع ولاية النفس الأمارة بالسوء (٢) ٠

والصدر موضع نور الاسلام ، وموضع حفظ العلم المسموع الذى يتعلم من علم الاحكام والأخبار ، وكل ما يعلم عنه بلسان العبارة ، وانما سمى صدرا لانه صدر القلب وأول مقامه كصدر النهار الذي هو أوله أو كصحن الدار الذى هو اول موضع منها ، ويصدر منه وساس الحوائج ، وفكر الاشغال تصدر منه الى القلب أيضا اذا استقرت وطالت المدة (٣) ٠

وقد ابتلى المؤمن بالنفس وأمانيها ، واعطيت النفس ولاية التكلف بالدخول فى الصدر والنفس معدتها فى الجوف وموضع القرب ، وهيجانها من الدم وقوة النجاسة ، فيمتلىء الجوف من ظلمة دخانها وحرارة نارها ، ثم تدخل فى الصدر بوسوستها وأباطيل أمانيها ابتلاء من اللهتعالى اياه حتى يستعين العبد بصدق افتقاره ودوام تضرعه لمولاه ، فيجيبه الله تعالى ويصرف عنه شرها ٠

وكذلك الشيطان يدخل بوسوسته فى صدر العبد ،وهو آخر ولاية حد النفس لان النفس الأمارة بالسوء شكل الشيطان ، وهما شيطانان ، قال تعالى « شياطين الانس والجن » (٤) ٠

ويضاف الانشراح والضيق الى الصدر ، ولا يضافان الى القلب ، قال

---

(١) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب تحقيق الدكتور نقولا هير طبع القاهرة سنة ١٩٥٨ ص ٣٥ ٠
(٢) المرجع السابق ص ٣٦ ٠
(٣) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٣٥ ـ ٣٦ ٠
(٤) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٤٠ ٠

تعالى « فلا يكن في صدرك حرج منه » وقال « فلعلك تارك بعض مايوحى اليك وضائق به صدرك » وأخبر عن موسى عليه السلام انه قال «رب انى اخاف أن يكذبون ويضيق صدرى » (١) ٠

ولاغاية لضيق الصدر اذا ضاق ، وصدر كل واحد يضيق على قدر جهله وغضبه ، وكذلك لاغاية لسعته اذا انشرح بهدى الله تعالى ، فاذا ضاق عن الحق اتسع للباطل ، واذا ضاق عن الباطل اتسع للحق ، قال تعالى « ألم نشرح لك صدرك » فمن الله بشرح صدره بأنوار حق الاسلام حتى ضاق صدره عن وسع الباطل (٢) ، وصدر المؤمن يضيق أحيانا من كثر الوسواس والغم والشغل وتتابع الحوائج وبلوغ الحوادث ، واصابة المصائب ، ويضيق أيضا اذا سمع باطلا ، فلا يحمل قلبه ذلك ، لأن الله تعالى وسع صدره بنور الاسلام «فهو على نور من ربه » ٠

وأما صدر الكافر والمنافق فانه امتلأ من ظلمات الكفر والشرك والشك واتسع لها ، فلم يبق فيه مكان لنور الاسلام ، وضاق عن وسع نور الحق فيه قال الله عز وجل « ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله » وقال « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا »فبين الله تعالى أن الصدر اذا امتلأ من ظلمات الكفر ضاق عن وسع أضدادها من الأنوار (٣) ٠

وقد ذكر القرآن أن الشفاء يكون للصدور لأنها موضع الغل الذى يأتيه من جهة النفس ، قال تعالى : «ويشف صدور قوم مؤمنين » وقال « قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفا لما فى الصدور (٤) ٠

---

(١) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٤١ ٠
(٢) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٤٢ ٠
(٣) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٤٣ ٠
(٤) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٤٥ ٠

والصدر موضع كل علم ينال بالتعلم والحفظ والاجتهاد والتكلف من جهة السمع والخبر قرآنا كان أو حديثا أو غيره ، وهذا العلم يجوز عليه النسيان قال تعالى : « بل هو آيات بينـــات فى صدور الذين أوتوا العلم » وهو العلم الذى تتهيأ عبارته وقراءته وروايته وبيانه ، ويمكن فى صاحبه النسيان ، لأن النفس هى التى تحمله وتحفظه • وهى مطبوعة على النسيان ، والصدر بهذا المعنى كظهر القلب ، يقال فلان يقرأ عن ظهر قلبه ، وهو من القلب بمنزلة الصدفة من اللؤلؤه (١) •

المقام الثانى : القلب

يذكر الترمذى هنا ان المقام الثانى من مقامات الباطن وهو القلب والثالثه هو الفؤاد ، وقد لوحظ ان حديثه عن مدائن النور فى كتابيه « الاعضاء والنفس وغور الأمور » وفى صفة القلوب » يختلف عنه هنـــا ، فهناك يعتبر الفؤاد آخر مدائن النور التى يليها الصدر ، أما هنا فانه يعتبر القلب تاليا للصـــدر مباشرة ، والفؤاد فى داخل القلب يقول : القلب هو المقام الثانى ، وهو داخل الصدر ، وهو كسواد العين **الذى هو داخل العين ، وكبلد مكة الذى هو داخل الحرم ، وكموضع الفتيلة من القنـــديل وكالبيت داخل الدار ، وكاللوز داخل القشــــــر الأعلى** •

وهو معدن نور الايمان ، ونور الخشوع والتقوى والمحبة والرضا واليقين والخوف والرجاء ، والصبر والقناعة ، وهو معدن أصول العلم ، لأنه مثل عين الماء ، والصدر مثل الحوض ، يخرج من العين اليه الماء كالصدر يخرج من القلب اليه العلم ، أو يدخل من طريق السمع اليه ، والقلب يهيج منه اليقين والعلم والنية حتى يخرج الى الصدر •

فالقلب هو الأصل والصـــدر هو الفرع ، وانما يتأكد الفرع بالأصل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انما الأعمال بالنيات » (٢) •

---

(١) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٤٦ •
(٢) الفرق بين الصدر والقلب ص ٣٦ ــ ٣٧ •

والقلب بمنزلة الملك والنفس هى المملكة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « واليد جناح والرجلان بريد ، والعينان مصلحة ، والاذنان قمع ، والكبد رحمة والطحال ضحكة ، والكليتان مكر ، والرئة نفس ، فاذا صلح الملك صلحت جنوده ، واذا فسد الملك فسد جنوده ، » والصدر للقلب كالميدان للفارس ، وقد بين رسول الله ان صلاح الجوارح بصلاح القلب ، وفسادها بفساد القلب ، فالقلب بمنزلة السراج ، وصلاح السراج بالنور ، وذلك النـــور نور التقى واليقين ، لأنه اذا خـــلا عن هذا النور كان القلب بمنزلة مســرجة طفىء نور سراجها (١) وأى عمل للنفس من غير أن يكون للقلب فيه كســب فانه غير معتبر فى حكم الآخرة ، وليس بمؤاخذ صاحبه ان كان معصية ، ولا بمثاب ان كان طاعة ، كما قال تعالى « ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم » (٢) •

والقلب معدن نور الايمـــان ، قال تعـــالى : « أولئك كتب فى قلوبهم الايمان » وقال « ولكن حبب اليكم الايمـــان وزينه فى قلوبكم » وقال « وقلبه مطمئن بالايمان » •

والقلب هو معدن التقوى والسكينة والوجل ، والأخبات واللين ، والطمأنينة والخشوع ، والتمحيص والطهارة •

قال تعـــالى « وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها » (٣) وأشـــار بالالزام الى قلوبهم ، وقال « هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين » (٤) وقال « فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم » (٥) وقال فى قصة الخليل

---

(١) للفرق بين الصدر والقلب ص ٣٧ •
(٢) الفرق بين الصدر والقلب ص ٣٧ •
(٣) سورة الفتح آية ٢٦ •
(٤) سورة الفتح آية ٤ •
(٥) سورة الفتح آية ١٨ •

عليه السلام « ولكن ليطمئن قلبى » (١) وقال « وتطمئن قلوبنا » (٢) وقال « أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى » (٣) وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتقوى الى قلبه » وقال عز وجل « انما يتقبل الله من المتقين » (٤) .

وأصل التقوى فى القلب ، وهى التقوى من الشك والشرك ، والكفر والنفاق والرياء (٥) .

والقلب لا غاية لغور بحاره ، ولا عدد لكثرة أنهاره ، ومثل الحكماء فى البحار كالغواصين ، ومثلهم فى الأنهار كمثل السقائين والصيادين ، فكل يستخرج ويجد منها على قدر ما يرزقه الله منها ، فمنهم من يكشف له عن جواهر معرفة عيوب الدنيا ، وسرعة انقلابها ، وكثرة غرورها وقلة ثباتها ومنهم من يكشف له من طريق معرفة مراتب أهل التقوى ، ودرجات أهل العلم ، ومكارم الأخلاق وحسن معاملة الخلق عند مساوئهم واحتمال الأذى والسخاوة بالدنيا والايثار على نفسه كائنا من كان ، وخوف النار ، ومحاربة وتعجيل زوالها ، ويكشف له من معرفة مكائد الشيطان واصناف وساوسه ، الشيطان ، ومجاهدة النفس ، ومخالفة هواها ، ومتابعة الرسول وأصحابه ، والتمسك بالسنة (٦) .

ومنهم من يكشف له طريق التحدث بنعم الله ، وذكر الآئه ، ودفع بلائه ، وكثرة عطائه ، وجميل ستره ، وطول حلمه ، وعظيم عفوه وسعة رحمته ، وما أشبهها من هذا النوع (٧) .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٠ .
(٢) سورة المائدة آية ١١٣ .
(٣) سورة الحجرات آية ٣ .
(٤) سورة المائدة آية ٢٧ .
(٥) الفرق بين الصدر والقلب ص ٥٤ .
(٦) الفرق بين الصدر والقلب ص ٥٠ .
(٧) الفرق بين الصدر والقلب ص ٥١ .

ومنهم من يكشف له من طريق مشاهدة ما سبق له من الله فى أزليته وقدمه من ذكره اياه • ومن حسن نظره اليه ، واجتبائه واختياره واصطفائه ولطائفه السابقة •

ومنهم من يكشف له من طريق مشاهدة الحقائق من افعال الربوبية فيشاهد آثار قدرته فى الاشياء كلها وجميل صنعه ، وما أشبه هذا الجنس (١) •

ومنهم من يكشف له من طريق مشاهدة عظمة الله وجلاله وكبريائه وعظم قدرته ، وحقارة قدر خلقه فى جنب عظمته ، ورؤية فقر الخلق وضرهم ، وفاقتهم وحاجتهم اليه ، وقوته وغنائه عنهم ، وسعة خزائنه ، وكفايته وحسن عنايته فى أمورهم •

ومنهم من يكشف له من جهة رؤية التوفيق ، وحلاوة المعرفة ، والمحبة ورؤية عصمته اياه من الضلالة والكفر والأهواء (٢) •

ومنهم من يكشف له من طريق مشاهدة فردانيته ووحدانيته فقط ، حتى لا يرى فى سره معه غيره ، فيتلاشى قدر من دونه فى سره حين يشاهد الله جل جلاله ، فيرى قدمه وكماله وبقاءه ، ويرى حدوث الخلق وفنائهم (٣) •

وجميع هذه الوجوه ليس لبحارها غاية ، ولا لجواهرها نهاية ، وقد قال جل جلاله « يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ، وما يذكر الا أولوا الألباب » وهذه الوجوه كلها ما يجرى منها على لسان ، الحكيم كمثل البحر يموج منه الزبد فينبذه البحر فينتفع به (١) الانسان ، فكذلك الحكيم ما يجرى من الحكمة على لسانه ، ويعبر الخلق على لسان البيان كزبد

(١،٢) الفرق بين الصدر والقلب ص ٥١ •
(٣) الفرق بين الصدر والقلب ص ٥١ ـ ٥٢ •

يهيج من بحر القلب ، وزبد البحر ينتفع به من كان به رمد العين فكذلك ينتفع من فى قلبه مرض حب الدنيا ، ورمدت عينا قلبه بقول الحكيم ، ويشفى الله تعالى صدره مما فيه من الأمراض من حب الشهوات ومثله من الآفات (١) ٠

وكما أضيف الشرع الى الصدر فان العمى والبصر يضافان الى القلب قال تعالى « فانها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » (٢) ٠

وليس من خلق الله شيء أطيب من قلب طاب بنور التوحيد والمعرفة والايمان ، ولا اطهر ولا انظف ولا انقى ، ولا أصفى ولا أوسع اذا طهره الله من الانجاس ، وتولى احياءه بنور الحق ، وحفظه وحرسه وزاد فيه من الفوائد ، وهو قلب المؤمن ، وليس لأنواره غاية (٣) ٠ والقلب اذا استنار بنور الله ، ونور الايمان تولى الله حفظه ، وملأه محبة وخشية ، واقفل عليه قفل القدرة ، ووضع مفتاح المشيئة فى خزانة غيبه ٠

والقلب معدن نور الايمان ، ونور القرآن ، وكلا النورين شكلان ،قال تعالى: « ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا ٠٠ » ونور القلب على سبيل الكل لا يتجزأ ولا يتبعض لأنه أصل يجيء كله اذا جاء ، ويذهب كله اذا ذهب » (٤) ٠

والقلب معدن العلم ، ، الذى هو علم الحكمة والاشارة ، وعلم الاشارة محجة العبد الى الله بهداية الله تعالى له ، من عليه يكشف قلبه بمشاهدة غيبه ورؤية ما وراء حجبه ، كأنه يرى ذلك كله بعينه ، حتى لو كشف له الغطاء لما زاد فى نفسه ، ومعنى علم الاشارة أن يشير بقلبه الى ربوبيه

---

(١) الفرق بين الصدر والقلب ص ٥٢ ٠
(٢) الفرق بين الصدر والقلب ص ٤٧ ٠
(٣) الفرق بين الصدر والقلب ص ٥٥ ـ ٥٦ ٠
(٤) الفرق بين الصدر والقلب ص ٥٨ ـ ٥٩ ٠

الله ووحدانيته ، وعظمته ، وجلاله وقدرته وجميع صفاته ، وحقائق صنعته وفعله (١) .

أما صفة القلوب التى تولى الله سبحانه قيادها ، وهى قلوب الأولياء فقد أعطانا الترمذى لها وصفا دقيقا شائقا لا يغنى تلخيص هذا الوصف عن الاتيان به كاملا يقول : ان قلوب أولياء الله تعالى خزائن الحكمة ، ومواضع الرحمة ، ومعادن المشاهدة وكنوز المعرفة وبيوت الكرامة ، ومواضع نظر الله جل جلاله اليها برحمته ، ومزرعة رأفته ، وأوانى علمه ، وأخبية حكمته وأوعية توحيده ، ومواضع فوائده ، وساكن عوائده وأكنة أنوار من نوره ينظر اليها برحمته فى كل لحظة ، فيزيد أنوارها ، ويصلح أسرارها ، وقد زينها الله بنور الايمان ، وأسسها بالتوكل على الرحمن ، وحشاها من لطائف الأمتنان ، وبنى حيطانها من فوائد الاحسان ، وطيب أرضها بنور الحق والهدى حتى طابت تربتها من خبث الشرك والشك والنفاق وسائر الفواحش فهذه الأرض أرض المعرفة سقاها الله من بحر الرضى حتى نبتت فيها من أنوار النفس ، وأيدها بحسن معالجة أصحاب البساتين ، وهم السادات من المتقين واخرج أكمامها بريح متابعة سيد المرسلين ، ورباها بالرياح الربانية ريح الله وريح الرأفة ، وريح الظفر ، وما يشاكلها من رياح الربوبية وأنضج ثمارها بحر المعرفة ، وزادها بمضى ليل الافتقار، ونهار الافتخار وأحسن لون فواكهها بصبغة الله ، وهى بيان أحكام الشريعة واستمساك العبد بالعروة الوثقى ، وطيب طعمها بالتمسك بسنة نبيه عليه الصلاة والسلام . ثم وضع سرير المحبة على أرض الحق المطيب ترابها بنور اللب المؤيد بنور التوفيق ، المغذى بغذاء التصديق ، المؤسس بأساس التحقيق المسدد بركنه الوثيق ، وبسط على هذا السرير الفرش الوثير من

---

(١) الفرق بين الصدر والقلب ص ٥٨ .

الحول والقوة ، وألقى عليها من نمارق التضارع والاستكانة ، وجعل متكأه الاستقامة واعتماده على الله ان يثبته على الحق ولزوم الجماعة ، ثم أجلس على هذا السرير عبده ووليه مسرورا مؤيدا منصورا ، فقد ألبسه لباس التقوى ، ونزع عنه ثياب التخلف والدعوى ، وخلع عليه كرامته من خزائن فضله ، وشد أزره بمنته وتوفيقه ، وتوجه بتاج ولايته ، وغسله بماء بره ورعايته وزاده طهارة من بحر هدايته ، وأطعمه من حلاوة ذكره ومحبته ، وسقاه شرابا طهورا بكأس التوحيد من بحر التفريد ممزوجا بحلاوة وصلته حتى صار قائما بالله ، غائبا سره عمن سواه ، فقد ذلت نفسه عند ظهور عزته ، وتلاشت عن التكلف عند رؤية نصرته فقامت نفسه فى خدمته كالعبد المحجور أو كالمضطر المقهور ، أو كالاسير المأسور ، ثم نظر اليه ربه نظرة رحمته ، فنثر عليه من خزائن الربوبية نثار كرامات الخصوصية ، حتى قام مقام حقيقة العبودية ، فأغناه الله تعالى بذلك ، ثم قربه وناداه وأكرمه وسماه ولطف به ودعاه فأتاه حين سمع دعاه فأيده الله تعالى وقواه واكتنفه وآواه ، حتى أجابه ولباه ، وفى السر ناداه وفى كل وقت ناجاه ، وصرخ الى مولاه لا يعرف ربا سواه ، فاعطاه سؤله ومناه ، واصطفاه لخدمته وهداه ، ولمحبته ارتضاه ، ولمعرفته اجتباه وأجرى بين يديه انهارا من الصدق والصفاء ، والتحقيق والحياء ، والمحبة والرضاء ، والخوف والرجاء ، والصبر والوفاء والشكر والقضاء ، والبقاء واللقاء ، والافتخار والافتقار ، والتعظيم وترك الاختيار ، والنظر فى الاقدار ، ومشاهدة العزيز الجبار •

يزيده الله كل وقت من اللطائف ما عجز الواصفون عن وصفه ، وهو فى قرب مولاه مستوحش من دنياه ، اشتغل بالله عن النظر فى عقباه ، فهو فى ارغد عيش مع مولاه ، يخاف زوال هذا الحال ، ويخشى حادثة توجب الانتقال عن مقام مشاهدة الكبرياء والجلال ، وهو فى هذه الحالة كالأنيس المستوحش وكالمستقر المستوفز ، وكالمطمئن المضطرب ، قد غرق فى بحر لا يرى شطه وهو بحر توحيد ، ولا يتمنى النجاة من هذا الغرق •

يتلذذ هذا الموحد كما يتلذذ المتلذذون من حلاوات الدنيا ، ويألم من ألم فراقه بما لا يألم أهل الاوجاع والأمراض والشدائد والمضربون بالسياط والمجرمون بالحديد ، فعافاه الله من ألم الفراق وجمع له كل عافية ، وجمله من عنده وآمنه .

سبحان من آلى على خاصة أوليائه والمقربين من أصفيائه بالالآء العظيمة وانعم عليهم بالنعماء الجسيمة ، وعصمهم من الأهواء السقيمة ، ومن عليهم بالقلوب السليمة - وسلك بهم سبيل المحجة المستقيمة . فله الحمد على دفع البلاء ، وبذل العطاء ، وزيادة النعماء ، وكرامة الهدى ورفع الردى ، والتوفيق بالاقتداء بنبيه المصطفى ، وملة خليله المجتبى وسنة رسول الله المرتضى خاتم الأنبياء والرسل الى أوضح السبل ، ختم الله به النبوة، وبدر بمتابعته الى أقامة المروة ، واحياء الفتوة وقطع به الحجة أو رسله للعالمين رحمة ، ودفع كل نقمة ، وأتم به النعمة (١) .

المقام الثالث

الفــؤاد :

هو المقام الثالث من مقامات الباطن ، ومثله فى القلب كمثل الحدقة فى سواد العين ، وكمثل المسجد الحرام فى داخل مكة ، والمخدع والخزانة فى البيت والفتيلة فى موضعها وسط القنديل ، واللب فى داخل اللوز ، والفؤاد موضع المعرفة ، وموضع الخواطر ، وموضع الرؤية ، وكلما يستفيد الرجل يستفيد فؤاده اولا ثم القلب ، والفؤاد فى وسط القلب كما ان القلب فى وسط الصدر مثل اللؤلؤة فى الصدف (٢) .

---

(١) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ .

(٢) الفرق بين الصدر والقلب .... ص ٣٨ .

والفؤاد هو معدن الرؤية ، قال عز وجل ، ما كذب الفؤاد (١) ما رأى » وهو مشتق من الفائدة نه يرى من الله عز وجل فوائد حبه ، فيستفيد الفؤاد بالرؤية ، ويتلذذ القلب بالعلم ، وما لم ير الفؤاد لا ينتفع القلب بالعلم (٢) .

ولئن كان الفؤاد موضع الرؤية فان القلب موضع العلم ، واذا إجتمع العلم والرؤية صار الغيب عند صاحبه عيانا ، ويستقين العبد بالعلم والمشاهد وحقيقة رؤية الايمان « فمن أبصر فلنفسه » والمنة لله عليه بالهداية والتوفيق بتصديقه ، « ومن عمى فعليها » والحجة لله عليه بتكذيبه (٣) .

واسم الفؤاد ادق معنى من اسم القلب ، ومعناهما قريب كقرب معنى الاسمين الرحمن الرحيم ، فحافظ القلب هو الرحمن ، لأن القلب معدن الايمان، والمؤمن توكل بصحة ايمانه على الرحمن ، قال تعالى : « قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا » وحافظ الفؤاد هو الرحيم ، فقال تعالى « ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون » وقال « كذلك لنثبت به فؤادك » (٤) .

والقلب يعلم ، والعالم يحتاج الى ربط التأييد حتى يطمئن بذكر الله عز وجل قال تعالى فى قصة أهل الكهف : « وربطنا على قلوبهم اذ قاموا » وقال فى قصة أم موسى « لولا أن ربطنا على قلبها » يعنى ربط القلب بنور التوحيد كما قال أهل التفسير .

والفؤاد يرى ويعاين فيقع له الفراغة ولا يحتاج الى الربط ، بل يحتاج الى معونة المدد بالهداية ، قال تعالى : « وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به » فوصف الفؤاد بالفراغة وفضله على القلب ، اذ كان القلب

---

(١) سورة النجم آية ١١ .
(٢) الفرق بين الصدر والقلب ص ٦٢ .
(٢) الفرق بين الصدر والقلب ص ٦٢ .
(٣) الفرق بين الصدر والقلب ص ٩٦ .
(٤) الفرق بين الصدر والقلب ص ٦٩ .

يحتـاج الى الربط والفـؤاد يرى ويعـاين ، والقلب يعلم ، وليس (٢) الخبر كالمعـاينة .

وقد تضاف الرؤية الى القلب أيضا ، ولكن القلب يرى بالنور الذى فيه يدل على ذلك اجابة أبى جعفر محمد بن على رضى الله عنه للأعرابى حينما سأله قائلا : « هل رأيت ربك ؟ » فقال : « ما كنت أعبد شيئا لم أره » فقال: « كيف رأيته ؟ » فاجاب : « انه لم تره الأبصار بمشاهدة العيان ، ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان » .

والقلب والفؤاد يعبر عنهما بلفظة البصر لأنهما موضعان للبصر ، قال تعالى : « يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار » وقـال « فاعتبروا يا أولى الأبصار » فأهل الأبصار لهم الاعتبـار بأن يروا فى الاشياء لطائف صنع الله تعالى (١) .

المقـام الرابع من مقامات الباطن

اللب :

يتحدث الترمذى عن اللب فيقول انه الجبل الأعظم والمقام الاسـلم ، والقطب الذى لا يزول ولا يتحرك ، وبه قوام الدين ، والانوار كلهـا راجعة اليه حافة حوله ، ولا تتم هذه الأنوار ولا ينفذ سلطانها ، الا بصلاح اللب وقوامه ولا تثبت هذه الانوار الا بثبوته ، ولا توجد ، الا بوجـوده ، وهو معدن التوحيد ونور مشاهدة التفريد ، وبه يصح من العبد حقيقة التجـريد وضياء التمجيد وهذا اللب نور مقرون ، وزرع مغروس ، وعقل مطبوع ليس كالمركبات ، انما هو نور مبسوط كالأشياء الأصلية ، وهذا اللب الذى هو العقل مغروس فى أرض التوحيد ، ترابها نور التفريد ، سقى من ماء اللطف من بحر التمجيد حتى امتلأت عروقه من أنوار اليقين ، وتولى الله غرسه وباشر ذلك بقدرته من غير واسطة ، فغرسـه فى جنة الرضى ثم عصمه بسور الصون ، وأرساه فى أزليته وأبديته وأوليته حتى لا تكاد تقترب منه

---

(٢) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٧٠
(١) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٦٣ ـ ٦٤ .

بهيمة النفس بشهواتها أو بجهلهـا أو سباع مغاور الضـلالة أو شيء من الدواب التي هي طبائع النفس مثل كبرها وحمقها وآفاتها .

والرب جل جلاله صاحب هذا البستان ووليه الذي هو أزين من جميع الجنان ، لأنه بستان الايمان ، تولى الله غرسه وسقيه وتربيته حتى أثمر الشجر نور الايمان بتوفيق الرحمن ، ولطائف ثمرات الاحسـان ، قال تعـالى : « ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم » (١)

هذا تفسـير اسم اللب : فانه لام وباء ، فابتداء بلام مثل لام اللطف والباء ، مشددة ، واحدة فى الكتابة لكنها من الحروف المضاعفة . فهى فى الحقيقة اثنان : باء البر فى البداية ، وباء البقاء بالبركة عليه . وهـذا النور لا يوجد لسبب من الأسباب الا بفضل مفتح الأبواب ، فأصل ما رزق الله تعالى العبد من أصول الدين هو فضـل الله بلا علة ، ثم جعل فروعه بعلة العبودية ، ومجـاهدة العبد مقـرونة بمعـونة الربوبية وهـداية الالوهية (٢) ثم يبين من أهل الألباب فيقـول : « واعلم ان اللب لا يكون الا لأهل الايمان الذين هم من خاصة عباد الرحمن ، الذين اقبلوا الى طاعة المولى ، واعرضوا عن النفس والدنيا ، فألبسهم لباس التقوى ، وصـرف عنهم انواع البلاء ، فسـماهم الله أولى الألباب ، وخصـهم بالخطاب ، وعاتبهم بأنواع العتـاب ، ومدحهم فى كثير من آيات الكتـاب فقال : « واتقون يا أولى الألباب » وقال : « فاتقوا الله يا أولى الألباب » وقال : « اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » وقال « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الالباب » وقال : « ليدبروا آياته وليتذكـرا أولوا الالباب » فمدح الله تعالى أولى الالباب وبين مراتبهم وسرائرهم مع ربهم وفضائلهم فى فقههم وفهمهم وحلمهم حتى أعجز امثالنـا عن أدراك أحوالهم لأنه خصهم بنور اللب ما لم يفعل ذلك بغيرهم (٣) .

---

(١) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٧٠ – ٧١ – ٧٢ .
(٢) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٧٢ .
(٣) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٧٣ .

الفرق بين اللب والعقل :

يرى عامة أهل الأدب ومن لهم معرفة بشيء من اللغة ان اللب هو العقل ولكن بينهما فرق كما بين نور الشمس ونور السراج ، فكلاهما نور ، وهذا شيء ظاهر ، لانك لا تكاد ترى عاقلين يستوى سلطان عقلهما ونورهما، بل يتفاضل أحدهما على الآخر بزيادة خص هذا العقل بها ما لم يبين ذلك فى الآخر ، فما ظنك بمن خصه الله تعالى بمعرفته واكرمه بلطائف بره ، وأفاض عليه من بحار خيره ما لم يفض منها على غيره (١) ·

مقامات درجات العقل :

العقل فى الاسم واحد ، وسلطانه ناقص وزائد ، وهو متبوع متفرع يقوى بقوة أركانه ويزداد بزيادة سلطانه ·

وأول مقام العقل هو عقل الفطرة ، وهو الذى يخرج به الصبى والرجل من صفة الجنون فيعقل ما يقال له ، لأنه ينهى ويؤمر ، ويميز بعقله بين الخير والشر ، ويعرف به الكرامة من الهوان ، والربح من الخسران ، والأباعد من الجيران ، والقرابة من الأباعد (٢) ·

عقل حجة :

وهو الذى به يستحق العبد من الله تعالى الخطاب ، فاذا بلغ الحلم يتأكد نور نور العقل الذى وصف بنور التأييد ، فيؤيد عقله ، فيصل لخطاب الله تعالى (٣) ·

ومنه عقل التجربة :

وهو أنفع الثلاثة وأفضلها ، لأنه يصير حكيما بالتجارب يعرف ما لم يكن بدليل ما قد كان ، وهو ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حكيم الا ذو تجربة ولا حليم الا ذو عثرة » (٤) ·

---

(١) الفرق بيين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٧٤ ·
(٢) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٧٤ ·
(٣) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٧٤ ·
(٤) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٧٥ ·



ومنه عقل موروث :

وصفته ان يكون الرجل كبيرا عاقلا حكيما عليما وقورا ، قد ابتلى بولد سفيه أو تلميذ سفيه لا ينتفع من صحبته ، فيموت هذا العاقل فيورث الله تبارك وتعالي ببركته عقله ونوره وضياءه ونفعه ، ووقاره وسكينته فيصير وقورا عاقلا وبسمته لهذا السفيه ، فيتغير حاله في الوقت ، على سبيل سلفه وهذا انما يعاينه الانسان بوفاة الكبير العاقل ، وتغير السفيه الجاهل وليس يورث غير عقله ، ولكن يدركه بركة دعائه ونور علمه ، ويتفضل الله تبارك وتعالى باتمام ذلك بمنه وكرمه (١) ٠

ووجوه العقل هذه تنفع بقدر ما ينال المرء منها ، ويصلح الانسان بما يناله منها لصحبة الناس وينتفعون به ، وقد ينالها من لا يؤمن بالله واليوم الآخر مثل الفلاسفة ، وحكماء الهند والروم وغيرهم : لأن هذه الانواع من العقل انما هي لتأييد النفوس ومعاملة أهل الدنيا على سبيل المراءاة (٢) ٠

وأما النافع منها تمام النفع ، فهو العقل الموزون المطبوع بنور هداية الله تعالى ، وهو اللب ، ويسمى عقلا ، والعقل يعبر به عن العلم على وجه المجاز في سعة اللغة وأولوا الالباب هم العلماء بالله ، وليس كل عاقل عالما بالله ، وأما كل عالم بالله فهو عاقل ، قال تعالى : « وما يعقلها الا العالمون » (٣) ٠

أسماء اخرى للعقل :

ويسمى العقل ، حلما ، ونهى ، وحجرا ، وحجى ، قال تعالى : « ان في ذلك لآيات لأولى النهى » وقال : « هل في ذلك قسم لذى حجر » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليلنى منكم أولوا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم » (٤)

العاقل : وصاحب العقل الذى يفهم عن الله أمره ونهيه ، ومواعظه ، ووعده ووعيده ، ويفهم مراده في الأشياء على قدر ما يوفقه ويكشف له من تعظيم أمره واجتناب مناهيه ، وهذه كلها لا توجد الا بلطف الله ، وحسن

---

(١) (٢) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٧٥ ٠
(٣) (٤) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٧٦ ٠

نظره اليه فيفضله على غيره باللب الموصوف ، والنور المعروف (١) .

الفقيه : ومن كان بهذه الصفة كان فقيهـــا فى أصول الدين وفروعه ؛ وليس كل من يكون فقيها فى الفروع يكون فقيها فى الأصول ، لان الفقـه فى علم الاحكام كثير ، وهو فقيه بالتفقه ، وهو حامل الفقه والعلم ، والفقـه اسم للعلم يعبر بهذه اللفظة عنه ، يقال فلان يتفقه ويتعلم (٢) .

والفقه فى الحقيقة هو فقه القلب ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رب حامل فقه لا فقه له ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه » (٣) .

والفقه فى الدين هو النـــور الذى يقذف الله تعــالى به فى قلب عبده المؤمن ، مثل السراج ، يبصـر به ، ولا يكون ذلك للكافر والمنافق ، قــال تعـــالى : (ولكن المنافقين لا يفقهون) والفقيه الذى نور الله قلبه بنـور البصر هو الذى أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وســـلم بقوله : « اذا أراد الله بعبد خيرا فقهه فى الدين وبصره عيوب نفسه وبصره بداء الدنيــا ودوائهـــا » فمن جمع الله فيه ذلك فهـو الكبريت الاحمر والعالم الاكبـر واللبيب اطوغـــر (٤) .

ولهذا كان استنباط الفقيه المتعلم غير استنباط الفقيه الحكيم لاختــلاف مكان كل منهمـــا ففقه المتعلم موضـــعه فى الصـدر ويجوز عليه حـــكم النسيان (٥) ، وهذا العلم يزداد نوره بالتعلم والاستعمال ، ويتفرع له انوار الفقه والفهم ، فيستنبط صـــاحبه بنور فقهه مسائل ، ويقيس ما لم يعـلم بما يشابهها ويشاكلها ويقرب من معناها ، ويكون استنباطه فى الأحكام هو استنباط المسائل على موافقة السنة وأقامة الشريعة (٦) .

اما استنباط الفقيه فى باطن العلم ، فهو استنباط الخواطر على موافقة الحقيقة ومشـــاهدة الربوبية ، وتتبين زيادة الفضل بينهما فى اســـتنباط معنى فى الباطن والظاهر لآية قد انزلها الله تعالى ، يوجب ظاهرها حكما ، ويكون تحت ظاهرها من العبارة التى فى باطنها اشـــارة وعلم فيستنبط

---

(١) (٢) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٧٧ .
(٣) (٤) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٧٧ – ٧٨ .
(٥) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٥٦ .
(٦) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٧٨ .

الفقيه ما يوافق حجة الله تعالى ويستنبط الحكيم ما يوافق مراد الله تعالى، ويهدي الى محجته بما تبين من لطائف الاشارات موافقا للتوحيد ، ومخبرا عن مراد يوافقه الحميد (١) .

وبعد هذا مقامات لطيفة ، وأمكنة شريفة ، ولطائف ظريفة ، والأصل لهن جميعهن نور التوحيد ، فالتوحيد سر ، والمعرفة بر ، والايمان محافظة السر ومشاهدة البر ، والاسلام والشكر على البر ، وتسليم القلب للسر لان التوحيد سر بهداية الله تعالى للعبد ، ودلالته اياه عليه لم يكن العبد يدركه بعقله لولا تأييد الله تعالى وهدايته له ، والمعرفة سر من الله تعالى له ، اذ فتح له باب الآلاء والنعماء مبتدئا من غير استحقاق من العبد لذلك (٢) .

والمقامات المسكوت عنها التى وراء هذه المقامات انما يبصر بعضها عبد موفق يفهم هذه المقامات الموصوفة بهذه الامثال المعروفة ، يعينه الله تعالى ويؤيده ليفهمها ، وتكون هذه المقامات التى وراء هذه المذكورات كزيادة صفو الماء اذا لبث فى الانية ، فبهذه الأمثال يدرك السر المسكوت عنه (٣) .

الأنوار

وزع الترمذى منازل الدين ومراتب اهله على اماكنها فى باطن المؤمن وربط كل منزله من هذه المنازل بمنطقة من قلب المؤمن مشيرا الى ما يترتب على كل درجة من آثار فى السلوك والأخلاص فى العبادة والقرب من الله سبحانه ، وسماها المقامات الباطنة ، وسمى منها اربعا هى على التوالى : الصدر والقلب والفؤاد واللب ، ثم ربط كل واحدة منها بنظيره من الاسلام والايمان والمعرفة والتوحيد ، وجعل لكل منطقة نورا خاصا بها ، ولكل كلمة من الكلمات الأربع الاسلام والايمان والمعرفة والتوحيد نورا يناسبها ، وهى ان كانت مختلفة الاسماء الا انها متشاكلة غير متضادة .

ولكل نور من هذه الأنوار فوائد تنبع منه على حده على قدر مرتبته ، فنور الاسلام يتولد منه خوف ورجاء ، ونور الايمان يتولد منه خوف ورجاء ، ونور

---

(٥) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ٧٨ ـ ٧٩ .
(١) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٣٨ ـ ٣٩ .
(٢) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٤٠

المعرفة يتولد منه خوف ورجاء وكذلك سائر الأحوال التى تهيج من القلب ،وتتولد من انوار الباطن مثل الشكر والصبر والمحبة ، والحياء ، والصدق والوفاء وغيرهما .

ما يتولد من الأنوار

يتولد من نور الاسلام خوف الخاتمة ، ورجاء حسن العاقبة ، قال الله تعالى : « ولا تموتن الا وأنتم مسلمون » وقال فى قصة يوسف عليه السلام : « توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » .

ويتولد من الايمان خوف طوارق السوء ، وكذلك يتولد منه رجاء طوارق الخير فى كل وقت .

ونور المعرفة يتولد منه خوف السابقة ، ورجاء السابقة :

ونور التوحيد يتولد منه خوف الحقائق ورجاء الحقائق .

وهذا النوع يرجع خوفه الى مشاهدة الربوبية ، وهو أن يخاف الله تعالى ولا يخاف سواه ، ولا يرجو سواه (١) .

جبال النور :

ثم يربط الترمذى هذه المنازل الأربع بدرجات النفوس التي ورد ذكرها فى القرآن الكريم ، وهى النفس الأمارة ، النفس الملهمة ، والنفس اللوامة ، والنفس المطمئنة ، ويتصور كل نور من الأنوار الأربع كأنه جبل له قاعدة تحتل جزءا من اجزاء القلب الأربع ، ولكل جبل طائر يحوم فى الأودية التى تناسب مكانة صاحبها من الدين ، وهذه الطيور هى الأنفس الأربع ، وهو بهذا التوزيع يعطى صورة عن رأيه فى انواع السلوك الانسانى فى مستوياته المختلفة حسب حظ صاحبه من الهداية والمعرفة والنور

مثل الأنوار مثل الجبال :

الاسلام جبل وأرضه الصدر ، والايمان جبل وموضعه القلب ، والمعرفة جبل ومعدنه الفؤاد ، والتوحيد جبل ومستقره اللب (٢) . وعلى رأس كل جبل طائر ، فطائر جبل الصدر النفس الامارة بالسوء ، وطائر جبل القلب

---

(١) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٧٩ ، ٨٠ .
(٢) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٨٠

النفس الملهمة ، وطائر الفؤاد النفس اللوامة ، وطائر جبل اللب النفس المطمئنة (١) .

فالنفس الامارة يكون طيرانها فى أودية الشرك والشك والنفاق وما يشبهها ولكن الله رحم أولياءه فحفظهم من شرها ، قال تعالى : « انّ النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى » .

والنفس الملهمة يكون طيرانها فى أودية التقوى أحيانا ، وفى أودية الفجور أحيانا ، قال تعالى : « فألهمها فجورها وتقواها » .

والنفس اللوامة يكون طيرانها فى أودية الترفع والعز والنظر فى كرامات الله والافتخار والفرح بنعم الله احيانا ، وفى أودية الافتقار والتواضع والازدراء ، بنفسها ورؤية الذل والمسكنة والفاقة أحيانا ، ومع ذلك تكون لوامة لصاحبها فى أحوالها ، قال الله تعالى : « لا أقسم بالنفس اللوامة » والنفس المطمئنة يكون طيرانها فى أودية الرضاء والحياء والقرار على التوحيد ، ووجود حلاوة ذكر الله تعالى ، وهى شكل الروح طيبها الله عن خبث المنازعة ، قال تعالى : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية » وقال « فروح وريحان وجنة ونعيم » (٢) .

والنفس جوهر بعضها أطيب من بعض ، وبعضها أخبث من بعض وأشد ظلما وأكثر فجورا ، وهى النفس الأمارة ، والنفس طابت بنور ظاهر الاسلام من خبث ظاهر النفس ، وتزداد طيبا بصدق المجاهدة اذا قاربها توفيق الله تعالى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعائه : « نعوذ بالله من شرور أنفسنا » (٣) .

والنفس جوهرها ريح حارة مثل الدخان ، ظلمانية سيئة المعاملة وروحها فى الأصل نورانية ، وتزداد صلاحا بتوفيق الله تعالى مع حسن المعاملة وصحة التضرع ، ولا تزداد صلاحا الا بمخالفة العبد هواها والاعراض عنها وقهرها بالجوع والشدائد .

---

(١) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٨٠ .
(٢) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٨٠ .
(٣) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٨٢ .

والنفس اللوامة هى أقرب الى الحق ، لكنها مخادعة مداهنة ، لا يعرفها الا العارفون من الاكياس ٠

والنفس المطمئنة هى التى طهرها الله من خبث الظلمات ، فصارته نورانية فشاكلت الروح ، تمشى فى طاعة الله منقادة من غير اباء منها ، فصارت مطيعة بطاعة الله ، وهى نفس الصديق الذى ملأ الله سره وعلانيته (١) ٠

سبب تشبيه الانوار بالجبال :

انما شبهت الانوار بالجبال ، لأن نور الاسلام في صدر المسلم آكد وأحكم من آن يزيله أحد ، ما دام الله تعالى يحفظه ، حتى لا يتهيأ لأحد ان يزيل نور الاسلام من صدره وربما لم يستقم المسلم على الطاعة ، وهو مع ذلك متمسك بالعروة الوثقى ، ولكنه لا ينجو من وسوسة النفس ، وجبل نور الايمان ارسى وأعظم وأرسخ واثبت من نور الاسلام ، لأن للنفس ولاية وتكلفها فى حفظ الاسلام واستعمال شرائعه ، وليس لها تكلف فى حفظ القلب، ومثبته نور الرب جل جلاله ، قال تعالى : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الاخرة » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مدح هذه الأمة : « الايمان فى قلوبهم كالجبال الرواسى » وهو موضع العلم النافع ونور المعرفة أوسع ، وضياؤها أرفع لأنه معدن الرؤية ، والرؤية أكبر من الخبر لأن « الخبر ليس كالمعاينة » ٠

ونور التوحيد هو أعظم الجبال ، ومثله فى الجبال كمثل جبل قاف عند سائر الجبال (٢) ٠

حدود جبال النور :

جبل نور الاسلام ينتهى حدوده الى مجاهدة النفس ، وصالح أعمالها وأهل الاسلام فى درجات متفاضلون ٠

وجبل نور الايمان ينتهى حدوده الى التوكل والتفويض والمشاهدة

---

(١) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٨٣ ٠
(٢) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٨٤ ٠

أجل ما ام ير النفس ، والاعتبار بما قد رأى والنظر بنوره الى ما غاب عن الاعين ، وأهل الأيمان فى اصل الايمان متساوون ، وفى مشاهداتهم ، وما يتولد فى انواره من ثمرات الايمان وفروعه متفاضلون ، وجبل نور المعرفة ينتهى حدوده الى احاطة العلم بالبقاء والفناء والعجز والقدرة ، وتنتهى الى مشاهدة بر الله تعالى ولطائفه ٠

فبهذا النور يعرف الفانى والزائل ، حقارته ودناءته ، ويعرف الباقى وقدرته ورفعته ، ويعرف عجز الخلائق وضعفهم (١)

والعارف فى هذا المثل ، كأنه جبل الله ، استقرت معرفته برؤية عظيمته ، وكبريائه وقدرته ويمسكه ربه ، فلا يزول بـ صابة حادثة ، ولا يزول باصابة محنة ، لان الله تعالى يمسكه بقدرته وبرحمته (٢) ٠

ونور التوحيد الذى هو الجبل الرابع ، هو على مستقر اللب ، وهو الجبل الذى لا غاية لعلوه ولا نهاية لعظمته ، وهو معدن جميع الخيرات والبحر الذى يخرج منه كل خير ويرجع اليه كل خير ، ولا يتهيأ لأحد من الخلق وصف نوره بلسان العبارة الا على مقدار ما يوفق وييسر (٣) ٠

والموحد عبد حى عند الناس ، ميت عند نفسه بقربه من ربه ، غارق فى نور التوحيد ، وهو فى عيش رغد طابت حياته عند ربه ، قال تعالى :

« فلنحيينه حياة طيبة » وقد نسى الحلاوات كلها عند حلاوة ذكره وطاعته ومعرفته ومحبته ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا ٠٠٠) وهو عبد سقاه الله من بحر الهدى شرابا ووجد حلاوته ، فهو كالمجنون عند الناس ، وقد زينه الله تعالى باحسن اللباس وعصمه من شر الوسواس ، وفضله على كثير من الناس ، وصار حيا بمولاه لأنه اكتنفه وتولاه ، وأيد قلبه واحياه ، فشاهد بنور الحق ما لم يشاهد غيره (٤) ٠

---

(١) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٨٤ ـ ٨٥ ٠
(٢) (٣) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٨٧ ٠
(٤) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٨٨ ، ٩٤ ٠



وجوه الحيـــاة :

والحياة التى يفهمها العامة على وجوه ، منها حياة النفس بالروح وهى حياة الدواب والبهائم ، ومنها حياة القلب من ظلمة كفر بنور الايمان ومنها حياة النفس بالعلم ، فان العالم حى والجاهل ميت ، ومنها حياة العبد بنور الطاعة من ظلمة المعصية ، ومنها حياة التائب بنور التوبة من ظلمة الاضرار وبنور توفيق الله من ظلمة رؤية المجاهدة ، ومنها حياة العبد برؤية منة الله تعالى عليه ، وحسن نظره اليه من ظلمة النظر الى العمل ، ثم منها ما لايحتمل ذكرها قلوب العـــامة (١) ٠

قال الله تعالى : « قل الروح من أمر ربى » وقال : « وأيدهم بروح منه » وقال : « يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده » وقال : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا » فكل حى ممن خلق الله تعالى انما سمى حيا بالروح ، والروح عبارة عن النور الذى به أحيا الله الخلق ، وهو كما ذكر الله تعالى ان الروح من امره ٠

وقوام الروح بالله ، والنفس قائمة بالروح ، فمن فهمه الله تعـــالى هذا المقدار فهم ما وراء ذلك ، بتأييد الله وتوحيد الله وتوفيقه ، من حياة القلب بروح الحكمة وروح الصدق وروح المحبة وروح الولاية وروح الشهادة وروح الرســـالة وروح الكلام وروح الخلة ، فحياة الصدر بروح الاسلام ، وحيـــاة القلب بروح الايمان ، وحياة الفؤاد بروح المعرفة والمشاهدة ، وحياة اللب بروح التوحيد والانفصال عن القوة والحول والاتصال بالحق (٢) ٠

---

(١) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٩٥ ٠
(٢) الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٩٦ ٠



الفصل الرابع

الصراع بين القلب والنفس أو بين العقل والهوى

يبدو بوضوح لمن يدرس أفكار الترمذى وآراءه انه يعتقد ان الانسان ميدان لصراع دائم بين قوى الخير والشر ، وان هذه القوى تحتل مناطق نفوذ فى الكيان البشرى تباشر منها سلطانها وهجماتها وتتخذ الاعوان وتعد العدة للانقضاض فى الوقت المناسب ولكل من هذين الاتجاهين ملك ومملكة واعوان ، فمملكة الخير أو النور ملكها المعرفة وأميرها وولى عهدها العقل يساعده مائة من الاعوان لكل منهم وظيفة معلومة وعمل محدد ، ومقر هذه المملكة وقاعدتها القلب الذى هو مصدر النور والاشراق والهدى وفى الجـــانب الآخر مملكة الشر أو الظلمة وعلى رأسها النفس والهوى ولهما مائة من الاعوان يعدون العدة للاغارة على مملكة النور والخير وانتهاز الفرصة للاخذ بزمام المبادرة لتسيير الانسان فى طريق النفس والهوى .

ســـاحة الصراع :

ولذلك يتصور الترمذى قلب الانسان كقاعدة المملكة وحاضرتها يتصارع على السلطان عليه المعرفة والعقل مع النفس والهوى ولما كان القلب أميرا على الجوارح كان السلطان فيها جميعا لمن غلب على القلب من الفريقين ، فان كان الغلب (١) للمعرفة والعقل استقام أمر القلب وصلح واستقامت باستقامته الجوارح وصلحت ، اما اذا كان الغلب للنفس والهوى اظلم القلب وانحرفت الجوارح ، والصراع لا يهدأ بين المعرفة والعقل وبين النفس والهوى .

والترمذى يستمد تصوره هذا من حديث النبى صلى الله عليه وسلم : « الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهى القلب » .

---

(١) مسألة فى شأن العقل والهوى ليبزج ورقة ٥١ ب .

وقد وقفنا على جانب من تصور الترمذى لهذا الصراع القائم اثناء الحديث عن مدائن النور ومملكة المعرفة فى فصل نظرية المعرفة عند الترمذى (١) .

ويتصور الترمذى ان النفس مدينتان عظيمتان ، احداهما فى الأخرى ويسميهما النفس الباطنة والنفس الظاهرة ، أما الباطنة فهى دار حرب ، والظاهرة فتابعة لمن غلب وتسلط (٢) واستولى ، والنفس الباطنة هى المذمومة وجوهرها من أخس التراب وأدناه وأخشنه ، لأنها من موضع موطئ ابليس ومرتكنه ، ومتخطاه وممشاه (٣) .

وللنفس سبعة أبواب شارعة الى الجوارح ، والجوارح سبع قرى حولها ، فاذا كان الملك لها أميرا عليها جاريا سلطانه كانت ساكنة ، والقرى مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، واذا أطاعت النفس الباطنة وكفرت بأنعم الله ، وتركت الحلال اذاقها الله لباس الجوع والخوف بسبب اقدامها على صنع ماكره الله سبحانه (٤) .

وفى النفس صاحب مأوى وهو الخناس طليعة مبحث الأخبار وهو الوسواس ، وهو الجاسوس الخناس للوسواس الذى فى صدور الناس من الجنة والناس (٥) .

صورة الصراع :

ويعطى الترمذى صورة للصراع الدائم بين النفس والهوى ، وبين المعرفة والعقل فيقول : « والجوارح قرى حول النفس كل واحد منها عامل فاذا كان العدو مغلوبا مقهورا ، والهوى مسجونا كان الملك هو المعرفة فى سلطان

---

(١) أنظر فصل المعرفة عند الترمذى من هذا البحث .
(٢) الاعضاء والنفس ٥٥ ب غور الأمور .
(٣) الاعضاء والنفس ص غور الأمور ورقة ٥ .
(٤) الاعضاء والنفس ورقة ١٣٨ غور الأمور ورقة ٩ .
(٥) غور الأمور ورقة ٣٨ .

جار وملك وهيبة وجمال وأمر نافذ مطاع وعز وشرف منورا قد سطع نور الجلال من لدنه الى أقصى المدينة ، وكانت المدينة بمائها جنة طرية « أعنى القلب » ، وكانت المدائن حوله ساكنه مطمئنة قد انجلى عنها غيم الهوى وغمام الضلالة ودخان الشهوة والعامل فى عز وشرف وبهاء ورفعة منورا قد سطع نور الرغبة والطاعة ونور الفرح منه الى أقصى المدائن وقراها وكانت المدائن مطمئنة ساكنة ، وكان العمال بها مطيعة والرعية فى راحة والخناس مقهورا ، والوسواس منحجز والهوى مسجون واللعين مدحور محسور (١) ٠

واذا غلب عليها العدو اخذها عنوة وأمر عليها اميرا ودخلت الجنود مع اميرها وحشمه بظلمه ودنسه وشهواته وملاهيه وأباطيله وخدعه وأدناسه وشهواته ونتنه ودخانه وغيمه قويت النفس وهى الهوى وحييت وتخلصت من السجن والقيد ، وعسكرت واستعمل عليها عاملا ، وعلى القرى عمالا ، وثبت ملكه الى أن يأخذ مسكن العقل وموضع قضائه ، فيحمل عليه العقل بجنوده ، وتنصب الحرب بينهما ، وتثور بينهما عجاجة سوداء ودخان مظلم من نتن الهوى وظلمته فيظلم على العقل مسكنه وهو الصدر ويصير الملك ومن معه من الجنود فى حجب ظلماتها ودخانها (٢) ٠

فأما أن تكون الغلبة له عليها ، واما عليه له ، فاذا كانت الغلبة عليه انهزم العقل بجنوده من شدة الظلمة ونتنها ودخانها وضعف وذل وأخل بمركزه ، ولجأ الى ملكة وهو المعرفة بجنوده مستغيثا فزعا ، وتركوا الميادين والمراكز وهو الصدر ، ووثب رجالة العدو وفرسانه على الصدر ، وأخذوه ونزلوا به وكان الأمر أمر العدو والسلطان سلطانه نافذ امره مطاع ٠ وتكون المدائن ساكنة مطيعة ، والقرى محمودة مرضية والرعية مطواعة والعمال فى متعة ، والعدو فرح ، واللعين مستبشر مباهى ، وكان الملك وملك الملك وهو المعرفة وجنودهما

---

(١) غور الأمور ورقة ٣٨ الاعضاء والنفس ورقة ١٥٦ ٠
(٢) غور الامور ص ٣٨ الاعضاء والنفس ص ١٥٦ ٠

وحشمهما محجوبين مسجونين مقهورين مذللين لا يجاوز أمرهما وسلطانهما ربض المدينة وهو القلب ، فيجزع الملك من ذلك ويحزن ويستوحش فينقبض وينزوى فينجلى من القلب من نوره على قدر الانقباض والانزواء ، فيصير ذلك الموضع من القلب خاليا من النور ، وكلما كان سلطان العدوى واجرى وأمره انفذكان الصدر اظلم ، وكلما كان الصدر اظلم كان الملك احزن واوحش وكلما كان الملك اوحش كان انقباضه وانزواؤه اشد وكلما كان انقباضه اشد كان سلطان نوره اضعف ، وكلما كان سلطان نوره اضعف كان القلب من نوره اخلى ، وذلك انه لا يصل نور القلب الى حوالى القلب وزوايا نوره لانقباضه وضعف نوره لوحشته كالمصباح فى البيت يكون ضوؤه أنور واسطع كلما كان السراج أقوى واشد فاذا كان السراج ضعيفا لم ينفذ الضوء الى الزاويا واظلم البيت لضعف سلطان السراج . وكذلك القلب يضعف سلطانه لظلمة الدخان على الصدر وعلى بابه ، فاذا طال عليه ذلك ، وهو محبوس مسجون محجوب ، قد حجبته غيوم جنود العدو ودخانها ، فتطوى سلطان نوره ، حينئذ يمرض ويصير كسنة مقحوطة ليس بها ماء فتيبس اشجارها ، وتحول الوانها ، وتستبد العلة والمرض بالقلب حتى يموت ، ذلك قوله تعالى : « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » وذلك ان العدو اذا كان مسلطا على المدائن كان الأمر امره وكانت الرعية مطيعة ، وكلما أمر أمرا اطيع فذاك كسب ورين على القلب ، وهو الانقباض والانطواء الذى يعترى القلب فاذا طال فقد نوره ، لأن النور حياة القلب وهو للقلب كالروح للجسد والماء للارض ، فان طال ذلك اشتكى الملك الى الله ما يلقى فاما ان يؤيده حتى يهزم العدو ويستولى على انصاره ويقهر جنوده ، واما ان يغضب فيلعن .. فاذا غضب فلابد من احد اربع : اما أن يسلب المعرفة ويقفل على قلبه ، وأما ان يطبع عليه ، واما ان يجعل عليه غلاف ، واما ان يختم عليه ، ومن ذلك قوله تعالى : « أم على قلوب أقفالها » وقوله : « على قلوبهم » وقوله : « وقالوا قلوبنا غلف » وقوله : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم .. » واشدها الختم ، فاذا سلب المعرفة عمى وصم وبكم ،

وذلك ان القلب قالب المعرفة كما ان البدن قالب الروح ، فالبدن ناطق سامع بصير ما دامت الروح فيه ، فاذا خرجت الروح صم وبكم وعمى ، والقلب اذا خلا من المعرفة صم وعمى وبكم ، فكذلك قوله تعالى : « صم بكم عمى فهم لا يعقلــــون » (١) •

بهذا الفهم صور لنا الترمذى الصراع بين العقل والمعرفة من جانب وبين النفس والهوى من جــانب آخر ، وقد تحدث عن طبيعة النفس وشــــهواتها واغوائها فى مناطق كثيرة من كتبه لا تخرج فى حقيقتها عما قاله وقد رأينا من قبل مملكة المعرفة والعقل واعوانه المائة والوظائف التى يقومون بهــا فى مجال عرضه لنظرية المعرفة وفكرة النور ، وقد تناول الاعوان مرة أخــرى فى كتابه العقل والهوى (٢) الا انه قال هناك ان للعقل خمسين من الاعوان وقد يبدو للنظرة الاولى ان ليس هنـــاك تقدير ثابت لهذه الفكرة عند الترمذى فبينما يقول هنا خمسون اذ يقرر فى غور الامور والأعضاء والنفس ان اعوان العقل مائة ، ولكن قليل من التأمل يرى ان الاعوان هنا مائة أيضا لأنه يعرض الامر وشكله وقد يكون هناك اكثر من شكل بذلك يكمل عدد الاعوان مائة كما هم هناك فى كتبه الأخرى ، وقد عرفنا اسماء هذه الأعوان ووظائفها ومكانتها فى مملكة المعرفة (٣) • أما أعوا الهوى المائة فيجدر بنا هنا ان نعرفها، وقد سماها اخلاق ابليس المــائة ، لأن الترمذى يرى أن الله أعطى آدم مائة من الأخلاق يستعين بها على كيد ابليس ومكره ويرد بها كيده عنه وعن ذريتهوأعطى ابليس مائة من اخلاق السوء يستعملها فى تحقيق خدعه ومكره وحيله ضــد بنى آدم (٤) وهى التى اعتبرها الترمذى جندا للهوى واعوانا ، وهؤلاء الاعوان هــم :

جنـــد الهوى :

الكفر	الجهــل
الكبـــر	الحقـــد
المكـــر	الخـــداع

---

(١) غور الامور ص ٣٩ ـ ٤٠ ، الاعضاء والنفس ص ١٥٦ ، ١٥٧ •
(٢) مخطوط باريس من رقم ومخطوط اسعد افندى من رقم •
(٣) راجع نظرية المعرفة ص ٢٦١
(٤) الاعضاء والنفس ، غور الامور •



الغش	الغل
الخيانة	العداوة
الكذب	الزور
البهتان	البخل
الشر	النميمه
الغيبة	الغضب
الجبن	المداهنة
الرياء	السمعة
الشك	الشرك
الميل	البدعة
الضلالة	الغى
الخلابة	الغرور
الجور	الظلم
المبغى	قلة المبالاة
الخفه	الطيش
التعب	العبث
اللهو	السهو
الغفلة	السرور بالدنيا
العجلة	الفظاظة
الغلظة	الخشونة
العنف	الانفة
الاستكبار	الفخر بالدنيا
الخيلاء	التجبر
الحيرة	الكسل
الثقل	العجز
التأخير	الفرح بالدنيا
الملالة	الخطأ
النسيان	الشهوة
الوهم	النهمة
الشبهة	الامل
الباطل	التيه
السفه	الضحك
الحمق	الجزع
الكفران	طلب العلو
حب الدنيا	الاسراف
محمدة الناس	الحرام
الزينة	الحرص
الفحش	القساوة
الشره	الاشر
البطر	القنوط
السماجة	التخيل
البذخ	الختل
الدح	التمنى



النخـوة — التجسس
الغبن — الريبة
الشكايه — الحلف
الصلف

هذه هى الجنود التى اعطى وهى مائة خلق من اخلاق الهوى ومن اعداء اخـــلاق آدم المـائة ٠

فعدو العلم الجهل ، وعدو العمل الكسل ، وعدو الدين الخشونة وعدو التأنى العجلة ، وعدو اليقين الشك ، وعدو الورع الفجور ، وعدو الشـــكر الكفران ، وعدو الصدق الكذب ، وعدو الصبر الجزع ، وعدو الرفق العنف ، وعدو الصواب الخطأ ، وعدو الذكر النسيان ، وهكذا وقبل ان ننهى الكلام فى تصور الترمذى لهذا الصراع القائم بين المعرفة والعقل من جانب ، وبين النفس والهوى من جانب آخر على النحو الذى رأينا تفصيله فى الصفحات الماضية ، والذى يبدو بوضوح فى كتابات الترمذى المتعددة خاصة حينمـــا يتحدث عن النفس ومكرها وخدعها للسائرين فى الطريق الى الله المتطلعين الى قربه ، والمتعرضين لفيوضات نوره واشراقه هــذا التصور القـــائم على اعتبار القلب قاعدة للملكة ومن داخله وخــارجه مدائن النور السبع ، وكذلك تصور النفس والجوارح من حولها بالمدينة ومن حولها القرى ، هذا التصـور الذى اعطاه الترمذى نجده أساسا ســـار الغزالى على هداه فى كتابه كيمياء السعادة حينما تحدث عن النفس وقواها وتقسيمها الى ظـاهرة وباطنة من حولها الاعضاء كالقرى الا ان الغزالى سماها ضياعا بدل القرى وهو اختـــلاف فى التســـمية فقط وكذلك يبدو اثر الترمذى فى حديث الغـــزالى عن القلب وعساكره من نفس الكتاب المذكور (١) ٠

مناهج السلوك

يرسم الترمذى للسلوك الانسانى صورة رائعة أخاذة يحشد لها طائفة من الصفات والاخلاق العالية لا بد أن تتحقق فى المرء الذى يتصوره الترمذى

---

(١) راجع كيمياء السعادة للغزالى ٠

ليكون مثلا عمليا وقدوة حية تتمثل فيه القيم والاخلاق العليا التى ينشدها الترمذى ويدعو اليها ، هذه القيم تقوم على أسس ثلاثة هى الحق والعدل والصدق ، وهذه الثلاثة بدورها تتقاسم القوى الانسانية المختلفة فتوجهها الى الطريق السوى الذى يحقق لها السلوك السليم والنهج القويم ، ويحدد الترمذى مناطق نفوذ كل من هذه الاسس الثلاثة وعملها فى الوجود الانسانى فيقول :
« .. وجدنا دين الله مبنيا على ثلاثة اركان » : الحق ، والعدل ، والصدق : فالحق على الجوارح، والعدل على القلوب ، والصدق على العقول ، فاذا قرب غدا الى الميزان لوزن الاعمال وضعت الحسنات فى كفة الحق ، والسيئات فى كفة العدل ، والصدق لسان الميزان به يتبين رجحان الحسنات على السيئات، فمنتهى رضا الله عن العباد فى عبوديتهم كل امرىء اجتمع فيه هذه الثلاثة ، فاذا افتقد الحق من عمل خلفه الباطل ، واذا افتقد منه العدل خلفه الجور ، واذا افتقد منه الصدق خلفه الكذب ، فهذه الثلاثة هى جند المعرفة ، وهذه الثلاثة التى هى اضدادهن هن جند الهوى (١) . وذلك ان مظاهر السلوك الانسانى تنحصر فى هذه الثلاثة ، الجوارح ، والقلوب ، والعقول ، فللجوارح وظائف وأعمال ،وللقلوب مشاعر وأحساسيس وعواطف ، وللعقول توجيهات ومنازع ، وهذه الأصول الثلاثة تستوعب كل الوان النشاط للسلوك الانسانى فاذاما ضبطت موازينها بالحق والعدل والصدق ، اخذت بزمام الانسان الى الغاية المثلى التى ينشدها الدعاة المصلحون والفلاسفة والمربون للانسان فى هذه الحياة ، ، ولا تتحقق هذه الغاية فى اعلى مثلها الا للعارف الذى تحدث الترمذى عنه حديثا محاطا بهالة من القداسة والمثالية العليا التى لا ينالها الا القلائل من افراد بنى الانسان ، والترمذى لا يبتدع هذه الصورة أو المثل من بنات افكاره ولا يبحث عنها عند الفلاسفة ، والاخلاقيين منهم ، وانما يأخذ كل ذلك من معنى الحديث القدسى : « ما تقرب الى عبدى بأفضل مما افترضت عليه وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه ، فاذا احببته

---

(١) الاكياس والمغترون ورقة ٢ من مخطوط الظاهرية ، ورقم ١٧٠ من مخطوط اسماعيل صائب .

كنت يده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وعينه التى يبصر بها ، واذنه التى يسمع بها ٠٠ » فهو عبد قد تولى الله تربيته وصنعه على نفســه ٠

ولذلك يجعل المعرفة فى قمة الفضائل الانسانية التى يمنحها الله لمن يجتبى من عباده ، ويجعل كل الفضائل الأخرى لها جندا واعوانا تستمد من نورها ، وتعمل على ارساء سلطانها ٠

وقد كتب الترمذى فى هذا الجانب كتابين من امتع كتبه خصصهما لتصوير مناهج السلوك الانسانى ومظاهر تحققه هما « كتاب الفروق ومنع الترادف » ، (١) وكتاب العقل والهوى ، فقد حشد فى الأول طائفة من الصفات والاخلاق الكريمة ومظاهر السلوك الانسانى القويم وأخذ فى بيان مثلها وكيفية تحقيقها وعرض نماذج منها وفى الوقت نفسه يبين الجانب المضاد ويشرح نماذج منه ويحذر من الاخذ به ويبين مضاره ومساوئه ، والكتاب كله يمشى على هذه الوتيرة وقد عرفنا ابوابه فى استعراضنا لاثار الترمذى ومؤلفاته ٠

اما فى كتابه العقل والهوى فقد ذكر اعوان العقل وأخذ يعرض لكل صفة بالتفصيل وكيف تنال ، وعلامة المصنف بها وما ينتظر منه من اعمال وفى هذا الكتاب شرح مفصل لكيفية اكتساب كل صفة من هذه الصفات ، وهذا مثل مما جاء به فى هذا الكتاب يقول عن الحلم : « فالحلم من الحليم لا يكون بثلاثة أشياء أحدها بالعقل والثانى بالعلم ، والثالث بالاستحياء من الملك الجبار فشكل الحلم السكينة وضد الحلم الحدة ، وللحليم ثلاث علامات : اولها لا يجب للجدال ، لأنه لا خير فى الجدال ، والثانى ينتهى عن اعراض المسلمين لانه قد اصاب الحلم ، والثالث يغضب على من طعن فى المسلمين ،

---

(١) الفروق رقم ١ ـ ٥٤ ـ من مخطوط اسعد افندى رقم   من مخطوط ايا صوفيا رقم   من مخطوط باريس ٠

لأن الطعن فى المسلمين ذنب عظيم بعد ان لا يكون مبتدعا أو فاسقا معلنـــا بفســـقه ٠

وثلاثة اشياء من أفعال الحليم : اولها ان يكون حسنا خلقه ، والثانى يكون كلامه بالرفق واللين ، لأنه صاحب حلم ، والثالث ان يكون مبتسما فى وجوه الاخــوان ٠

ولا يصيب الحليم الحلم حتى يستحى من الله ، فاذا استحيا من الله فلا يجابى أحدا باظهـــار حقه ، فنعم الشيء الحـــلم وطوبى لمن وفقه الله للحـــــلم » (١) ٠

وقد جرى الترمذى على هذا المنوال فى عرض كل صفة من الصفات التى اعتبرها عونا للعقل فى الوصول بالسلوك الانسانى الى الغاية التى ينشدها

نتــائج اثر الترمذى فى أفكار الصوفية

(ا) المعاصرين له والمتأخرين عنه

رأينا من دراستنا السابقة لحياة الترمذى وافكاره انه كان صـــاحب فكرة واضحة ومنهج محدد فى رســم الصورة المثلى للرقى الانســـانى الذى يستطيع المؤمن الحق أن يصله حتى يصير مثلا حيا للخير يمشى بين الناس ، ويتحقق ذلك عنده فى درجة الولاية التى خصص لها جـانبا كبيرا من كتبه ورسائله يبين خصائصها ودرجاتها ومنابعها وما يفاض على صاحبها من النور والحكمة اللذين يهبهما الله اياه ، وكذلك يتحقق ببلوغ درجة المعـرفة التى تصور قمة الكمال الانسانى بين عباد الله الذين منحهم معرفته والعـلم بـــه ٠

كذلك فى تصويره للصراع بين العقل والهوى وكيفية التغلب على ذلك

---

(١) العقل والهوى ١٧٠ أ ، ب من مخطوط اسعد افندى ، ١٣٧ ب و١٣٨ أ من مخطوط باريس ٠

حتى ينجو المرء من شرور النفس ومكرها ، ثم تصويره للسلوك الانسانى المستقيم الذى حشد له مثلا رائعة من مكارم الأخلاق ونبيل الصفات بحيث تصبح الحياة خيرا مجسما ومثلا حيا للحب والخير والسلام •

هذه المثل التى تناولها الترمذى بالشرح والتحليل والدراسة وبحثها فى كتبه ورسائله جعلت الابصار تتجه اليه وتعكف على آرائه تناقشها وتدرسها وتقبلها أو تردها ، وتعتنقها أو ترفضها بدأ ذلك فى حياته وبعد مماته •

أما فى حياة الترمذى فقد رأينا اثر الثورة على أفكاره وآرائه فيما تعرض له من ضيق واتهام والحيلولة بينه وبين لقاء الناس والتحدث اليهم ، وكان ذلك منهج الحاقدين والحاسدين الذين يثيرون العامة والحكام ليصلوا الى مآربهم اما الباحثون وأصحاب الدعوات والمناهج الأخرى فقد كان لهم مع الترمذى منهج آخر هدفه عرض الفكرة فى هدوء وحكمة لا يعنيه الا البحث عن الحقيقة وكيفية الوصول اليها ، وقد بدا فى أصحاب هذا الاتجاه الأدب الجم والخلق الرفيع فى حديثهم الى الترمذى ، ولئن كان الزمن قد عدا على رسائلهم الى الترمذى فلم نقف على دقائقها وتفصيلاتها فان ردود الترمذى قد تلقى ضوءا على محتويات هذه الرسائل وأفكار أصحابها • ونجد فى مجموعات مخطوطات الترمذى خمس رسائل أجاب فيها عن استفسارات ومناقشات وردت اليه من علماء عصره منها رسالتان بعث بهما الى محمد ابن الفضل البلخى (١) ردا على كتابيه ، ورسالة بعث بها الى أبى عثمان سعيد النيسابورى ردا على رسائله اليه كما يفهم من رد الترمذى ان أبا عثمان كتب اليه مرات ، (٢) وكلا الرجلين من زعماء الملامتيه (٣) • واما الرسالتان الباقيتان فأولاهما رد على كتاب بعض اخوانه يسأله عما يفعل ليعود له ما ضاع منه بسبب ركونه الى شيخ ظن انه سيصل به الى الله (٤) والثانية رد على كتاب جاءه من الرى (٥) ، هذا بالاضافة الى الأسئلة التى كانت ترد اليه من كثير من الجهات ويمثلها فى مخطوطاته المسائل التى سأله عنها أهل

سرخس والذى يعنينا هنا بالدرجة الأولى هو ما نستخلصه من رسائله الى محمد بن الفضل البلخى وأبى عثمان سعيد النيسابورى فانه فيهما يناقش الفكرة الاساسية التى يقوم عليها مذهب الملامتية وهو الاشتغال بعيوب النفس ، والحذر من مصائبها ، والترمذى مع تسليمه بعيوب النفس ومكرها ومصائبها الا انه يرى انه لا ينبغى الاشتغال بعيوب النفس ، لأن شغل النفس بمعرفة هذه العيوب يجعل المرء واقعا فيها طول عمره وفى محاولة التخلص منها ، وحينذاك لا يجد وقتا للاشتغال بمعرفة الله واحياء القلب بنوره ولذلك فهو يرى ان الاشتغال بمعرفة الله يصل بالمرء الى قربه ويداوى نفسه مما فيها ، يقول فى ذلك : « ... ووجدنا العلم نوعين ، نوع منه العلم بالنفس ودواهيها وعيوبها ، ونوع منه العلم بالله تعالى ، فان اشتغل العبد بمعرفة العيوب بقى عمره فيها وفى التخلص منها ، وإن اشتغل بمعرفة العلم بالله كان ذلك دواؤه ، لأن علمه به يؤديه الى حياة قلبه ، وازهاق نفسه ، فاذا زهقت النفس بما ورد عليها من التجلى حيى القلب بربه فأى عيب يبقى معه ، وورد على كتابك يا أخى وكتاب بعد كتاب ، ووكدت فى ذكر عيوب النفس فى باب المعرفة ، فان قدرت يا أخى الا تشتغل بذكر العيوب كل هذا فافعل ، فان لله عبادا عرفوه معرفة وأنكروا كل شىء دونه واتقوا من ذكر النفس وخافوه فكأنهم اذا ابتلوا بكدرها يدور بأحدهم معدته حتى يكاد يقيء وكيف يقدر من جال فى بساتين الورد والياسمين والنسرين أن يرتع فى بقاع الشوك أم كيف يقدر من صار ذكر الجليل له غذاء ان يستمع الى ذكر غيره .

العلم بالله ، والمعرفة لله ، والعقل عن الله تعالى ، فمن حوى هذه الثلاث حيى قلبه بالله تعالى ، ونعم باله ، وطاب روحه ، وصحت عبودته ، وظفر بالحرية من رق نفسه ، وعلت رتبته ، وبرزت منزلته ، وساد اشكاله ، وكرم على مولاه » (١) .

---

(١) رسالة الى أبى عثمان سعيد النيسابورى ، ليبزج ، ١٤١ ، اسماعيل صائب ٦١ ب .

ثم يتناول الفكرة ذاتها منجانب آخر فى رده على محمد بن الفضل البلخى حينما يقارن بين مصائب النفس ومصائب القلب ، وانها فى جنب مصائب القلب تهون ، فاما ما ذكرت أكرمك الله من المصائب ، فمصائب النفس تحجبها عن الله (١) • ومن هذا يبدو جانب من الصلات الفكرية بين الترمذى وزعماء الملامتية وتأثر كل منهما بالآخر ويبدو أن تأكيد الترمذى فى مواضع عدة من كتبه ورسائله على خدع النفس ومكرها يمت بصلة الى ما كان سائدا بين زعماء الملامتية فى عصره ومنطقته التى كان يعيش فيها •

الحكيمية :

جماعة صوفية تأثرت بأفكار الترمذى فى الولاية والاولياء ويعتبر ما ذهب اليه الترمذى فى هذا الجانب من التفكير والبحث اساسا ومبدأ لهم بنوا عليه أفكارهم ولكننا لم نعرف منهم شخصا معينا ، وقد عدهم الهجويرى (٢) من الجماعات الصوفية العشرة الذين ارتضاهم واعتبرهم من أهل الجادة وقال عنهم انهم اتباع محمد بن على الترمذى ويمكن ان نعتبر رأى الترمذى فى الولاية والاولياء وما يلحق بذلك مما عرضنا له بتفصيل فى نتصل الولاية والأولياء رأيا لهم ومنهجا يتبعونه وقد عرفنا من تلاميذ الترمذى اثنين من كبار الصوفية هما « أبو بكر بن الوراق » « والحسن بن على الجوزجانى » ، وقد سلك كل منهما مسلكه فى ايداع أفكارهما الكتب والرسائل، فقد ذكرت كتب التراجم ان كلا منهما قد الف عدة من الكتب وكان الوراق يسمى مؤدب الاولياء هذه ابرز آثار الترمذى فى الفكر الصوفى ورجاله المعاصرين له • أما أثره فى الفكر الصوفى ورجاله المتأخرين عنه فقد كان أوسع مدى ووضوحا وان لم تتناوله كتب التراجم تناولا كافيا • ولكن هذا الاثر يدركه الدارس بوضوح فى افكار كبار الصوفية والمفكرين عامة على مر العصور بعده ، وذلك عن طريق كتبه ورسائله التى كانت متداوله بتتابع الناس على

---

(١) جواب كتاب محمد بن الفضل ليبزج ١١٥ ب •
(٢) ترجمة كشف المحجوب ـ نيكلسون ٢١٠ ـ ٢٤٢ •



نسخها حتى القرن الماضى ، ومن أبرز هؤلاء الذين سنتحدث عنهم الغزالى ، وابن عـــربى ٠

بين الحكيم الترمذى والغزالى :

مما لا شك فيه ان الترمذى ترك اثرا بعيدا فى الفكر الصوفى من بعده وقد انتقل هذا الاثر بواسطة كتبه ورسـائله العديدة التى أودعها افكـــاره باسهاب لا يخلو من التكرار ، ولذلك تراه يتناول الفكرة الواحدة فى مواضع عدة من كتبه تناولا يتراوح بين الاسهاب والاختصار ٠ وكثيرا ما يشير الى **الاماكن التى تناول فيها الفكرة التى يتحدث عنها ٠**

وليس من السهل الكشف عن هذا الأثر فى أفكار الصوفية الذين جاءوا من **بعده كشـــفا كاملا اســـتقراء ما كتبوه جميعـــا وليس ذلك ممكنـــا ؛** ولذلك سنتخذ اثنين من كبار الصوفية من بعده لنعرض لمدى الأثر الذى نلمسه لآراء الترمذى فى تفكيـــرهما ، هما الغـــزالى وابن عربى ، وذلك لما نالتـــه مؤلفاتهما من اهتمام الباحثين والمفكرين فى الفكر الاسلامى قديما وحديثا، وكذلك فى الشرق والغرب فى هذا القرن الحالى وأواخر الماضى ٠ والى جانب ذلك سنتناول أثر الترمذى فى مفكر مثل ابن القيم :

قلما نال كتاب فى الفكر الاسلامى من الشهرة والاهتمام مثلما نال كتاب احياء علوم الدين للغزالى ، وفى هذا الكتاب الذى يعتبر اجمع كتب الغزالى واشملها يبدو اثر الترمذى بوضوح فى موضوعين رئيسيين من موضوعات الكتاب ، اولهما كتاب العلم ، وثانيهما كتاب ربع المهلكات ، وفى كتاب العلم هذا يبدو اثر الترمذى واضحا فى منهج تفكير الغزالى خاصة حينما يتحدث عن علم المعاملات الذى هو علم احوال القلوب ، فانه يستعمل التقســـيمات وانواع كل قسم كما فعل الترمذى من قبل ، بل ان الغزالى يعدد الاصـــناف التى عدها الترمذى ، وكذلك فى حديثه عن العلم الظاهر والعلم الباطن ، وفى تناوله لأصناف العلماء ونقده الشـديد لعلماء الظاهـــر الذين يتهالكون على الدنيا ويجرون وراءها، ويعقد المقارنة بين علماء الدنيا وعلماءالآخرة وكذلكحديثه

عن العقل وشرفه وأقسامه ويسهل على قارئ آثار الترمذى ان يضع يديه على كثير من المواطن التى يرى فيها طابع تفكيره فى كتاب العلم (١) أما فى ربع المهلكات فان ما جاء به الغزالى فى هذا الجزء من كتابه (٢) يجد الباحث أصله فى كتاب الاكياس والمغترين للترمذى (٣) ، ففى هذا الكتاب قد حشد الترمذى ألوان السلوك والتصرفات والعبادات التى يفسدها الرياء وهوى النفس وربط ذلك كله بالمنبع الذى تصدر عنه وهو القلب الذى هو مقر المعرفة التى من اعوانهما الحق والعدل والصدق تلك الثلاثة التى جعلها الترمذى ضوابط للسلوك الانسانى سواء كان مرتبطا بالافعال التى تصدر عن الجوارح أو العواطف والمشاعر التي تنبع من القلب ، أو الحكم والتصميم والارادة التى يمضيها العقل بما يتخذه من قرارات تمضى جميعها فى طريقها السليم حينما تهتدى بالحق والعدل والصدق (٤) ونظرة سريعة الى ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين تعطى صورة واضحة عن مدى اعتماد الغزالى فى هذا القسم من كتابه على فكر الترمذى ومنهجه في نقد هذه الصورة (٥) .

وكذلك نجد أثر الترمذى يطبع تفكير الغزالى ويوجهه فى تصور الغزالى للقوى المتصارعة فى النفس البشرية وذلك حينما يتحدث عن النفس

---

(١) راجع كتاب العلم من احياء علوم الدين للغزالى الجزء الأول نشر لجنة الثقافة الاسلامية ـ القاهرة ١٣٥١ هـ ، وكذلك ترجمة كتاب العلم للدكتور نبيه أمين فارس طبع لاهور .

(٢) راجع الأجزاء الثامن والتاسع والعاشر والحادى عشر من ص ١٣٩ من الطبعة السابقة لكتاب احياء علوم الدين .

(٣) راجع الأكياس والمغترين مجموع اسماعيل صائب ص ٧٠ ـ ١١٥ ومجموع الظاهرية من ١١٤ .

(٤) راجع الاكياس والمغترين .

(٥) انظر الاجزاء ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ من الاحياء الطبعة السابقة .

والقلب وتصوره لهما ولاعوانهما فان بناء فكرته فى هذا الجانب يقوم اساسا على ما فصله الترمذى كما رأينا فى عرضنا لفكرته عن القلب وجنوده قد فصل المعرفة (١) ، والنفس وأعوانها كما بدا ذلك فى فصل الصراع بين العقل (٢) والهوى ، نقول ان هذا الاساس هو الذى جرى عليه الغزالى فى كتابه كيمياء السعادة حينما تحدث عن النفس وقواها والقلب وعسكره فقال : « اعلم انه قيل فى المثل المشهور ، ان النفس كالمدينة ، واليدين والقدمين وجميع الاعضاء ضياعها والقوة الشهوانية واليها ، والقوة الغضبية شحنتها ، والقلب ملكها ، والعقل وزيرها ، والملك يدبرهم حتى تستقر مملكته واحواله ، لأن الولى وهو الشهوة كذاب فضولى مخلط ، والشحنة وهو الغضب شرير قتال ضراب ، فان تركهم الملك على ما هم عليه هلكت المدينة وخربت ، فيجب ان يشاور الملك الوزير ، ويجعل الوالى والشحنة تحت يد الوزير ، فاذا فعل ذلك استقرت احوال المملكة وتعمرت المدينة » ٠

بين الحكيم الترمذى وابن عربى :

يعتبر ابن عربى من اكثر شيوخ الصوفية انتفاعا بآراء الترمذى وأفكاره خاصة فى باب الولاية والأولياء وختم الاولياء الذى خصص له ابن عربى حيزا ضخما من مؤلفاته العديدة ، وتبدو هذه العناية من ابن عربى بأفكار الترمذى فى تأليفه كتابا منفرد سماه « القسطاس المستقيم فيما سأل عنه الترمذى الحكيم (٣) ، فى الاجابة عن الاسئلة الخمسة والخمسين التى وضعها الترمذى فى كتابه ختم الاولياء (٤) ، » وكذلك الاجابة عنها مرة أخرى باسهاب اكثر فى الجزء الثانى من كتابه الفتوحات المكية على

(١) انظر فصل المعرفة من هذا البحث ص ٢٦١ ٠
(٢) انظر فصل الصراع بين العقل والهوى من هذا البحث ص
(٣) جاء به الدكتور يحيى فى هامش كتاب ختم الأولياء وتوجد منه نسخة مخطوطة رقم ٣٧٥٠ بمكتبة بيازيد ٠
(٤) راجع للصفحات من رقم ١٤٢ حتى ٣٢٦ من ختم الاولياء وفى هامشها نص كتاب القسطاس ٠

مدى اكثر من مائة صحيفة (١) .

هذا بالاضافة الى اعتماده على افكاره فى الولاية والنبوة والصلة بينهما وختم الأولياء ، ودرجات الاولياء مما تعدد حديث ابن عربى عنه فى الأجزاء ١ ، ٢ ، ٣ ، ومن كتاب الفتوحات وكذلك فى نصوص الحكم ، ولسنا فى حاجة الى التذكير بمنهج ابن عربى حينما يتناول فكرة يعطيها شكلا ومضمونا جديدا ويضفى عليها تفصيلات وتفريعات تجعلها تبدو وكأنها شىء مستقل ابتدعه ابتداعا .

ولا شك ان الجانب الخاص بمباحث الولاية والاولياء هو أبرز مظاهر تأثر ابن عربى بالترمذى .

وكذلك يظهر هذا الاثر فى كتاب « التدبيرات الالهية فى اصلاح المملكة الانسانية » حيث يتصور ابن عربى ان القلب هو قاعدة المملكة الانسانية وان العقل هو وزيرها (٢) الذى لا بد ان يتوفر له مجموعة من الاخلاق والصفات حتى يتسنى له القيام على تدبير شئون المملكة بكفاءة وحزم (٣) ، وهذه الصفات والاخلاق هى التى دعاها الترمذى اعوانا للعقل فى بسط سلطانه على نواحى المملكة المختلفة .

ويبدو الأثر كذلك فى تصور الهوى فى الطرف الآخر ينازع العقل سلطانه وتقوم الحرب بينهما للسيطرة على مملكة البدن (٤) .

ويمكن القولا اجمالا ان كل من تناول فكرة الولاية والأولياء فى الفكر الاسلامى بعد عصر الترمذى وعرض تفصيلاتها وما يتعلق بها سواء كان مؤيدا لوجهة نظر الترمذى أو رافضا لها كان لآراء الترمذى فيما يقرره من

---

(١) الجزء الثانى من ص .
(٢) التدبيرات الالهية فى اصلاح المملكة الانسانية ص ١٥٧ طبع ليدن .
(٣) انظر التدبيرات الالهية ص ١٦١ .
(٤) انظر التدبيرات الالهية ص ١٣٨ .

رفض أو قبول صدى ومنطلقا يبنى عليه آراءه خاصة فكرة ختم الأولياء التى لم تتناول فى الاسلام قبل ان يناقشها الترمذى وقد رأينا طرفا من ذلك فى عرضنا لرأى ابن تيمية فى فصل الولاية وفى اقتباسنا من كتاب كشف المحجوب للهجويرى ، وقد تناولنا فى فصل الولاية والاولياء مناقشة آراء ابن تيمية التى يعرض فيها لافكار الصوفية قبولا أو رفضا ، وهناك يبدو جليا تأثره بآراء الحكيم وافكاره سواء اخذ بها او رفضها ٠

بين الحكيم وابن قيم الجوزية :

وقد انتفع ابن قيم الجوزية فى كتابه الروح انتفاعا كبيرا بأفكار الترمذى عن النفس وتقسيمها الى مطمئنة ولوامة وأمارة كذلك ظاهرة وباطنة مماتحدث الترمذى عنه بافاضة فى كتابه ٠٠ غور الأمور « الأعضاء والنفس » (١) ٠

وبدأ هذا الانتفاع بصورة أوضح وأجلى حينما تحدث ابن قيم الجوزية عن الفروق التى أوردها فى كتابه المذكور بعد أن تحدث عن حالات النفس كما سماها فانه حينما يبين السبب الذى من أجله وجدت أفعال مشتبهة فى الظاهر مختلفة فى الباطن انما يردد ما قرره الترمذى من قبل غير أنه يرجع السبب الى صدور الفعلين عن النفس المطمئنة والنفس الأمارة ولذلك افترقا فى حقيقتها واشتبها فى مظهرهما وهذا نص كلامه : فان الافعال تصدر عن الارادات وتظهر على الاركان (٢) من النفس الامارة والمطمئنة فيتباين الفعلان فى الباطن ، ويشتبهان فى الظاهر ٠٠ ولذلك امثلة كثيرة منها المداراة والمداهنة وهذا بعينه هو ما قاله الترمذى فى مقدمة كتاب الفروق مع وضوح اكثر حين يقول : « اما بعد فانك سألتنى عن سبب مشتبه الافعال وبيان فروقها ، واعلم ان السبب فى ذلك ان الافعال تخرج الى الاركان من صدر قد انقسم قسمين على قلب سليم ونفس سقيمة ، فأيهما غلب على صاحبه كان الفعل له فتباينا فى

---

(١) انظر : الاعضاء والنفس مخطوط اسعد أفندى ٠٠ وغور الامور ٠٠ مخطوط أسعد أفندى أيضا ٠
(٢) كتاب الروح ص ٢٨١ ٠

الباطن واشتبها فى الظاهر وذلك مثل المداراة والمداهنة (١) • بل تجد ما هو أكثر من ذلك فان ابن قيم الجوزية حينما اراد أن يضرب مثلا موضحا لعمل المداراة لم يجد أمامه الا ما كتبه الترمذى فى نفس الموضـــوع وان كان قد اشار الى ان هذا مثل مضروب لكنه لم يشر الى مصدره : يقول : وقـد ضرب لذلك مثل مطابق وهو حال رجل به قرحه آلمته ، فجاءه الطبيب المداوى الرقيق فتعرف حالها ثم أخذ فى تليينهـا حتى اذا نضجت أخذ فى بطهـا برفق وسهولة ، حتى اخرج ما فيها ثم وضع على مكانها من الدواء والمرهم ما يمنع فساده ويقطع مادته ثم تابع عليهـا بالمراهم التى تنبت اللحم ثم يذر عليها بعد نبات اللحم ما ينشف رطوبتها (٢) ، وهذا الكلام ذاته مع تعبير أدق ووصف احكم للحالة هو ما ذكره الترمذى فى كتاب الفروق •

بل أكثر من ذلك فان كل الفروق التى عددها ابن قيم الجوزية فى كتـابه هذا وناقشها قد أخذها من كتاب الترمذى المشار اليه وفى الجملة فان المتصفح لكتاب الروح من ص ٢٦٧ حتى ص ٣١٧ يبدو له مدى اعتماد صاحب كتاب الروح على فكر الترمذى ولست أدرى لماذا لم يشر اليه مع انه قد اشار الى غيره مســائل أخرى •

(ب) ـ منزلة الترمذى كما تبدو مما كتب عنه

على الرغم من ان الحكيم الترمذى لم يحظ بترجمة مطولة وافية فى أى من كتب الطبقات وتاريخ الرجال التى تناولته الا ان القليل الذى ورد عنه فى هذه الكتب يوحى بأن الرجل كان يتمتع بمنزلة الاجلال والاكبار والتقدير البالغ لعلمه ودينه ومكانته السامية بين شيوخ الصوفية ومؤسسى الفكر الصوفى ، بل ان كثيرا منهم وقف موقف المدافع عنه المنكر لبعض ما روى عنه مما يشعر بالطعن فيه أو النيل من منزلته العلمية ومكانته الدينية المرموقة ع

---

(١) الفروق : أيا صوفيا ورقة ١ أسعد أفندى وقرة •

(٢) كتـــاب الروح ص ٢٨١ •

واستعراضنا لما كتب عنه سيعطى بوضوح ان مكانة الرجل كانت محاطة بكثير من الاجلال والاكبار والتقدير .

فالكلاباذى : يذكره فى البـــاب الرابع من كتابه كواجـــد من الذين صنفوا فى المعاملات (١) ويعتبره ، أحد الأعلام المشــهود لهم بالفضــل الذين صنفو فى المعاملات (١) ويعتبره ، احد الاعلام المذكورون المشهورون المشهود لهم بالفضل ، الذين جمعوا علوم المواريث الى علوم الاكتساب ، ســـمعوا الحديث وجمعوا الفقه والكـــلام واللغة وعلم القرآن تشــــهد بذلك كتبهم ومصـــنفاتهم (٢) .

ويقول عنه السلمى فى كتابه « طبقات الصوفية » (٣) : وهو من كبار مشايخ خراسان وله التصانيف المشهورة ، كتب الحديث الكثير ورواه ، وقد روى كثير من أقواله .

ويقول أبو نعيم الأصفهاني في الحلية (٤) : له التصانيف المشــــهورة كتب الحديث ، مســتقيم الطـريقة ، يرد على المرجئة وغيرهـــا من المخـــالفين تابع للاثار ويقول عنه القشيرى فى الرسالة (٥) : من كبـــار الشيوخ وله تصانيف فى علوم القرآن .

وهذا ابن حجر العسقلانى فى كتابه لسان الميزان يعلى شأنه ويرفض ما رماه به القاضى كمال الدين بن العديم فى كتابه تاريخ حلب ، ويستشعر نقص فى ترجمته وأنه لم يجد أحدا يوفيه حقه وقد نقـــل عن ابن النجـــار فى

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصـــوف ص ٣٢ تحقيق الدكتور عبد الحـــليم محمود وطه عبد الباقى سرور .

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٣٢ ـ ٣٣ تحقيق الدكتـــور عبد الحليم محمود وعبد الباقى ســـرور .

(٣) طبقات الصوفية ص ٢١٧ تحقيق نور الدين شريبة .

(٤) حلية الاولياء جـ ١٠ ص ٢٣٣ .

(٥) الرسالة القشيرية جـ ١ ص ١٢٧ تحقيق الدكتور عبد الحـــليم محمود ومحمود بن الشـــريف .

يل تاريخ بغداد أنه « كــــان أماما من ائمة المسلمين له المصنفات الكبـــار في أصول الدين ومعانى الحديث ، وقد لقى الأئمة الكبار واخذ عنهم ، وفى شـــيوخه كثرة ٠

ثم أورد كلام القاضى كمال الدين بن العديم ورد عليه بعد ايراده له فقال : راويا عن ابن العديم : وهذا الحكيم الترمذى لم يكن من أهل الحديث ولا رواية له ، ولا اعلم له نظرا فيه وصناعة ، وانما كان فيه الكـــلام على اشارات الصوفية والطرائق ودعوى الكشف عن الامور الغامضة والحقــائق حتى خرج فى ذلك عن قاعدة الفقهاء واستحق الطعن عليه بذلك والازراء ، وطعن عليه أئمة الفقهاء والصوفية واخرجوه بذلك عن الســـيرة المرضية ، وقالوا انه ادخل فى علم الشريعة ما فارق به الجماعة وملأ كتبه الفظيعة بالاحاديث الموضوعة ، وحشاها بالاخبار التى ليست بمروية ولا مسموعة ، وعلل فيها جميع الامور الشرعية التى لا يعقل معناها بعلل ما اضـــعفها وما أوهاها ٠٠٠ انتهى كــــلام ابن العديم ثم يعقب عليه ابن حجر بقـــوله : ولعمرى قد بالغ بن العـــديم فى ذلك ، ولولا ان كـــلامه يتضمن النقـــل عن الائمة انهم طعنوا فيه لما ذكرته ، ولم أقف لهذا الرجل مع جلالته على ترجمـــة شـــــافية (١) ٠

وعده الذهبى من رجال الطبقة العاشرة من حملة العـلم النبوى ووصفه بقوله : الزاهد الحافظ المؤذن صاحب التصانيف ويقول عنه انه عنى بشأن الحديث ورحل فيه (٢) ٠

ويصفه السبكى في طبقات الشـــافعية ٠٠ بالمحدث الزاهد صـــــاحب التصانيف سمع الكثير من الحديث بخراسان والعراق (٣) ٠

وفى شرح الرسالة القشيرية لشيخ الاسلام زكريا الانصـــــارى (٤)

---

(١) لسان الميزان جـ ٥ ص ٣٠٨ ـ ٣١٠ طبعة حيدر آباد الدكن ٠

(٢) تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ١٩٧ طبعة حيدر آباد الدكن ٠

(٣) تاج الدين السبكى طبقات الشافعية جـ ٢ ص ٢٠

(٤) جـ ١ ص ١٦٤ ٠

وشرحها الشيخ العروسى المسمى نتائج الافكار القدسية يقول عنه : « الصوفى الشافعى » صاحب التصانيف المشهورة ، اشتهر بملازمة العبادة بين العباد ، وتفرد من بين الصوفية بكثرة الرواية وعلو الاسناد ، ناسك سلك طريق القوم ، وصل التهجد وهجر النوم ، رحل فى طلب الحديث والعلم ، وتلفع بمروط التقوى والحلم لقى الاكابر ، وأخذ عن أرباب المحابر ، ومع ذلك كان صدرا معظما ، وصوفيا محدثا مفخما كثير الكيس واللطافة ، غزير المعارف التى تحف اخلاقه واعطافه تحلى بعقوده جيد زمانه ، وتأرجت الأرض بعرف عرفانه ، سمع الكثير من الحديث بالعراق وغيره ، وهو من اقران البخارى .. ثم ينقل عن ابن عطاء الله قوله : كان الشاذلى والمرسى يعظمانه جدا ، ولكلامه عندهما الخطوة التامة ويقولان هو احد الأوتاد الاربعة فلا تلتفت لخرافات بعض المجازفين ممن طعن فيه .

ويقول عنه ابن الجوزى فى صفة الصفوة : أنه من كبار مشايخ خراسان له التصانيف المشهورة (١) .

ويردد الشريف محمد بن جعفر الكتانى فى كتابه الرسالة المستطرفة : انه أحد الاوتاد الاربعة ، وصاحب التصانيف (٢) .

وقال صاحب كتاب الاعلام : باحث صوفى ، عالم الحديث وأصول الدين (٣) .

وتحدث عنه صاحب مفتاح السعادة فكرر ما قيل من قبل ، وابن تيمية حينما يناقش فكرة ختم الاولياء يعرض للترمذى ولا يرضى رأيه فى ختم الأولياء ، الا انه يعرف للرجل حقه ومكانته ويثنى على كثير مما كتبه وان كان فى الوقت نفسه يرفض رأيه فى فكرة ختم الاولياء ويراها خطأ وباطلا (٥) .

---

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ١٤١ .
(٢) الرسالة المستطرفة ص ٥٦ .
(٣) خير الدين الزركلى الاعلام جـ ٧ ص ١٥٦ الطبعة الثانية .
(٤) طاش كبرى زاده مفتاح السعادة جـ ٢ ص ١٧١ الطبعة الأولى حيدر آباد الدكن .
(٥) ابن تيمية حقيقة مذهب الاتحاديين ص ٥٩ - ٦٠ طبع رشيد رضا .

اما ابن عربى فحينما يتحدث عن الترمذى الحكيم يقرنه بوصف الامام، وتلمح هذا الاعجاب والاكبار يتراءى فى كثير مما كتبه ابن عربى ويكفى مراجعة الجزء الثانى من الفتوحات المكية لتلمس مدى تقدير ابن عربى للترمذى ، وكذلك كتابه المخطوط « القسطاس المستقيم فيما سأل عنه الترمذى الحكيم » .

كذلك تحدث عنه الهجويرى فى كتابه « كشف المحجوب » حديثا يفيض بالاعجاب والتقدير الذى لا حد له ويروى عن شيخه انه لا نظير له فى العالم وهذا ترجمة ما قاله عنه :

« وتحدث عنه اللجويرى فى كتابه كشف المحجوب حديثا يفيض بالاعجاب والتقدير اللذين لاحد لهما ، ويروى عن شيخه انه أمة وحده وهذا ما قاله الهجويرى : هو مؤلف كثير من الكتب القيمة التى تناول فيها ببيانه القوى اظهار الكرامات التى وهبت له .

وانا اكن له احتراما عظيما وولاء كاملا

ويقول عنه شيخى انه جوهرة فريدة ولا نظير له فى العالم كله وقد خلف آثارا تنطق بأعمال بناءه مخلصة ، وهو ثقة راسخ القدم فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد بدأ فى كتابه تفسير كامل للقرآن الكريم الا أن الأجل لم يمهله حتى يتمه .

وله نصيب كامل وصيت ذائع بين علماء الكلام ، وقد درس الفقه على صديق مقرب من أبى حنيفة ويدعوه سكان ترمذ ... محمد الحكيم ، والحكيمة الجماعة الصوفية التى نشأت فى هذا الاقليم تنتسب اليه وتتبع تعاليمه » (١) .

ووكذلك كتب عنه العطار فى «تذكر الأولياء» كتابة محوطة بهالة من التقديس والاعجاب والاجلال فقال : السليم السنة ، عظيم الملة ، مجتهد الاولياء منفرد

---

(١) ترجمة كشف المحجوب لنيكلسون ص ١٤١ .

الاصفياء حرم القدس ، شيخ الوقت محمد بن على الترمذى رحمة الله عليه ٠ المحتشم بين الشيوخ ، المحترم بين أهل الولاية الداعى بكل اللغات ، الشارح لمعانى الاحاديث والآيات ، كان آية فى شرح المعانى والثقة فى الاحاديث ورواية الاخبار ، والاعجوبة فى بيان المعارف والحقائق الكاملة القبول ، العظيم الشفقة ، العجيب الحلم ، العالى الخلق صاحب الرياضات والكرامات ، الكامل فى فنون العلم ، والمجتهد فى الشريعة والطريقة ، اقتدى به جماعة من أهل ترمذ ومذهبه فى العلم انه عالم ربانى ، وهو حكيم الأمة ، وليس بمقلد لأحد ، لأنه صاحب الكشف والاسرار والغاية فى الحكمة ، ولهذا سموه حكيم الأولياء (١) ٠

وقال عنه صاحب كنوز الأولياء ورموز الأصفياء : من كبار المشايخ ، وهو مجتهد فى الشريعة والطريقة ، وله مصنفات فيهما ، ولم يقلد احدا كان اعجوبة الدهر فى الكمالات العلمية والعملية ٠٠ وكان لا يتكلم الا بالحكمة ولذا يقال له حكيم الأولياء (٢) ٠

(ج) خصائصه ومميزاته

يلفت الدارس لكتب الترمذى ورسائله انه جرى فيها على سجيته منطلقا سهلا مسترسلا ، لا يبالى بالاعادة والتكرار حتى تتضح الفكرة التى يناقشها أو يريد ابرازها ولم يلجأ الى الغموض والرمز والاشارة كما هى عادة شيوخ الصوفية من أمثاله بل كان حينما يصل الى نقطة يرى انها اعمق من ان تتناول يصرح بأنه يكف عن الخوض فيها لأنه لا يجد من يقدر على فهمها وتحملها وكان حينما يوجه اليه سؤال يعتقد ان السائل ليس أهلا للاجابة عنه أفهمه بصراحة ان هذا فوق طاقته وانه يجب ان يعرف حدوده فلا يتجاوزها ونتيجة لهذا الاتجاه الذى يسود كتابات الترمذى نجده يكثر من ضرب الأمثال الموضحة ولا يبالى أن يضرب أكثر من مثل للفكرة الواحدة حتى تبدو جلية

---

(١) فريد الدين العطار ، تذكرة الأولياء ج ١ ص ٩١ ٠
(٢) كنوز الاولياء ورموز الأصفياء مخطوط الظاهرية ورقة ٨٤ ٠

تماما لا لبس فيها ولا غموض كما فعل فى شـــرحه لأحوال القلب ومقامات الباطن التي أودعها كتابه « بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب » •

ويلمس الدارس لكتب الترمذي قدرته على التعبير سهل المنطلق باســهاب وافاضة •

وقد اعتمد على القرآن والأحاديث النبوية اعتمادا رئيســيا فى عرض آرائه وأفكاره وساعده على ذلك فهم شامل عميق للقرآن الكريم والمام واسع بعلومه ومقاصده ، وكذلك معرفته بالسنة النبوية واقباله على دراســتها وتلقيها وجمعها فى فهم ووعى واستيعاب شامل ، وقد تلقاها عنه عدد كبير من المحدثين خاصة من علماء نيسابور كما اشــارت الي ذلك كتب التراجم والرجـــال •

وبجانب اعتماد الترمذى على القرآن والسنة اعتمادا كليـا نراه يقدس العقل ويجله ويحله محلا مرموقا من الفكر الانسانى وآية ذلك الأحاديث التى رواها فى العقل وفضله وهو يعتبر العقل هبة من الله سبحانه لعباده الذين اثار بصائرهم واضاء قلوبهم ولذلك جعل درجات وأقساما كما اوضح ذلك فى كتابه بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ، حينما عقد مقارنة بين العقل واللب ،ولا ننسى حديثه عن العقل ومكانته الخطيرة فى مملكة المعرفة التى جعل العقل ولى عهـــدها ومدبر امورها والقائم على شئونها مما تنــاوله هذا البحث فى فصل المعرفة وعرض له الترمذى فى كتابه غور الامور والاعضاء والنفس •

وقد جرى الترمذى فى اغلب كتبه على طريقة الســؤال والجواب التى سادت التأليف فى عصره ، ويبدو من كتاباته ان الأمر ليس أمر اتجاه فقط بل ان هناك سائلا حقيقيا كان يناقش الترمذى ويعرض عليه النقاط التى يود ايضاحها وتبيانها وأبرز مثل على ذلك منهجه فى كتابه ختم الأولياء ، هذا الى جانب الاسئلة التى كانت تأتيه من جهات متعددة تسأله الرأى والتوجيه وقد حفلت آثاره بطائفة كبيرة من ذلك فى أجوبة مســائل أهل سرخس

والرسائل التى كان يجيب عنها بالاضافة الى تلاميذه الذين كانوا يحضرون حلقات درسه التى اشار اليها فى رسالته بدو الشأن والتى لم نعرف عنهما تفصيلا أكثر ، وقد حفلت مجموعات ليبيزج والظاهرية وولى الدين واسماعيل صائب وكلكتا بطائفة ضخمة من المسائل التى عرضت عليه واجاب عنهما ، ولعل سبب التكرار الذى يلمسه الدارس لاثار الترمذى حينما يراه يتناول الموضوع اكثر من مرة انه حينما يأتيه السؤال عن موضوع ما كان قد تناوله فى أحد كتبه أو رسائله فانه يجيب عنه استجابة للسائل الذى لم يتيسر له الحصول على الكتاب الذى ناقش فيه الفكرة ذاتهـا •

وباختصار يمكن القول ان آثار الترمذى يغلب عليها الاسهاب والوضوح والتكرار وضرب الأمثال الموضحة ، والبعد عن الغموض الذى يلجأ اليه شيوخ الصوفية والاعتماد على القرآن والسنة فى تأييد افكاره وآرائه الى جانب تمجيد العقل ومعرفة خطره وقيمته فى تحصيل المعرفة الانسانية •


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT




خـاتمة

عرضت الصفحات الماضية من هذا البحث حيـاة الترمذى والمؤثرات الثقافية فى عصره والخصائص التى امتـازت بها المنطقة التى عاش ونشـأ وتربى فيها واثر ذلك على آرائه وتفكيره وتصوره للاشـياء وعرضه لها ؛ وما تعرض له من الاضطهاد والقطيعة وثورة العامة عليه بسـبب اغراء بعض العلماء الذين لم يرضـيهم منهجه ، ومحاولتهم اغراء الحكـام به حتى لاقى من جراء ذلك عنتا كبير الزمه منـزله فترة من الوقت وألجأه الى السـفر الى بلخ ونيسابور ، وذيل ذلك بقائمة بأسماء شيوخه وتلاميذه ٠

وافرد جانب من هذا البحث لعرض كتب الترمذى ومؤلفاته ومحـاولة إعطاء صورة موجزة عن اهم محتوياتها نظرا لأن اغلبها لا زال مخطوطا لم يهيأ له ان يطبع بعد مع الاشارة الى اماكن وجودها فى مكتبات العالم الآن فى الشرق والغرب وتقسيمها الى مجموعات بحسب موضوعاتها التى شـملت التفسير والحديث ، وعلم الكلام ، والفقه ، واصول الفقه او فلسفة الاحكام الفقهية ، وتاريخ الصوفية والفكر الصوفى ٠

ثم تناول بحث منهجه فى التفسير ، والحديث ، والفقه ، وعلم الكلام مبينا خصائصه ومميزاته التى بدت من عرضه ومناقشته للنقاط التى اثارها أو تعرض لها فى هذه الفروع ٠

وتحـدث البحث عن الترمذى المتصوف وهو الجـانب الرئيسى فى تفكيره ولذلك كان القسم الاهم فى هذا البحث الذى عرض رأيه فى الولاية والأولياء وأقسـامها وخصائص الولاية ، ودرجـات الأوليـاء من بدلاء الى صـديقين الى محـدثين الى ختام الاولياء الذى هو أعلى الأوليـاء درجة وما يجـوز لهم من معـرفة الغيب وحسـن العـاقبة والكـرامات والبشرى ، والحفظ من القاء النفس ومكر الشيطان ، وما يترتب على ذلك

من البصيرة والفراسة والالهام والتحديث ومدى قبول ذلك والاعتماد عليه ، ثم الصلة بين الولاية والنبوة مع الاشارة الى راء بعض العلماء وخاصة الصوفية فى هذه الأمور ٠

وكذلك عرض البحث لعلم الاولياء كما يراه الترمذى ، ونصيب الترمذى من الولاية كما يبدو من كتابته ٠

ثم عرض البحث رأى ابن تيمية فى الولاية والاولياء وختم الأولياء ومناقشته لكثير من الامور التى جرت على ألسنة الصوفية ، واتبع ذلك بعرض رأى ابن عربى فى الولاية والاولياء مع التركيز على النقاط التى كان له فيها رأى متميز عن رأى الترمذى ٠

ثم تحدث البحث عن نظرية المعرفة عند الحكيم الترمذى مبينا العلاقة بين المعرفة وفكرة النور التى ابرزها بوضوح وبين فيهـا انواع الانوار وأنها جميعها من الله وأن نور المعرفة يعتبر أعلى هذه الأنوار وأجلها لأنهـا من نور الفردانية ، وترتكز فكرة الترمذى فى هذا التفسير للمعرفة والنور على فهم الآية الكريمة « الله نور السموات والأرض »

ثم تحدث البحث عن مدائن النور ومملكة المعرفة ، وما يلزمها من تحصينات واعدادات وصيانة وعن العقل ومكانته في هذه المملكة وأعوانه المائة ٠

وتحدث عن العلم وتقسيمه الى ظاهر وباطن وأنواع كل قسم والارتباط بين النوعين الظاهر والباطن ، ووسائل تحصيل كل منهما وغاياته وأهدافه ثم تحدث عن العلماء وأصنافهم ومسئولياتهم ، ومن هم العلماء حقا الذين يحملون أمانة العلم ويصونون حرماته ٠

ثم تحدث عن الحكمة وأقسامها ودرجاتها ومصادرها والصلة بين كل من العلم والحكمة والمعرفة وأيها أعلى درجة وأعز شأنا ، ومن هو العارف والحكيم والعالم ٠

وأعقب ذلك اقتباس لآراء الشيوخ من المتصوفة فى هذه الأمور كما جاء فى

كتابى كشف المحجوب للهجويرى وكتاب علم القلوب لأبى طالب المكى .

ثم تابع الحديث عن مقامات الباطن كما صورها الترمذى فى كتبه خاصة كتاب « بيان الرق بين الصدر والقلب واللب والفؤاد » ، وهذه المقامات ترتبط من ناحية بمنازل الايمان المعبر عنها بالمسلم والمؤمن والعارف والموحد وكل منها له مقام فى داخل الانسان يحل به ويستقر فيه

فالاسلام مستقره فى الصدر .

والايمان مستقره فى القلب .

والمعرفة مستقرها فى الفؤاد .

والتوحيد مستقره فى اللب .

وكل منها متمثل بجبل له طائر يحلق فى أودية :

فالاسلام جبل ومستقره الصدر وطائره النفس الامارة .

والايمان جبل مكانه القلب وطائره النفس اللوامة .

والمعرفة جبل معدنه فى الفؤاد وطائره النفس الملهمة .

والتوحيد جبل أصله فى اللب وطائره النفس المطمئنة .

ولكل من هذه الاسماء والمنازل انوار واعظمها نورا ، نور التوحيد الصادر من اللب الذى هو معدن الانوار ، وهذا النور هو سر الحياة الذى انبثقت منه كل مظاهرها وصورها المتعددة .

وعرض البحث لفكرة الصراع الدائم بين القلب والنفس أو بين العقل والهوى كما يصورها الترمذى من ان لكل جند واعوان فللعقل مائة من الاعوان والجند يساعدونه على بسط سلطان المعرفة وتوطيد دعائم مملكة الخير ، وللهوى مائة من الاعوان تحاول الانقضاض على مملكة النور والخير وتقويض دعائمها ليصير الأمر امر النفس والهوى والسلطان سلطانهما نتيجة لذلك ينشأ صراع دائم لا يهدأ ولا يكل .

وكذلك يناقش البحث مناهج السلوك الانسانى كما يتصورها الترمذى

ويوضحها فى كتابيه « الفروق ومنع الترادف ، والعقل والهوى » ٠

ثم يتحدث البحث عن أثر الترمذى فى الفكر الصوفى المعاصر له والمتأخر عنه ويجلو هذا الأثر بالنسبة لفرقة اللامتية وزعمائها والحكيمية طائفة صوفية اتخذت من أفاكر الترمذى فى الولاية أساسا لها ومبدأ تقوم عليها تعاليمها ومجاهداتها ٠

ثم عرض البحث لمظاهر هذا الأثر عند الغزالى وابن عربى وابن القيم ٠

وعرض البحث كذلك صورة الترمذى كما تؤخذ من كتابات المؤرخين وعلماء الرجال عن الترمذى ومكانته ثم انتهى بعرض خصائص للترمذى ومميزاته كما تؤخذ من كتاباته ٠

٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠



مراجع وفهرس
الكتاب


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT




قائمة المراجع

الدكتور أبو العلا عفيفى

١ ـ التصوف الثورة الروحية فى الاسلام طبع القاهرة سنة ١٩٦٣ م

٢ ـ الملامتية والصـــوفية وأهل الفتوة للسلمى تحقيق عفيفى طبــع القاهـــرة سنة ١٩٤٥ م

أبو طالب المكى :

١ ـ علوم القلوب طبع القاهرة تحقيق عبد القادر أحمد عطا

٢ ـ قوت القلوب ـ طبع القاهرة

ابو عبد الله الذهبى الحافظ شمس الدين المتوفى سنة ٧٤٨ هـ

١ ـ تذكرة الحفاظ أربعة اجزاء طبع حيدر آباد الطبعة الثانية سنة ١٣٣٣ هـ .

٢ ـ ميزان الاعتدال فى نقد الرجال أربع اجزاء تحقيق البجاوى طبــع القاهرة

ابو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ

حلية الاولياء وطبقات الأصـــفياء عشرة أجزاء طبع مطبعة الســـعادة بالقاهرة ونشر مكتبة الخانجى من ١٣٥١ هـ الى ١٣٥٧ هـ

ارثر جون آربرى مستشرق انجليزى توفى عام ١٩٦٩ م

ترجمة كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذى

1. — Doctrine of Sufi.

طبع مطبعة كمبردج سنة ١٩٣٥ م

2. — Muslim Saints and Mystics.

طبع لندن سنة ١٩٦٦ م

ابن حجر شهاب الدين الفضل احمد بن على بن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ٠

١ ـ تهذيب التهذيب أثنا عشر جزءا الطبعة الأولى ٠

٢ ـ لسان الميزان ستة أجزاء الطبعة الأولى حيدر آباد ـ ١٣٢٩ ـ ١٣٣١ هـ ٠

أبو العباس ابن تيمية تقى الدين احمد بن عبد الحليم الحرانى المتوفى المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ٠

١ ـ الرسائل والمسائل الجزء الأول طبعة المنار القاهرة ١٣٤١ هـ ٠

٢ ـ حقيقة مذهب الاتحاديين الطبعة الأولى طبعة المنار سنة ١٣٤٩ هـ

ابو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ٠

تاريخ بغداد أربعة عشر جزءا الطبعة الأولى القاهرة ١٣٤٩ ، هـ ١٩٣١م.

الخزرجى صفى الدين أحمد بن عبد الله بن أبى الخير

خلاصة تهذيب الكمال فى أسماء الرجال مجلد واحد طبع القاهرة مطبعة الخيرية سنة ١٣٢٢ هـ

طاش كبرى زادة أحمد بن مصطفى المتوفى سنة ٩٦٢ هـ ٠

مفتاح السعادة ومصباح السيادة الطبعة الأولى حيدر آباد ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ هـ

خير الدين الزركلى

كتاب الاعلام عشرة أجزاء الطبعة الثانية ٠

عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى المتوفى ٣٢٧ هـ

الجرح والتعديل الطبعة الأولى أربعة أجزاء كبار ـ طبع حيدر آباد ١٣٧١ ، ١٣٧٣ هـ الموافق ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ هـ ٠

أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

صفة الصفوة طبع حيدر آباد الركن الهند سنة ١٣٥٥ هـ

عبد الكريم بن هوازن القشيرى المتوفى عام ٤٦٥ هـ

الرسالة القشيرية تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف طبع القاهرة

أبو نصر عبد الله بن على السراج الطوسى المتوفى عام ٣٧٨ هـ

اللمع فى التصوف تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقى سرور ، طبع دار السعادة القاهرة ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م

دكتور عبد المحسن الحسينى

المعرفة عند الحكيم الترمذى طبع القاهرة سنة ١٩٦٨ م

إمام الحرمين أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى المتوفى عام ٣٦٩ هـ

الإرشاد فى أصول الدين ، تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى ، وعلى عبد المنعم طبع القاهرة عام ١٩٥٠ م

تاج الدين عبد الوهاب بن تقى الدين السبكى المتوفى عام ٧٧٩ هـ

طبقات الشافعية الكبرى طبع القاهرة

على بن عثمان الجلابى الغزنوى الهجويرى المتوفى عام ٤٦٩ هـ

كشف المحجوب الترجمة الإنجليزية لنيكلسون طبع لندن ١٩١١ ، ١٩٦٧ م

أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي صاحب التفسير المتوفى عام ٦٧١ هـ

الجامع لأحكام القرآن نشر دار الكتب بالقاهرة ١٣٦١ هـ ١٩٤٢ م

الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى عام ٧٤٨ هـ

١ — تذكرة الحفاظ الطبعة الثانية ١٣٣٣ هـ نشر حيدر آباد الركن الهند

٢ — ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ، تحقيق على البجاوى طبع القاهرة

أبو بكر محمد بن إسحاق البخارى الكلاباذى
المتوفى عام ٣٨٠ هـ

التعرف لمذهب أهل التصوف تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقى سرور

فريد الدين العطار أبو حامد محمد بن أبى بكر العطار النيسابورى
المتوفى فى القرن السابع

تذكرة الأولياء تحقيق نيكلسون طبع لندن ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م مطبعة برل

السيد الشريف محمد بن جعفر الكتانى

الرسالة المستطرفة لبيان كتب السنة المشرفة الطبعة الثالثة دار الفكر العربى دمشق عام ١٣٨٣ هـ ١٩٦٤

ابن منظور الأفريقى أبو الفضل محمد بن جلال الدين

لسان العرب ، مطبعة بولاق القاهرة

أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى المتوفى عام ٤١٢ هـ

طبقات الصوفية تحقيق نور الدين شريبة ، طبع دار الكتاب العربى بالقاهرة عام ١٩٥٣ م

أبو عبد الله محمد بن على الترمذى الحكيم ٣٢٠ هـ

١ - أبواب مختلفة

٢ - إثبات العلل — مخطوط

٣ - أدب النفس طبع القاهرة سنة ١٩٤٧ م تحقيق دكتور على حسن عبد القادر والبروفوسور آربرى

٤ - الأدعية — فارسى — مخطوط

٥ ـ أجوبة مسائل أهل سرخس مخطوط

٦ ـ كتاب الأكياس والمغترين »

٧ ـ الأمثال من الكتاب والسنة »

٨ ـ أنواع العلوم »

٩ ـ بدء شأن الحكيم الترمذى »

١٠ ـ بيان العلم »

١١ ـ بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب تحقيق المستشرق الأمريكى دكتور نقولا هير، طبع القاهرة سنة ١٩٥٨ م

١٢ ـ بيان الكسب مخطوط

١٣ ـ تبيان الأمثال »

١٤ ـ تحصيل نظائر القرآن تحقيق حسنى زيدان طبع القاهرة ١٩٦٥

١٥ ـ تفسير آية لا شرقية ولا غربية مخطوط

١٦ ـ الجمل اللازم معرفتها »

١٧ ـ جواب كتاب من الرى »

١٨ ـ الاحتياطات »

١٩ ـ الحقوق »

٢٠ ـ الحكمة »

٢١ ـ ختم الأولياء طبع بيروت سنة ١٩٦٥ تحقيق الدكتور عثمان اسماعيل يحي

٢٢ ـ دقائق العلوم مخطوط

٢٣ ـ الرد على الرافضة »

٢٤ ـ الرد على المعطلة »

٢٥ ـ الرياضة طبع القاهرة سنة ١٩٤٧ تحقيق الدكتور على حسن عبد القادر والبرفسور آربرى

٢٦ ـ سبب التكبير فى الصلاة مخطوط

٢٧ ـ شرح الصلاة ومقاصدها تحقيق حسنى زيدان طبع القاهرة سنة ١٩٦٥

٢٨ ـ شرح قوله ما الإيمان وما الإسلام وما الإحسان مخطوط

٢٩ ـ صفة القلوب «

٣٠ ـ العقل والهوى «

٣١ ـ علم الأولياء «

٣٢ ـ غرس العارفين (أو عرس الموحدين) «

٣٣ ـ غور الأمور أو (الأعضاء والنفس) «

٣٤ ـ الفرق بين الآيات والكرامات «

٣٥ ـ الفروق ومنع الترادف «

٣٦ ـ الكلام على معنى لا إله إلا الله «

٣٧ ـ كيفية الصلاة والسواك (أو علل الشريعة) «

٣٨ ـ مسائل التعبير «

٣٩ ـ مسائل العفنة «

٤٠ ـ المسألة فى الإيمان والإسلام والإحسان «

٤١ ـ مسائل رقم ١ ، ٢ «

٤٢ ـ المسائل المكنونة «

٤٣ ـ معرفة الأسرار «

٤٤ ـ منازل العباد فى العبادة «

٤٥ ـ منازل القربى «

٤٦ ـ المنهيات وكل ما ورد من حديث بالنهى «

٤٧ - نوادر الأصول فى أحاديث الرسول طبع استانبول سنة ١٢٩٣ هـ تحقيق الشيخ مصطفى بن إسماعيل الدمشقى

٤٨ - نوادر أصول العرفان وزواهر فروع الإيقان فارسى (رباعيات) مشكوك فى نسبته إليه مخطوط

٤٩ - الهداية إلى معرفة آداب الولاية

محمد بن على الشوكانى المتوفى عام ١٢٥٠ هـ

فتح القدير . الطبعة الأولى عام ١٣٥٠ هـ مطبعة الحلبي بالقاهرة

ابن عربى - محمد بن على الطائى المتوفى ٦٣٨ هـ

١ - التدبيرات الإلهية فى إصلاح المملكة الإنسانية طبع ليدن ، مطبعة برل عام ١٣٣٦ هـ ١٩١٩ م تحقيق دكتور نابرك

٢ - الفتوحات المكية أربعة مجلدات كبار طبع القاهرة بدون تاريخ .

٣ - نصوص الحكم ، تحقيق دكتور أبو العلا عفيفى طبع القاهرة

٤ - القسطاس المستقيم فيما سأل عنه الترمذى الحكيم طبع فى هامش ختم الأولياء سنة ١٩٦٥ بيروت تحقيق الدكتور عثمان يحي

ابن قيم الجوزية شمس الدين أبو عبد الله محمد الحنبلى الدمشقى المتوفى عام ٧٥١ هـ

كتاب الروح الطبعة الثالثة نشر حيدر آباد الدكن الهند ١٣٥٧ هـ

حجة الإسلام الغزالى أبو حامد محمد بن محمد المتوفى عام ٥٠٥ هـ

١ - إحياء علوم الدين ، تحقيق لجنة نشر الثقافة الإسلامية طبع القاهرة عام ١٣٥٦ هـ

٢ - كيمياء السعادة تحقيق الشيخ محمد جابر طبع القاهرة

٣ - المنقذ من الضلال تحقيق الشيخ محمد جابر طبع القاهرة

حاجى خليفة مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي المتوفى عام ١٠٦٧ هـ

كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون ، طبع تركيا عام ١٩٥٢ فى مجلدين كبيرين .

مصطفى بن محمد الصغير العروسى المتوفى عام ١٢٣٩ هـ

إنتاج الأفكار القدسية فى بيان معانى شرح الرسالة القشيرية للشيخ زكريا الأنصارى طبع بولاق القاهرة عام ١٢٩٠ هـ


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فهرس الكتاب






الفهرس



الموضوع — الصفحة

الفصل الثانى

الفصل الثالث



الموضوع	الصفحة





بيان الخطأ والصواب

وقعت هذه الأخطاء أثناء طبع الكتاب ونريد التوجه إلى القارىء الكريم بالرجاء أن يصححها قبل المضي في القراءة

الصفحة	الخطأ	الصواب
١٣	٢٢٥	٢٥٥
١٤	من ذو القعدة	من ذى القعدة
١٧	التى	الذى
١٩	بشيء	لشيء
١٩	لمارف	والمعارف
٢٠	وبطالبها	ومطالبها
٢٥	إثارة	وإثارة
٣١	وهذا الحكيم الترمذى	وهذا نص تعبيره ، وهاجت بالبلاد فتنة وانتقاض أمر حتى هرب جميع من كان يؤذيني ويشنع على فى البــلاد ، وابتلوا بالفتنة ، ووقعوا فى الغربة ، وخلت البلاد منهم[1] . ولعل مثل هذه الفترات كانت أوقات تنفس يباشر فيها
٣٦	ثمة	ثلة
٣٩	وجات	وجشت
٣٩	الإشارة	لأشار
٣٩	واحد	واحدا
٤٠	إبراهيم بن المستمر الصرى	إبراهيم بن المستمر البصرى
٤٣	حفصل	حفص
٤٤	بعد منها	بعد وعدد منها

(١) الحكيم الترمذى : ٣٠

الصفحة	الخطأ	الصواب
٥٨	تسعة وعشرين مسألة	تسع وعشرين مسألة
٦٢	١٢	٢١٢
٦٤	٦٩٥ ب	١٦٥ ب
٦٧	شرح	الشرح
٧٠	منحها بعض عباده	منحها الله بعض عباده
٧٧	لاينجح	لاينجو
٧٧	وسلوك	والسلوك
٧٨	جرى ويجرى	جرى مجرى
٧٩	عياذا	عيانا
٨٢	تضييقه	تضييعه
٨٢	وهو على علم	وهو علم
٨٧	يماين	بعامين
٨٧	بين معناها الأصلى	من معناها الأصلى
٨٩	الانتحار	الافتخار
٩٢	الشاتق	الشاق
٩٣	المولى	الولى
٩٣	ومهنجه	ومنهجه
٩٥	علاقة	علامة
٩٥	وأنه	أو أنه
١٠٢	ومستورها	وستورها
١٠٢	أبيه	ابنه
١٠٢	عشر كتب	عشرة كتب
١٠٣	وقع اضطراب فى ترتيب الكلام فى هذه الصفحة خاصة فى الفقرة الأولى منها ، ولو نقل السطر الخامس ووضع قبل كلمة يجد التى فى أعلى الصفحة لاستقام الكلام .	



الصفحة	الخطأ	الصواب
١١٢	الـكلدة	الـكلات
١١٤	الجريزة	الجربزة
١١٦	الرقة	الدقة
١١٦	الإنارة	الأناة
١٢٠	الأبواب	الأسباب
١٢١	موضوعا	موضوعها
١٢٢	ولا يبين	ولا يبدين
١٢٥	رو طبه	رطوبة
١٢٧	أولى	ولى
١٢٨	العقفة	الفضة
١٢٨	صحيحا	صحيح
١٣٤	تحلف	تخالف
١٤٤	يردى	يروى
٢٤٥	وروده	ورووه
١٤٧	المنحضر	المحتضر
١٤٧	الهديد	التهديد
١٤٩	واحدا	واحدة
١٤٩	ترجى فى القبلى	ترجى معها النجاة فى القبلة
١٥١	البدائة و الميزات	البداية فى الخيرات
١٥٥	لا أحد أحب إليه القدر من الله	لا أحد أحب إليه العذر من الله
١٥٥	وأن المرأة لم مثلث بالسيف	وأن المرآة لم مثلث بالسيف
١٥٧	والسبع عشر	والسبعة عشر
١٩٠	بدون الشأن	بدو الشأن

الصفحة	الخطأ	الصواب
١٦٩	تطامع	لطالع
١٧١	هم الفم	هى الفم
١٧٢	أما هجرة الهيتون	أم شجرة الزيتون
١٧٧	كشف	يكشف
١٧٧	يروى	يرى
١٧٨	جاء السطر الرابع فى هذه الصفحة مقحما على الكلام ، وليس منه وسقط جزء من الكلام تتمته كما يلى : « لم أقله » ، فكيف يطالب التصديق بنسبة حديث إلى النبي وإن كان لم يقله :	
١٧٩	الهوى	الهدى
١٧٩	المزموم	المذموم
١٨١	أبريرى	آربرى
١٨٢	تقصد	تعضد
١٨٣	هل مكتسب	هل هو مكتسب
١٨٣	كامل يوم	كل يوم
١٨٣	ثلاث أماكن	ثلاثة أماكن
١٨٤	يروى	يرى
١٨٨	المحجورون	المحجوبون
١٩٦	وهو لدر	وهل لا در
٢٠٧	أعال الصدق	عمال الصدق
٢٠٩	لهذه بهذه	له بهذه
٢١٧	معاصرين	معاصريه
٢٢٦	ونجى الله المسلمون	ونجى الله المسلمين
٢٢٧	ومن كفر بى فان ربى غنى كريم	ومن كفر فان ربى غنى كريم



الصفحة	الخطأ	الصواب
٢٢٣	وما أرسلناك من قبل رسولا	وما أرسلنا قبلك من رسول
٢٣٥	هو يوجد فى زمانه	هل يوجد فى زمانه
٢٤٣	وإنما هى ثمانية وعشرين	وإنما هى ثمانية وعشرون
٢٤٤	يفهره	يفهم
٢٤٧	إلى الحكيم سيرقى	إلى أن الحكيم سيرقى
٢٤٩	أو دينا يجمعها	أودنيا يجمعها
٢٥٤	ابن شمويه	ابن حمويه
٢٥٨	إلا أن الوالى التابع له أعلى منه	لا أن الولى التابع له أعلى منه
٤٦٤	المصباح فزجاجة كأنها كوكب ذرى	المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى
٢٩٧	هو سماكم المسلمونّ	هو سماكم المسلمين
٢٠٢	وكما أضيف الشرح إلى الصدر	وكما أضيف الشرح إلى الصدر
٣٠٧	معدن تتوحد	معدن التوحيد
٣٠٨	ليبدروا آياته	ليدبروا آياته
٣١١	واللبيب اطوغر	واللبيب الأوفر
٣١٢	كزيادة صفر الماء	كزيادة صفو الماء
٣١٧	من ظلمة كفر	من ظلمة الكفر
٣٢١	وكلما كان سلطان العودى وأجرى	وكلما كان سلطان المد وأجرى

الصفحة	الخطأ	الصواب
٣٢٢	أما أعو الهوى	أما أعوان الهوى
٣٣٦	المصنف	المنصف
٣٢٦	فالحلم من الحليم لا يكون	فالحلم من الحليم يكون
٣٤٠	اللجوري	الجوهري
٣٤٠	آلما	لما